الجامع في محاسن الإسلام

جمع وترتيب

زيد بن فالح الربع الشمري

ⓒ معالم الهدى للنشر والتوزيع، ١٤٤٠هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الشمري، زيد فالح نواف

الجامع في محاسن الإسلام./ زيد فالح نواف الشمري. - الرياض، ١٤٤٠ هـ

٢٧٢ص ؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: ٤-٠-٩١٢٣٨-٦٠٣-٩٧٨

١- الإسلام ٢- الإسلام والمجتمع ٣- الوعظ والإرشاد أ. العنوان

ديوي ٢١٠ ٦٥٦٣/ ١٤٤٠

رقم الإيداع ٦٥٦٣/ ١٤٤٠

ردمك: ٤-٠-٩١٢٣٨-٦٠٣-٩٧٨

حقوق الطبع محفوظة

معالم الهدى للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية : ص.ب ٢٩٥٣٤٢ ، الرياض: ٧٥

هاتف : ٢٢ ٩٤ ٤١٠ ١١ ٩٦٦ + فاكس : ٩٥ ٨٨ ٤٨٥ ١١ ٩٦٦ +

E.mail: hooda.com@gmail.com

الطبعة الأولى ١٤٤٠هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدِّمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ البشير النذير نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه.

وبعد:

فالحمد لله علىٰ أجل النعم الرَّبَّانية وأعظم المنن الإلهية نعمة الإسلام؛ قال تعالىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]؛ دينٌ عظيم كامل في عقائده وعباداته ومعاملاته وشرائعه وأخلاقه؛ لا نقص فيه بوجهٍ من الوجوه، بل كله كمال وجمال ومحاسن، ولو عرف الناس محاسنه لدخلوا فيه أفواجًا ولما رضوا به بديلًا أبدًا.

ومحاسن الإسلام هي: مزاياه وخصائصه في جميع جوانبه، عقيدةً وشريعةً وأخلاقًا؛ قال تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾﴾ [النساء: ١٢٥]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة: ٥٠].

وقد ألف العلماء قديمًا وحديثًا مصنفاتٍ في محاسن الإسلام ككتاب «محاسن الإسلام وشرائع الإسلام» محمد بن عبد الرحمن البخاري الزاهد

الذي توفي في القرن السادس الهجري، وكتاب «محاسن الشريعة» للقفال، وتوالت المؤلفات في هذا الموضوع واتخذت عناوين مختلفة.

* ومن مناهج المؤلفين في تناول وعرض محاسن الإسلام ما يلي:

١- تناول محاسن الإسلام علىٰ طريقة أبواب الفقه:

كـ«محاسن الشريعة» للقفال، و«محاسن الإسلام» للبخاري ومن المعاصرين أيضًا من أشار إليها في كتب شروح الفقه وأحاديث الأحكام كـ«توضيح الأحكام» للشيخ عبد الله البسام، و«الملخص الفقهي» و«شرح بلوغ المرام» و«شرح زاد المستقنع» للشيخ صالح الفوزان.

٢- العرض الشمولي لمحاسن الإسلام :

مثل «الدرة المختصرة في محاسن الدين الإسلامي» للعلامة عبد الرحمن السعدي، و«مباحث في أصول الدين» للشيخ محمد العثيمين، و«الإسلام دين كامل» للشنقيطي، و«من محاسن الدين الإسلامي» للشيخ عبد العزيز السلمان و«من محاسن الإسلام» للشيخ عبد العزيز بن باز.

٣- إبراز محاسن الإسلام في جانب معين من جوانبه التشريعية أو الأخلاقية أو العقدية:

كـ«دستور الأخلاق في الإسلام» لمحمد دراز، و«محاسن العقيدة الإسلامية» لأحمد عثمان المزيد، «عقيدة أهل السنة والجماعة مفهومها وخصائصها وخصائص أهلها» لمحمد بن إبراهيم الحمد.

وفي ظلِّ الهجمات المتتابعة علىٰ الإسلام وتشويه عقائده وشرائعه؛ لتشكيك أهله فيه، وصد عموم الناس عنه؛ خطرت في بالي فكرة العناية بعرض ونشر محاسن الإسلام عقيدة وشريعة وأخلاقًا وحقوقًا وآدابًا، وإبراز هذا الباب العظيم من أبواب العلم علميًّا وتفعيله دعويًّا، من غير التعرض لأديان المخالفين أو الرد للشبهات، بل أكتفي بعرض مواطن الحسن والجمال والكمال في هذا الدين العظيم الذي كله محاسن وفضائل ومزايا؛ وذلك لما لهذا الأسلوب من أهمية بالغة في: ترغيب غير المسلمين بالإسلام وإزالة كل ما علق في أذهانهم من تصورات خاطئة عن هذا الدين الذي هو رحمة للعالمين؛ لعل الله ينقذ بها من شاء من عباده ويخرجهم من ظلمات الكفر إلىٰ نور الإيمان وسعادة الدارين، ولما لذلك من أثر بالغ في زيادة يقين المسلمين بدينهم وثباتهم عليه؛ لاسيما في ظل طوفان الشبهات التي تشككهم في دين الله والشهوات التي تصدهم عن طاعة الله.

كما قال محمد العرفج: «من وسائل الدعوة إلىٰ هذا الدين: تبيين محاسنه الكثيرة الدنيوية والأخروية، والتي قد تخفىٰ علىٰ كثيرين حتىٰ من معتنقيه، وهذا -بإذن الله- يؤدي إلىٰ دخول غير المسلمين فيه، وإلىٰ تمسُّك المسلم واعتزازه بدينه». «نظر: «لمحات حول محاسن الإسلام» للعرفج.

*** وإذا ما اطلعنا علىٰ هذه الجوانب الآتية ازددنا معرفةً بأهمية معرفة وعرض محاسن الإسلام :**

١- **الجانب البنائي:** إن معرفة محاسن الإسلام تعرِّف المسلم بحقيقة دينه، وتكشف له عن جوانب تميزه وعظمته؛ فيقوىٰ إيمانه بهذا الدين ويزيد تمسكه به.

٢- **الجانب الوقائي:** إن معرفة محاسن الإسلام تعطي المسلم حصانة ووقاية أمام الشبهات التي تثار حول الإسلام؛ فإذا تعرف المسلم علىٰ محاسن دينه تلاشت أمامه الشبهات، وعرف زيفها وكذبها.

٣- **الجانب الدعوي:** إن الحديث عن محاسن الإسلام والتعريف بها، وعرض حقائق هذا الدين وتوضيحها للناس هو الأسلوب الأمثل في الدعوة إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ؛ حيث يدفع غير المسلم إلىٰ التعرف علىٰ هذا الدين وتبني مبادئه وقيمه.

٤- **الجانب العلاجي:** لمن ابتلي بالشكوك في الدين وشرائعه وتمكنت منه الشبهات، أو دخل في المناهج المنحرفة والأفكار الضالة؛ فبمجرد اطلاعهم علىٰ محاسن هذا الدين تتلاشىٰ غيوم الشكوك وتنقشع عن أذهانهم ظلمات الشبهات ويعودوا إلىٰ صوابهم بإذن الله تعالىٰ.

*** وإليك أخي القارئ جملةً من أقوال العلماء الأعلام التي تحث علىٰ العناية بمحاسن الإسلام واستخدامها كأسلوب دعوي :**

- **قال ابن تيمية:** «والإنسان قد يظهر له من محاسن الإسلام ما يدعوه إلىٰ الدخول فيه، وإن كان قد وُلد عليه وتربىٰ بين أهله فإنه يحبه؛ فقد ظهر له بعض محاسنه وبعض مساوئ الكفار، وكثير من هؤلاء قد يرتاب إذا سمع الشبه القادحة فيه، ولا يجاهد في سبيل الله؛ فليس هو داخلًا في قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [الحجرات: ١٥]».

- **وقال ابن القيم:** «فجعل التكبير باب الدخول والتسليم باب الخروج لحكمة بديعة بالغة يفهمها مَن عقل عن الله، وألزم نفسه بتأمل محاسن هذا الدين

العظيم، وسافر فكره في استخراج حكمه وأسراره وبدائعه، وتغرب عن عالم العادة والإلف فلم يقنع بمجرد الأشباح حتىٰ يعلم ما يقوم به من الأرواح... فإذا انصرف من بين يدي الله مصحوبًا بالسلام لم يزل عليه حافظ من الله إلىٰ وقت الصلاة الأخرىٰ، وكان من تمام النعمة عليه أن يكون انصرافه من بين يدي ربه بسلام يستصحبه ويدوم له ويبقىٰ معه؛ فتدبر هذا السر الذي لو لم يكن في هذا التعليق غيره لكان كافيًا؛ فكيف وفيه من الأسرار والفوائد ما لا يوجد عند أبناء الزمان، والحمد في ذلك لله وحده؛ فكما أن المنعم به هو الله وحده فالمحمود عليه هو الله وحده». انظر: «بدائع الفوائد» (الجزء ٢/ ١٩٥-١٩٧).

- **وقال ابن القيم:** «قد عُرف بهذا فضل هذه التحية وكمالها علىٰ سائر تحيات الأمم؛ ولهذا اختارها الله لعباده وجعلها تحيتهم بينهم في الدنيا وفي دار السلام، وقد بان لك أنها من محاسن الإسلام وكماله؛ فإذا كان هذا في فرع من فروع الإسلام وهو التحية التي يعرفها الخاص والعام؛ فما ظنك بسائر محاسن الإسلام وجلالته وعظمته وبهجته التي شهدت بها العقول والفِطَر؛ نفس دعوته فلو اقتصر عليها كانت آية وبرهانًا علىٰ صدقه، وأنه لا يحتاج معها إلىٰ خارق ولا آية منفصلة؛ بل دينه وشريعته ودعوته وسيرته من أعظم معجزاته عند الخاصة من أمته؛ حتىٰ أن إيمانهم به إنما هو مستند إلىٰ ذلك، والآيات في حقهم مقوِّيات بمنزلة تظاهُر الأدلة.

ومن فهم هذا انفتح له باب عظيم من أبواب العلم والإيمان/ بل باب من أبواب الجنة العاجلة، يرقص القلب فيه طربًا! ويتمنىٰ أنه له بالدنيا وما فيها!

وعسىٰ الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيساعد علىٰ تعليق كتاب يتضمن ذكر بعض محاسن الشريعة وما فيها من الحكم البالغة والأسرار الباهرة؛ التي هي من أكبر الشواهد علىٰ كمال علم الرب تعالىٰ وحكمته ورحمته وبره بعباده ولطفه بهم، وما اشتملت عليه من بيان مصالح الدارين والإرشاد إليها وبيان مفاسد الدارين والنهي عنها، وأنه سبحانه لم يرحمهم في الدنيا برحمة، ولم يحسن إليهم إحسانا أعظم من إحسانه إليهم بهذا الدين القيم وهذه الشريعة الكاملة». «بدائع الفوائد» لابن القيم (٢/ ١٧٩).

- **تكلم الإمام محمد بن عبد الوهاب عن نقض العهود فقال:** «فإن الوفاء بالعهود خصوصًا المؤكدة بأغلظ المواثيق من محاسن الإسلام الداعية للأعداء المنصفين إلىٰ تفضيله واتباعه».

- **قال العلامة السعدي:** «إن من أكبر الدعوة إلىٰ الإسلام: شرح ما احتوىٰ عليه من المحاسن التي يقبلها ويتقبلها كلُّ صاحب عقل وفطرة سليمة؛ فلو تصدىٰ للدعوة إلىٰ هذا الدين رجال يشرحون حقائقه ويبينون للخلق مصالحه؛ لكان ذلك كافيًا كفاية تامة في جذب الخلق إليه؛ لما يرون من موافقته للمصالح الدينية والدنيوية، من غير حاجة إلىٰ التعرض إلىٰ شبه المعارضين والطعن في أديان المخالفين؛ فإنه في نفسه يدفع كل شبهة تعارضه؛ لأنه حق مقرون بالبيان الواضح والبراهين الموصلة إلىٰ اليقين».

- **وقال السعدي:** «واعلم أن محاسن الدين عامة في جميع مسائله ودلائله، وفي أصوله وفروعه، وفيما دل عليه من علوم الشرع والأحكام، وما دل

عليه من علوم الكون والاجتماع». «الدرة في محاسن الإسلام» ابن سعدي.

- **قال الشيخ ابن باز:** فوالله الذي لا إله إلا هو، لو أن محاسن الإسلام عرضت علىٰ العالم كما ينبغي لدخلوا في دين الله أفواجًا!».

- **وقال ابن باز أيضًا:** «والله لو عرفه الناس اليوم، ولو عرفه العالم علىٰ حقيقته لدخلوا فيه أفواجًا اليوم، كما دخلوا فيه أفواجًا بعدما فتح الله علىٰ نبيه مكة عليه الصلاة والسلام».

- **قال الشيخ عبد العزيز بن باز** رَحِمَهُ اللَّهُ: «فعلىٰ جميع الأمة حكماء وعلماء وتجار وغيرهم: أن يبلغوا عن الله وعن رسوله ﷺ هذا الدين، وأن يشرحوه للناس بشتىٰ اللغات الحية المستعملة بأساليب واضحة، وأن يشرحوا محاسن الإسلام وحكمه وفوائده وحقيقته حتىٰ يعرفه أعداؤه، وحتىٰ يعرفه الجاهلون فيه، وحتىٰ يعرفه الراغبون فيه».

- **قال الشيخ صالح البليهي:** «ومعرفة الحكم الإلهية ومحاسن الشريعة الإسلامية مما يزيد الإيمان إيمانًا والبصيرة تبيانًا، وبالأخص في هذا الزمن الذي نجم فيه النفاق وظهر فيه دعاة الزندقة والإلحاد» (كتاب الصيام) في «السلسبيل».

- **قال محمد الأمين الشنقيطي:** «العالم اليوم في حاجة إلىٰ معرفة محاسن الإسلام ، وسمو تعاليمه السماوية السامية». «أضواء البيان» (ج ٨/ ص١٧٢).

- **قال العلامة عبد الله بن حميد** رَحِمَهُ اللَّهُ: «خذوا بأيدي هذه الناشئة، واهدوهم إلي محاسن الإسلام، وغرس محبته في قلوبهم؛ بشرح محاسنه وفضائله».

- **قال ابن عثيمين:** «محاسن الإسلام تجتمع في كلمتين: قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾ [النحل: ٩٠]».

- **قال عبد المحسن القاسم:** «فالإسلامُ سعادةُ الخَلق، ولا غِنَىٰ لهم عنه، ولا صلاحَ لأحوالِ الناسِ إلا به، وهو المُخرِجُ مِن الفتنِ والمِحَن والمصائِبِ والأحزانِ، وما ابتعَدَ عنه أحدٌ أو تنقَّصه أو استهزَأَ به أو بأهلِه إلا لجَهلِه به، وشرَفُ كلِّ مُسلمٍ التمسُّكُ به، والاعتِزازُ بذلك، والثَّباتُ عليه، ودعوةُ الخَلقِ إليه، وترغيبُهم فيه، وإظهارُ محاسِنِ الإسلام قَولًا وفِعلًا، سُلوكًا ومنهَجًا، وإذا أرادَ الله بعبدِه خَيرًا جعلَه مِفتاحًا لكلِّ خيرٍ».

* **وختامًا:** فمحاسن الإسلام مبحثٌ شريف وعلمٌ مستقلٌّ من علوم الدين، وأسلوب شرعي دعوي حكيم ينبغي العناية به علميًّا بالكتابة وتحرير مسائله والتحقيق فيه بالبحوث المتقنة، ثم عرضه دعويًّا بما يناسب أهل هذا العصر؛ بكافة الأساليب الممكنة، وبجميع اللغات والوسائل الإعلامية، ووسائل التواصل العصرية المتنوعة، والتي توصله إلىٰ مشارق الأرض ومغاربها.

ومساهمةً مني في هذا المجال؛ فقد جمعت هذه الرسائل المختصرة عن محاسن الدين الإسلامي، والتي كتبها علماء أجلاء قد رسخوا في العلم وعرفوا تفاصيل شرائع الإسلام ومزاياه ومحاسنه، وسطرته لنا أقلامهم رحمهم الله وجزاهم خير الجزاء؛ لعل ذلك يكون حاديًا لطلاب العلم والدعاة والمثقفين للاستزادة من هذا العلم الشريف، وبذل المزيد من العناية به والاستفادة منه كأسلوب ومنهج في عرض الدعوة وتبليغها للناس، وسميته:

«الجامع في محاسن الإسلام»

ويحتوي علىٰ هذه الكتب القيمة والرسائل النفيسة الآتية:

١. الإسلام دين كامل، للشنقيطي.

٢. الدرة المختصرة في محاسن الدين الإسلامي، للسعدي.

٣. الدين الصحيح يحل جميع المشاكل، للسعدي.

٤. كمال الشريعة وشمولها لكل ما يحتاجه البشر، لابن حميد.

٥. مباحثُ في أصول الدِّين، لابن العثيمين.

٦. الشريعة الإسلامية ومحاسنها وضرورة البشر إليها، لابن باز.

٧. التعريف بالإسلام ومحاسنه، لابن باز.

٨. من محاسن الدين الإسلامي، لعبد العزيز بن محمَّد بن عبد الرحمن السَّلمان.

تَـــمَّ الْكَـــلَامُ وَرَبُّنَـــا مَحْمُـــودُ وَلَـــهُ الْمَكَـــارِمُ وَالْعُلَـــىٰ وَالْجُـــودُ

وَعَلَـــىٰ النَّبِـــيِّ مُحَمَّـــد صَلَوَاتُـــهُ مَـــا نَـــاح قُمْـــرِيٌّ وَأَوْرَقَ عُـــودُ

زيد بن فالح الربع الشمري

جوال ٠٥٤٢١٢٥١٧٤

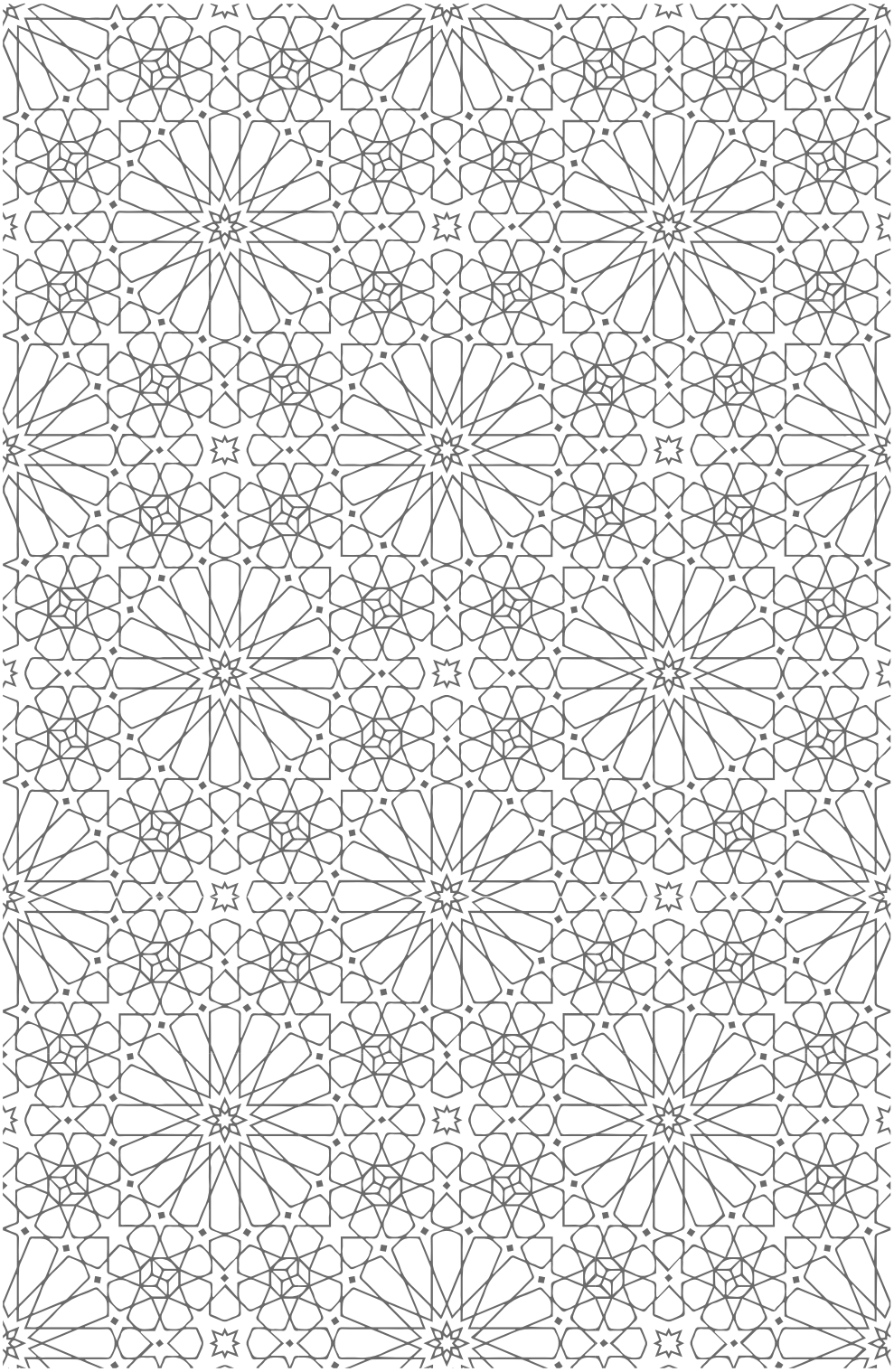

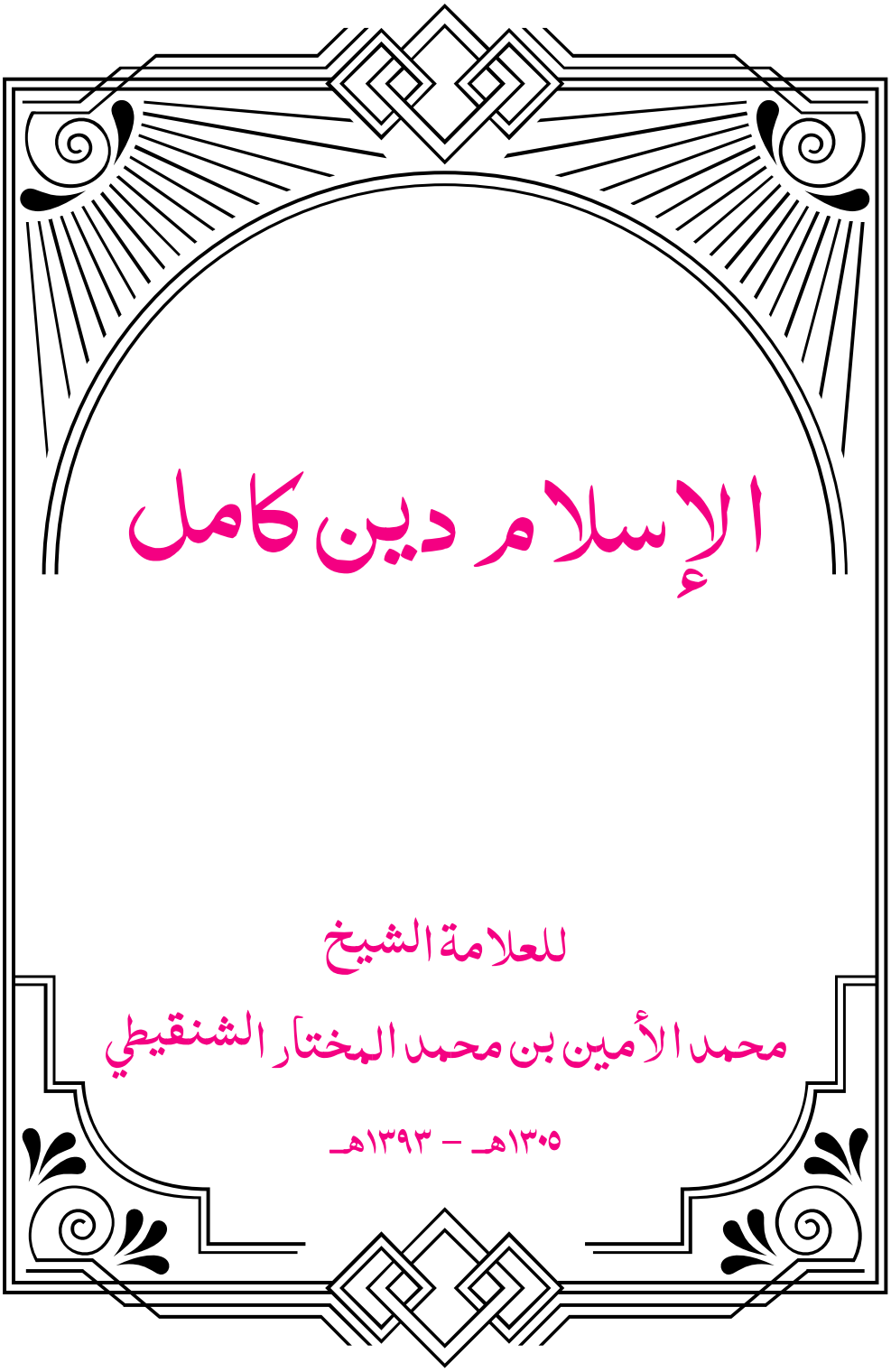

الإسلام دين كامل

للعلامة الشيخ

محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي

١٣٠٥هـ - ١٣٩٣هـ

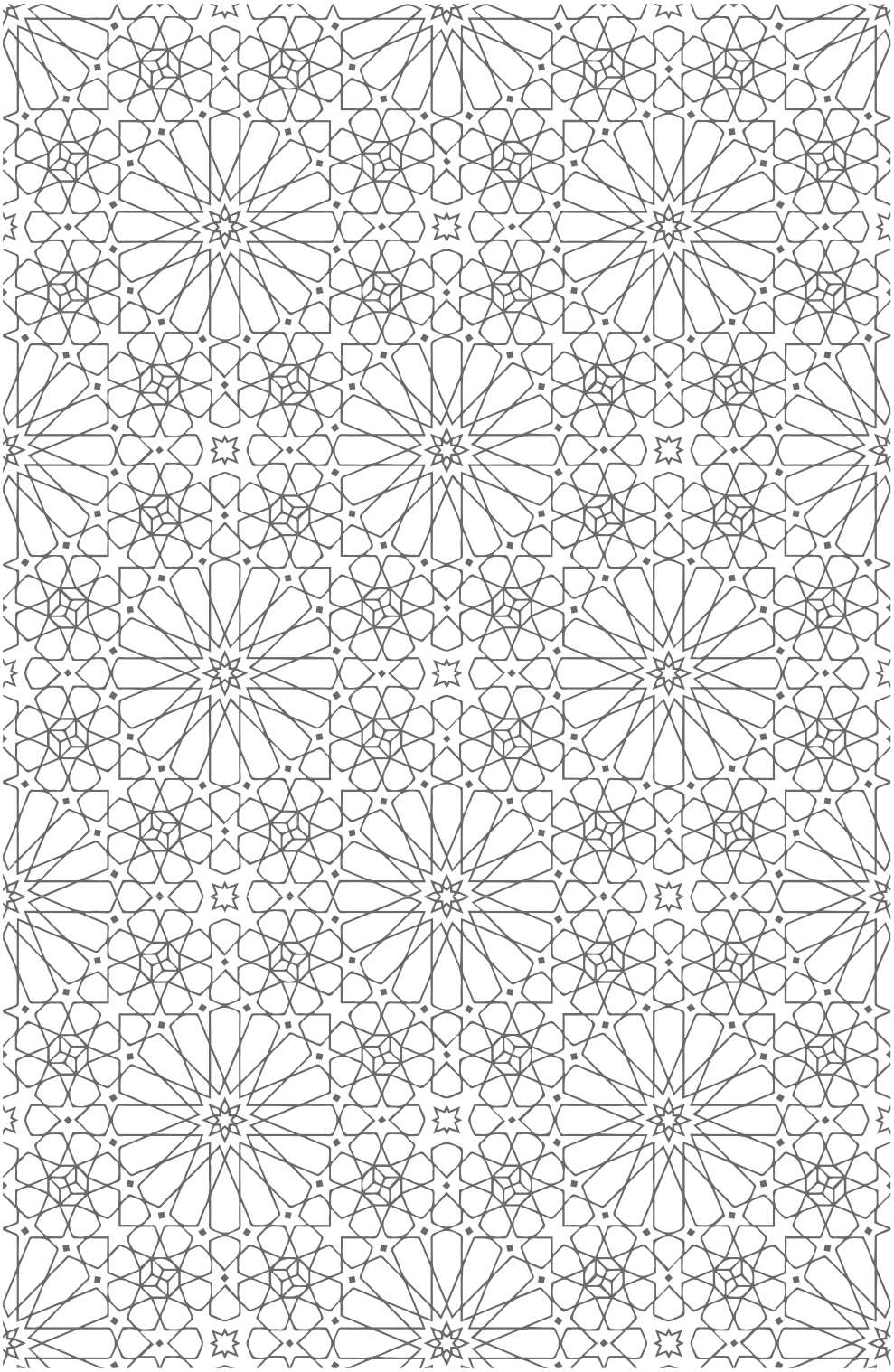

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه، ومن دعا بدعوته إلىٰ يوم الدين.

وبعد:

فهذه محاضرة ألقيتها في المسجد النبوي بطلب من ملك المغرب، فطلب مني بعض إخواني تقييدها لنشرها، فلبيتُ طلبه راجيًا من الله أن ينفع بها.

قال الله تعالىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، ذلك اليوم يوم عرفة، وهو يوم الجمعة في حجة الوداع، نزلت هذه الآية الكريمة والنبي ﷺ واقف بعرفات عشية ذلك اليوم، وعاش ﷺ بعد نزولها إحدىٰ وثمانين ليلةً.

وقد صرح الله تعالىٰ في هذه الآية الكريمة أنه أكمل لنا ديننا فلا ينقصه أبدًا، ولا يحتاج إلىٰ زيادة أبدًا؛ ولذلك ختم الأنبياء بنبينا عليهم صلوات الله وسلامه جميعًا، وصرَّح فيها أيضًا بأنه رضي لنا الإسلام دينًا فلا يَسْخَطُه أبدًا؛ ولذا صرَّح بأنه لا يقبل غيره من أحد، قال: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: ٨٥]. ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾

[آل عمران: ١٩]، وفي إكمال الدين وبيان جميع أحكامهِ كل نِعَم الدارين؛ ولذا قال: ﴿وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي﴾.

وهذه الآية الكريمة نصٌّ صريح في أن دينَ الإسلام لم يترك شيئًا يحتاج إليه الخلق في الدنيا ولا في الآخرة إلا أوضحه وبيَّنه كائنًا ما كان.

وسنضرب لذلك المثل ببيان عشر مسائلَ عظامٍ عليها مدار الدنيا من المسائل التي تهم العالَم في الدَّارَين، وفي البعض تنبيه لطيف علىٰ الكلِّ:

الأولىٰ: التوحيد.

الثانية: الوعظ.

الثالثة: الفرق بين العمل الصالح وغيره.

الرابعة: تحكيم غير الشرع الكريم.

الخامسة: أحوال الاجتماع بين المجتمع.

السادسة: الاقتصاد.

السابعة: السياسة.

الثامنة: مشكلة تسليط الكفار علىٰ المسلمين.

التاسعة: مشكلة ضَعف المسلمين عن مقاومة الكفار في العَدَدِ والعُدَدِ.

العاشرة: مشكلة اختلاف القلوب بين المجتمع.

ونوضح علاج تلك المشاكل من القرآن، وهذه إشارة خاطفة إلىٰ بيان جميع ذلك بالقرآن؛ تنبيهًا به علىٰ غيره.

١- أما الأولىٰ: وهي التوحيد:

فقد عُلِم باستقراء القرآن أنه منقسم إلىٰ ثلاثة أقسام:

الأول: توحيده جل وعلا في ربوبيته:

وهذا النوع من التوحيد جُبِلَتْ عليه فطرُ العقلاء، قال تعالىٰ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ الآية [الزخرف: ٨٧].

وقال: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ﴾ إلىٰ قوله: ﴿فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾ [يونس: ٣١]، والآيات بنَحْو ذلك كثيرة.

وإنكار فرعون لهذا النوع في قوله: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الشعراء: ٢٣] مكابرةٌ وتجاهُلٌ؛ بدليل قوله: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ﴾ الآية [الإسراء: ١٠٢]، وقوله: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤].

ولهذا؛ كان القرآن ينزل بتقرير هذا النوع من التوحيد بصيغة استفهام التقرير؛ كقوله: ﴿أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ﴾ [إبراهيم: ١٠]، وقوله: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ١٦٤]، وقوله: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ﴾ [الرعد: ١٦]، ونحو ذلك؛ لأنهم يقرُّون به.

وهذا النوع من التوحيد لم ينفع الكفار؛ لأنهم لم يوحدوه جل وعلا في عبادته، كما قال: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يوسف: ١٠٦]، ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]، ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ﴾ الآية [يونس: ١٨].

النوع الثاني: توحيده جل وعلا في عبادته:

وهو الذي وَقَعت فيه جميع المعاركِ بين الرسلِ والأمم، وهو الذي أُرْسِلَت الرسلُ لتحقيقه، وحاصلُه هو معنىٰ لا إله إلا الله، فهو مبنيٌّ علىٰ أصلين: هما النَّفيُ والإثبات من: (لا إله إلا الله).

فمعنىٰ النفي منها: خلع جميع أنواع المعبودات غير الله تعالىٰ في جميع أنواع العبادة كائنة ما كانت.

ومعنىٰ الإثبات منها: هو إفراده جل وعلا وحده بجميع أنواع العبادة علىٰ الوجه الذي شرع أن يُعبدَ به.

وجُلُّ القرآن في هذا النوع: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥].

﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الزخرف: ٤٥].

﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٨]، والآيات في هذا كثيرة جدًّا.

النوع الثالث: هو توحيده جل وعلا في أسمائه وصفاته:

وهذا النوع من التوحيد ينبني علىٰ أصلين كما بيَّنه جل وعلا:

الأول: هو تنزيهُه تعالىٰ عن مُشابَهة صفات الحوادث.

والثاني: هو الإيمان بكل ما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ حقيقة لا مجازًا، علىٰ الوجه اللائق بكماله وجلاله، ومعلومٌ أنه لا يصفُ اللهَ أعلمُ بالله من الله، ولا يصفُ اللهَ - بعد الله - أعلمُ بالله من رسولِ الله، والله يقول عن نفسه: ﴿ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ﴾ [البقرة: ١٤٠]، ويقول عن رسوله ﷺ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ [النجم: ٣، ٤].

فقد بيَّن تعالىٰ نَفْيَ المماثلة عنه بقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ﴾، وبيَّن إثبات الصِّفات له علىٰ الحقيقة بقوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورىٰ: ١١]؛ فأول الآية يقضي بعدم التعطيل؛ فيتضح من الآية أن الواجب إثبات الصفات حقيقة من غير تمثيل، ونفي المماثلة من غير تعطيل.

وبيَّنَ عجز الخلق عن الإحاطة به جل وعلا فقال: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾ [طه: ١١٠].

٢- وأما المسألة الثانية: التي هي الوعظ:

فقد أجمع العلماء علىٰ أن الله تعالىٰ لم يُنْزِلْ من السماء إلىٰ الأرض واعظًا أكبرَ، ولا زاجرًا أعظمَ من موعظة المراقبة والعلم، وهي: أن يُلاحظ الإنسان أن ربَّه - جل وعلا - رقيب عليه، عالم بكل ما يُخفي وما يُعْلِن.

وضربَ العلماءُ لهذا الواعظ الأكبر والزاجر الأعظم مثلًا يصيرُ به المعقول كالمحسوس، قالوا: لو فرضنا ملكًا سفَّاكًا للدماء، قتَّالًا للرجال، شديدَ البطش والنَّكال، وسيَّافُه قائم علىٰ رأسه، والنِّطع مبسوط، والسيف يقطر دمًا، وحول ذلك الملك بناته وأزواجه، أيخطر في البال أن يهمَّ أحد من الحاضرين بريبة أو نيل حرام من بنات ذلك الملك وأزواجه وهو عالم به ناظر إليه؟! لا، وكلا - ولله المثل الأعلىٰ - بل كل الحاضرين يكونون خائفين، خاضِعةً قلوبُهم، خاشعةً عيونُهم، ساكنةً جوارحهم، غايةُ أمانيهم السلامةُ، ولا شك -ولله المثل الأعلىٰ- أن الله - جل وعلا - أعظمُ اطلاعًا وأوسعُ علمًا من ذلك الملك، ولا شك أنه أعظم نَكالًا، وأشدُّ بطشًا، وأفظعُ عذابًا، وحِماهُ في أرضه محارمُه.

ولو علم أهلُ بلدٍ أن أميرَ البلد يُصبحُ عالمًا بكل ما فعلوه بالليل، لباتوا خائفين وتركوا جميع المَناكِرِ خوفًا منه.

وقد بيَّن تعالىٰ أن الحكمةَ التي خلق الخلق من أجلها هي أن يَبْتَلِيَهُم؛ أي: يختبرهم ﴿أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۝٧﴾ [الكهف: ٧]، قال في أول سورة هود: ﴿ وَهُوَ

ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود: ٧] ولم يقل: أيكم أكثر عملًا.

وقال في الملك: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾ [الملك: ٢].

وهاتان الآيتان تُبيِّنان المراد من قوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦]، ولما كانت الحكمة في خلق الخلائق الاختبار المذكور، أراد جبريل أن يُبيِّن للناس طريقَ النجاح في ذلك الاختبار؛ فقال للنبي ﷺ: أخبرني عن الإحسان؟ - أي: وهو الذي خُلِق الخلْقُ لأجل الاختبار فيه - فبيَّن ﷺ أن طريق الإحسان هي هذا الزاجر الأكبر، والواعظ الأعظم المذكور، فقال: **"هو أن تعبد الله كأنك تراه، فإنْ لم تَكُنْ تراه فإنه يراك"**[1]؛ ولهذا لا تَقْلب ورقةً من المصحف الكريم إلا وجدتَ فيها هذا الواعظ الأعظم: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾ [ق: ١٦]، ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق: ١٨]، ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ ۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴿٧﴾﴾ [الأعراف: ٧].

﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾﴾ [يونس: ٦١].

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة: أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان (١/ ١٨)، ومسلم كتاب الإيمان (١/ ٣٩)، رقم الحديث (٩). وأخرجه مسلم أيضًا من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه، كتاب الإيمان (١/ ٣٦) رقم الحديث (٨).

﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ لِيَسۡتَخۡفُواْ مِنۡهُۚ أَلَا حِينَ يَسۡتَغۡشُونَ ثِيَابَهُمۡ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٥﴾ [هود: ٥]. ونحو هذا في كل موضع من القرآن.

٣- وأما المسألة الثالثة: التي هي: الفرق بين العمل الصالح وغيره:

فقد بين القرآن العظيم أن العمل الصالح هو ما استكمل ثلاثة أمور، ومتىٰ اختلَّ واحد منها فلا نفع فيه لصاحبه يوم القيامة:

الأول: أن يكون مطابقًا لما جاء به النبي ﷺ[1]؛ لأن الله يقول: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ﴾ [الحشر: ٧]، ويقول: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ﴾ [النساء: ٨٠]، ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي﴾ [آل عمران: ٣١]، ﴿أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ﴾ [الشورىٰ: ٢١]، ﴿ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمۡۖ أَمۡ عَلَى ٱللَّهِ تَفۡتَرُونَ ٥٩﴾ [يونس: ٥٩].

الثاني: أن يكون خالصًا لوجهه تعالىٰ؛ لأنه يقول: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥].

ويقول: ﴿قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ١١ وَأُمِرۡتُ لِأَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ١٢ قُلۡ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ١٣ قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ مُخۡلِصٗا لَّهُۥ دِينِي ١٤ فَٱعۡبُدُواْ مَا شِئۡتُم مِّن دُونِهِۦۗ﴾ [الزمر: ١١-١٥].

---

(١) أخرج البخاري، كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا علىٰ صلح جور فالصلح مردود (٣/ ١٦٧)، ومسلم كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور (٣/ ١٣٤٣) رقم الحديث (١٧١٨)، عن عائشة رضي الله عنها مرفوعًا: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ، فَهُوَ رَدٌّ»، وفي رواية: «مَا لَيْسَ مِنْهُ»، وفي رواية لمسلم: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا، فَهُوَ رَدٌّ».

الثالث: أن يكون مبنيًّا على أساس العقيدة الصحيحة؛ لأنَّ العملَ كالسقف، والعقيدة كالأساس، قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ [النساء: ١٢٤]، فقيَّد ذلك بقوله: ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾. وقال في غير المؤمن: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان: ٢٣].

وقال تعالىٰ: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [هود: ١٦]، إلىٰ غير ذلك من الآيات.

٤- وأما المسألة الرابعة: التي هي تحكيم غير الشرع الكريم:

فقد بين القرآن أنها كفر بَوَاحٌ وشرك بالله تعالىٰ، ولما أَوْحَىٰ الشيطان إلىٰ كفار مكة أن يسألوا نبيَّنا ﷺ عن الشاة تُصْبِحُ ميتة: مَن قتلها؟ فقال: **"الله قتلها"**، فأوحىٰ إليهم أن يقولوا له: ما ذبحتموه بأيديكم حلال، وما ذبحه الله بيده الكريمة حرام، فأنتم إذن أحسن من الله[(١)]! أنزل الله: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾﴾ [الأنعام: ١٢١].

وعدم دخول الفاء علىٰ جملة: ﴿إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾﴾ قرينة ظاهرة علىٰ تقدير

---

(١) أخرجه من حديث ابن عباس: أبو داود كتاب الأضاحي، ١٣- باب في ذبائح أهل الكتاب (٣/ ٢٤٥)، رقم الحديث (٢٨١٨)، والترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب (ومن سورة الأنعام) (٥/ ٢٤٦)، رقم الحديث (٣٠٦٩)، والنسائي كتاب الضحايا، باب تأويل قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾، (٧/ ٢٣٧) رقم الحديث (٤٤٣٧) بتحقيق عبد الفتاح أبي غدة، وأخرجه ابن ماجه بمعنىٰ آخر، كتاب الذبائح باب التسمية عند الذبح (٢/ ١٠٥٩)، رقم الحديث (٣١٧٣).

لام توطئة القسم، فهو قَسَم من الله أقسم به -جل وعلا- في هذه الآية الكريمة علىٰ أن من أطاع الشيطان في تشريعه تحليلَ الميتة أنه مشرك، وهو شرك أكبر مخرج عن الملة الإسلامية بإجماع المسلمين، وسيوبخ الله يوم القيامة مُرْتَكِبَه بقوله: ﴿۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾﴾ [يس: ٦٠، ٦١].

وقال تعالىٰ عن خليله: ﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَۖ﴾ [مريم: ٤٤]؛ أي: باتباعه في تشريع الكفر والمعاصي.

وقال: ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾﴾ [النساء: ١١٧]؛ أي ما يعبدون إلا شيطانًا، وذلك باتباعهم تشريعه.

وقال تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ﴾ [الأنعام: ١٣٧]؛ فسماهم: شركاء؛ لطاعتهم لهم في معصية الله بقتل الأولاد.

ولما سأل عَدِيُّ بنُ حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ النبي ﷺ عن قوله: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا﴾ [التوبة: ٣١]، أجابه النبي ﷺ بأن معنىٰ اتخاذِهم أربابًا هو اتباعهم لهم في تحريمِ ما أحل الله وتحليل ما حرمه، وهذا أمر لا نزاع فيه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾﴾ [النساء: ٦٠].

﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المائدة: ٤٤]، ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [الأنعام: ١١٤].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾﴾ [الأنعام: ١١٥] وقوله: ﴿صِدْقًا﴾؛ أي: في الأخبار، ﴿وَعَدْلًا ۚ﴾؛ أي: في الأحكام.

﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة: ٥٠].

٥- وأما المسألة الخامسة: التي هي أحوال الاجتماع:

فقد شفىٰ فيها القرآن الغليلَ، وأنارَ فيها السبيلَ، فانظر إلىٰ ما يأمر الرئيسَ الكبير أن يفعله مع مجتمعه ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾﴾ [الشعراء: ٢١٥].

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ﴾ [آل عمران:١٥٩].

وانظر إلىٰ ما يأمر المجتمع العام أن يفعلَه مع رؤسائه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ﴾ [النساء: ٥٩].

وانظر إلىٰ ما يأمُرُ الإنسان أن يفعله مع مجتمعه الخاص كأولاده وزوجته: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [التحريم: ٦].

وانظر كيف ينبِّهه علىٰ الحذَرِ والحزْمِ من مجتمعه الخاص، ويأمره إن عَثَر علىٰ ما لا ينبغي أن يعفوَ ويصفحَ؛ فيأمره أولًا بالحزم والحذر، وثانيًا بالعفو والصفح: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾﴾ [التغابن: ١٤].

وانظر إلىٰ ما يأمر أفراد المجتمع العام أن يتعاملوا به فيما بينهم: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل: ٩٠].

وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ﴾ [الحجرات: ١٢].

وقال تعالىٰ: ﴿لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾﴾ [الحجرات: ١١].

وقال تعالىٰ: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ﴾ [المائدة: ٢].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

وقال تعالىٰ: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورىٰ: ٣٨]، إلىٰ غير ذلك.

ولما كان المجتمعُ لا يَسْلَمُ فردٌ من أفراده كائنًا من كان مِنْ مُناوئٍ يُناوئُه ومُعادٍ يُعاديه مِنْ مجتمعه الإنسيِّ والجنِّيِّ:

ليس يخلو المرءُ من ضدٍّ ولو ... حاول العزلةَ في رأس الجبلْ

وكان كل فرد محتاجًا إلىٰ علاج هذا الداء الذي عمت به البلوىٰ؛ أوضح تعالىٰ علاجَه في ثلاثة مواضع من كتابه، بين فيها أن علاجَ مُناوأةِ الإنسيِّ هو الإعراض عن إساءته ومُقابلتها بالإحسان، وأن شيطان الجن لا علاج لدائه إلا الاستعاذة بالله من شره.

الموضع الأول: قولُه تعالىٰ في أخريات الأعراف في الإنسي: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف: ١٩٩]، وفي نظيره من شياطين الجن: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾﴾ [الأعراف: ٢٠٠].

الموضع الثاني: في سورة المؤمنون قال فيه في الآية: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [المؤمنون: ٩٦]، وفي نظيره الآخر: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾ [المؤمنون: ٩٧ - ٩٨].

الموضع الثالث: في فُصِّلَت، وقد زاد فيه تعالىٰ التصريح بأن ذلك العلاج السماوي يقطع ذلك الداء الشيطاني، وزاد فيه أيضًا أن ذلك العلاج السماوي لا يُعْطَىٰ لكل الناس، بل لا يُعطَاهُ إلا صاحبُ النَّصيب الأوفر والحظِّ الأكبر، قال فيه في الآية: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ [فصلت: ٣٤، ٣٥]. وقال في نظيره الآخر: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾﴾ [فصلت: ٣٦].

وبين في مواضع أخرىٰ أن ذلك الرفق واللين لخصوص المسلمين دون الكافرين، قال: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤].

وقال تعالىٰ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩].

وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ﴾ [التوبة: ٧٣]؛ فالشِّدَّةُ في محلِّ اللين حُمقٌ وخَرَقٌ، واللينُ في محل الشدة ضعْفٌ وخَوَرٌ:

إذا قيل حِلْم قل فللحلم موضع وحِلْم الفتىٰ في غير موضعه جهلُ

٦- وأما المسألة السادسة: التي هي: مسألة الاقتصاد:

فقد أوضح القرآن أصولها التي يَرجعُ إليها جميع الفروع، وذلك أن مسائل الاقتصاد راجعة إلىٰ أصلين:

الأول: حُسن النظر في اكتساب المال.

الثاني: حُسن النظر في صرفه في مصارفه.

فانظر كيف فتح الله في كتابه الطرق إلىٰ اكتساب المال بالأسباب المناسبة للمروءة والدين، وأنار السبيل في ذلك، قال: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الجمعة: ١٠]، وقال: ﴿وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ﴾ [المزمل: ٢٠]، وقال: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ﴾ [البقرة: ١٩٨]، وقال: ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً

عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾ [النساء: ٢٩]، وقال: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ﴾ [البقرة: ٢٧٥]، وقال: ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾ [الأنفال: ٦٩]، إلىٰ غير ذلك.

وانظر كيف يأمر بالاقتصاد في الصرف: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾ [الإسراء: ٢٩].

﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾ [الفرقان: ٦٧].

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾ الآية [البقرة: ٢١٩].

وانظر كيف يَنْهَىٰ عن الصَّرفِ فيما لا يحل الصرف فيه: ﴿فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾ [الأنفال: ٣٦].

٧- وأما المسألة السابعة: التي هي: السياسة:

فقد بين القرآن أصولَها، وأنارَ معالِمَها، وأوضح طُرُقَها، وذلك أن السياسة - التي هي مصدر "ساس يسوس" إذا دبَّر الأمور، وأدار الشؤون - تنقسم إلىٰ قسمين: خارجية، وداخلية.

أما الخارجية، فمدارها علىٰ أصلين:

أحدهما: إعدادُ القوَّةِ الكافية لقمع العدو والقضاءِ عليه، وقد قال تعالىٰ في هذا الأصل: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠].

والثاني: الوحدة الصحيحة الشاملة حول تلك القوة، وقد قال تعالىٰ في ذلك: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦].

وقد أوضح القرآن ما يَتْبعُ ذلك من الصلح والهُدنة ونبذِ العهود إذا اقتضىٰ الأمر ذلك، قال: ﴿فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ﴾ [التوبة: ٤]، وقال: ﴿فَمَا ٱسْتَقَٰمُواْ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُواْ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٧]، وقال: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾ [الأنفال: ٥٨]، وقال: ﴿وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ٣].

وأمرَ بالحذر والتحرُّر مِنْ مكايدهم وانتهازهم الفُرَص فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ﴾ [النساء: ٧١]. قال: ﴿وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ﴾ [النساء: ١٠٢]، ونحو ذلك من الآيات.

وأما السياسة الداخلية: فمسائلها راجعة إلىٰ نشر الأمن والطمأنينة داخل المجتمع، وكفِّ المظالم، وردِّ الحقوق إلىٰ أهلها.

والجواهر العظام التي عليها مدار السياسة الداخلية ستة:

الأول: الدين: وقد جاء الشرع بالمحافظة عليه؛ ولذا قال ﷺ: «**مَن بدَّل دينه فاقتلوه**»، وفي ذلك ردع بالغ عن تبديل الدين وإضاعته.

الثاني: الأنفس: وقد شَرَع الله في القرآن القِصاصَ محافظةً عليها: ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ الآية [البقرة: ١٧٩].

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِي ٱلْقَتْلَى﴾ الآية [البقرة: ١٧٨].

﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا﴾ الآية [الإسراء: ٣٣].

الثالث: العقول: وقد جاء القرآن بالمحافظة عليها، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [المائدة: ٩٠].

وفي الحديث: «**كُل مسكِر حرام، ما أسكر كثيرهُ فقليلُه حرام**»، ولأجل المحافظة علىٰ العقول وجبَ الحدُّ علىٰ شارب الخمر.

الرابع: الأنساب: وللمحافظة عليها شرع الله حد الزنا: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ﴾ الآية [النور: ٢].

الخامسة: الأعراض: ولأجل المحافظة عليها شرع الله جلد القاذف ثمانين: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُواْ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً﴾ [النور: ٤].

السادس: الأموال: ولأجل المحافظة عليها شرع الله قطع يد السارق: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ٣٨].

فتبين أنه من الواضح أن اتِّباعَ القرآن كفيل للمجتمع بجميع مصالحه الداخلية والخارجية.

٨- وأما المسألة الثامنة: التي هي: تسليط الكفار علىٰ المسلمين:

فقد استَشْكَلَها أصحابُ رسول الله ﷺ وهو موجود بين أظهُرِهم، وأفتىٰ الله -جل وعلا- فيها بنفسه في كتابه فَتْوىٰ سماويَّةً أزال بها ذلك الإشكال؛ وذلك أنه

لما وقع بالمسلمين ما وقع يوم أُحُدٍ استشكلوا ذلك؛ فقالوا: كيف يُدال منا المشركون ويُسَلَّطون علينا، ونحن علىٰ الحق وهم علىٰ الباطل؟! فأفتاهم الله في ذلك[١] بقوله: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ﴾ [آل عمران: ١٦٥]. وقوله: ﴿قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ﴾ أوضحه علىٰ التحقيق بقوله: ﴿وَلَقَدۡ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥٓ إِذۡ تَحُسُّونَهُم بِإِذۡنِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلۡتُمۡ وَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ وَعَصَيۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنۡيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۚ ثُمَّ صَرَفَكُمۡ عَنۡهُمۡ لِيَبۡتَلِيَكُمۡۖ﴾ [آل عمران: ١٥٢].

فبين في هذه الفتوىٰ السماوية أن سبب تسليط الكفار عليهم جاءهم من قِبَل أنفسهم، وأنه هو فشلُهُم وتنازُعُهم في الأمر، وعصيانُ بعضِهم الرسولَ، ورغبتُهم في الدنيا، وذلك أنَّ الرُّماة الذين كانوا بسفحِ الجبل يمنعون الكفار أن يأتوا المسلمين من جهة ظهورهم - طمعوا في الغنيمة عند هزيمة المشركين في أوَّل الأمر، فتركوا أمر الرسول ﷺ لأجْلِ رغبتهم في عَرَضٍ من الدنيا يَنالونه[٢].

٩- وأما المسألة التاسعة: التي هي: مسألة ضَعفِ المسلمين وقِلَّة عَدَدِهم وعُدَدِهم بالنسبة إلىٰ الكفار:

فقد أوضح الله جل وعلا علاجها في كتابه، فبيَّن أنه إن علم من قلوب عباده الإخلاصَ كما ينبغي، كان من نتائج ذلك الإخلاص أن يَقْهَرُوا ويغْلِبوا

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (رقم ١٨٢٢ - آل عمران) عن الحسن البصري، وله شواهد.

(٢) كما في حديث البراء بن عازب عند البخاري، كتاب الجهاد، باب ما يكره من التنازع والاختلاط في الحرب وعقوبة من عصىٰ إمامه (٤/ ٢٦).

مَنْ هو أقوىٰ منهم؛ ولِذا لمَّا علم جل وعلا من أهل بيعة الرضوان الإخلاصَ كما ينبغي ونوَّه بإخلاصهم في قوله: ﴿۞ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [الفتح: ١٨]؛ بيَّن أنَّ من نتائج ذلك الإخلاص أنه تعالىٰ يجعلهم قادرين علىٰ ما لم يقدروا عليه، قال: ﴿وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا﴾ [الفتح: ٢١]، فصرَّح بأنهم غير قادرين عليها، وأنه أحاط بها، فأقْدَرَهُم عليها، وجعلها غنيمة لهم؛ لِمَا عَلِمَ من إخلاصهم.

ولذلك لما ضرب الكُفَّارُ علىٰ المسلمين في غزوة الأحزاب ذلك الحصارَ العسكريَّ العظيمَ المذكور في قوله تعالىٰ: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا ۝١٠ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ۝١١﴾ [الأحزاب: ١٠، ١١]، كان علاج هذا الضعف والحصار العسكري الإخلاصَ لله وقوَّة الإيمان به، قال تعالىٰ: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ۝٢٢﴾ [الأحزاب: ٢٢]؛ فكان من نتائج ذلك الإخلاص ما ذكره الله بقوله: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ۝٢٥ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ۝٢٦ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ۝٢٧﴾ [الأحزاب: ٢٥ - ٢٧].

وهذا الذي نصرهم الله به ما كانوا يظنُّونه، وهو الملائكة والريح: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ﴾ الآية [الأحزاب: ٩].

ولأجل هذا كان من الأدلة علىٰ صحة دين الإسلام أن الطائفة القليلة الضعيفة المتمسِّكة به تغلبُ الكثيرة القويَّة الكافرة: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾﴾ [البقرة: ٢٤٩].

ولذلك سمىٰ الله تعالىٰ يوم بدر: آية، وبيِّنة، وفُرْقانًا؛ لدلالته علىٰ صحة دين الإسلام، قال: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ﴾ [آل عمران: ١٣]، وذلك يوم بدر.

وقال تعالىٰ: ﴿إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ﴾ [الأنفال: ٤١]، وذلك يوم بدر.

وقال: ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾ الآية [الأنفال: ٤٢]، وذلك يوم بدر، علىٰ ما حققه بعضهم.

ولا شكَّ أن غلبة الفئة القليلة الضعيفة المؤمنة للكثيرة القوية الكافرة دليلٌ علىٰ أنها علىٰ الحق، وأنَّ الله هو الذي نصرها، كما قال في وقعة بدر: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ [آل عمران: ١٢٣]، وقال: ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ﴾ الآية [الأنفال: ١٢].

والمؤمنون الذين وعدهم الله بالنصر وبيَّن الله تعالىٰ صفاتِهم وميَّزهم بها عن غيرهم قال: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾ [الحج: ٤٠]، ثم ميزهم عن غيرهم بصفاتهم في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ [الحج: ٤١].

وهذا العلاج الذي أشرنا إليه أنه علاج للحصار العسكري، أشار تعالىٰ في سورة المنافقين إلىٰ أنه أيضًا علاج للحصار الاقتصادي، وذلك في قوله: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْۗ﴾ [المنافقون: ٧]، وهذا الذي أراد المنافقون أن يفعلوه بالمسلمين هو عين الحصار الاقتصادي، وقد أشار تعالىٰ إلىٰ أن علاجه قوةُ الإيمان به، وصدْقُ التوجُّهِ إليه جل وعلا بقوله: ﴿وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَفۡقَهُونَ ٧﴾ [المنافقون: ٧]؛ لأن من بيده خزائن السموات والأرض لا يُضَيِّعُ مُلْتجئًا إليه مطيعًا له: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

وبين ذلك أيضًا بقوله: ﴿وَإِنۡ خِفۡتُمۡ عَيۡلَةٗ فَسَوۡفَ يُغۡنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦٓ إِن شَآءَۚ﴾ [التوبة: ٢٨].

١٠- وأما المسألة العاشرة: التي هي: مشكلة اختلاف القلوب:

فقد بيَّن تعالىٰ في سورة الحشر أن سببها عدم العقل بقوله: ﴿تَحۡسَبُهُمۡ جَمِيعٗا وَقُلُوبُهُمۡ شَتَّىٰۚ﴾، ثم بين السبب بقوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡقِلُونَ ١٤﴾ [الحشر: ١٤].

ودواء ضعف العقل هو إنارته باتباع نور الوحي؛ لأن الوحي يُرْشدُ إلىٰ المصالح التي تقصُرُ عنها العقول، قال تعالىٰ: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَاۚ﴾ [الأنعام: ١٢٢]؛ فبين في هذه الآية أن نور الإيمان يحيا به من كان ميتًا، ويضيء له الطريق التي يمشي فيها.

وقال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

وقال: ﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾﴾ [الملك: ٢٢]، إلىٰ غير ذلك من الآيات.

وبالجملة: فالمصالح البشرية التي بها نظام الدنيا راجعة إلىٰ ثلاثة أنواع:

١- **الأول: دَرْءُ المفاسد** - المعروف عند أهل الأصول بالضروريات - وحاصله دفع الضرر عن الستة التي ذكرنا قبل؛ أعني: الدين، والنفس، والعقل، والنسب، والعِرْض، والمال.

٢- **الثاني: جلب المصالح** - المعروف عند أهل الأصول بالحاجات - ومن فروعه: البيوع علىٰ القول بذلك، والإجارات، وعامَّة المصالح المتبادَلة بين أفراد المجتمع علىٰ الوجه الشرعي.

٣- **النوع الثالث: التحلي بمكارم الأخلاق والجري علىٰ محاسن العادات** - المعروف عند أهل الأصول بالتحسينات والتتميمات - ومن فروعه: خصال الفِطْرة؛ كإعفاء اللحية وقص الشارب... إلخ. ومن فروعه أيضًا: تحريم المستقذَرات، ووجوب الإنفاق علىٰ الأقارب الفقراء، وكل هذه المصالح لا يكون شيءٌ أشد محافظة عليها - بالطرق الحكيمة السليمة - من دين الإسلام: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾﴾ [هود: ١].

وصلىٰ الله علىٰ محمد، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

الدرة المختصرة

في

محاسن الدين الإسلامي

تأليف الشيخ
عبد الرحمن بن ناصر السعدي

١٣٠٧هـ - ١٣٧٦هـ

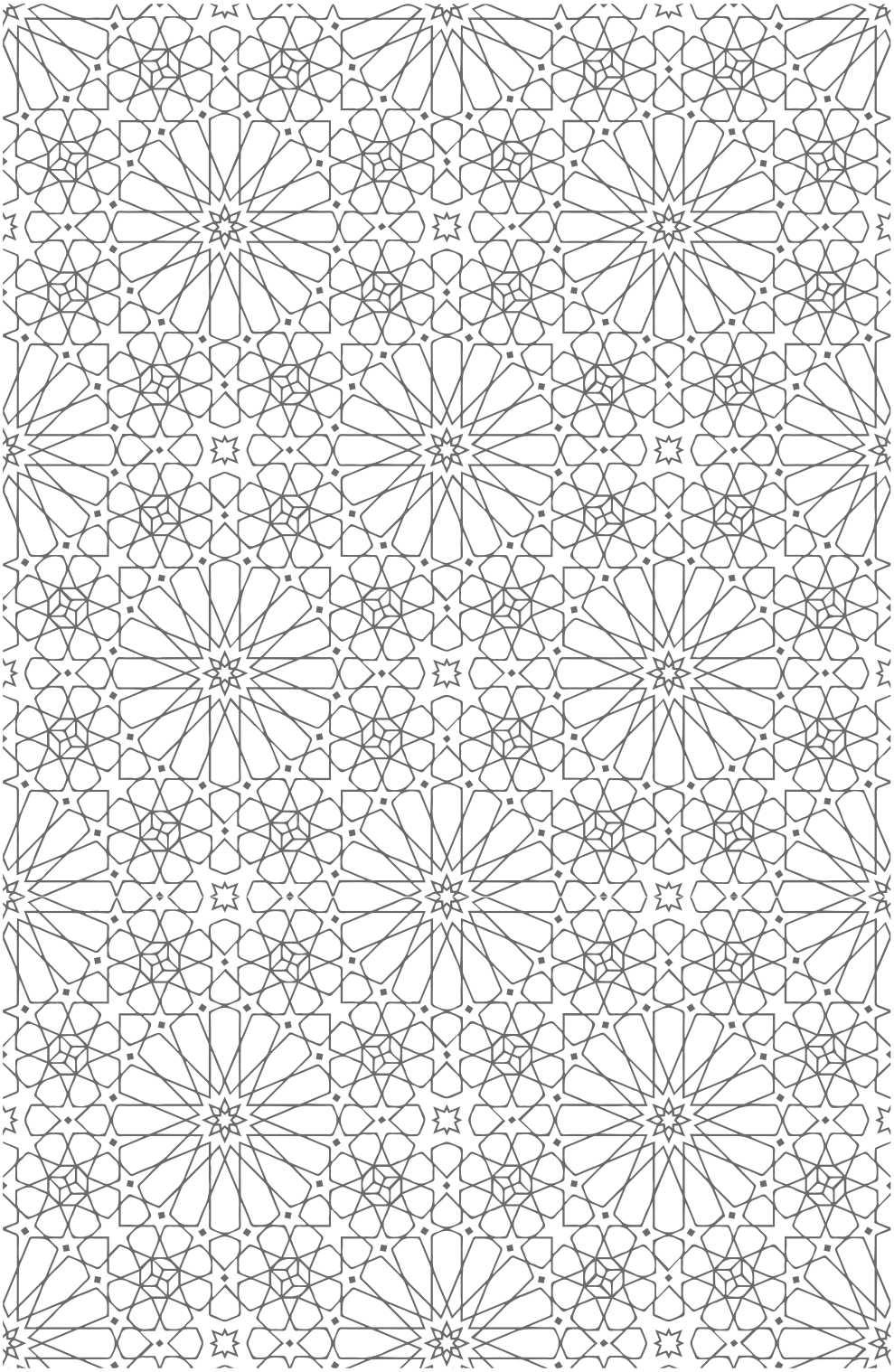

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، مَن يهدِه الله فلا مضلَّ له، ومَن يُضلل فلا هاديَ له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله ﷺ تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فإن دين الإسلام الذي جاء به محمد ﷺ أكملُ الأديان وأفضلُها، وأعلاها وأجلُّها، وقد حوىٰ من المحاسن والكمال والصلاح والرحمة والعدل والحكمة ما يشهد لله تعالىٰ بالكمال المطلق وسَعَة العلم والحكمة، ويشهد لنبيِّه ﷺ أنه رسول الله حقًّا، وأنه الصادق المصدوق، الذي لا ينطِق عن الهوىٰ إن هو إلا وحي يُوحَىٰ؛ فهذا الدين الإسلاميُّ أعظمُ برهانٍ وأجلُّ شاهدٍ لله بالتفرُّد بالكمال المطلق كلِّه، ولنبيه ﷺ بالرسالة والصدق.

وغرضي من هذا التعليق: إبداءُ ما وصل إليه علمي من بيان أصول محاسن هذا الدين العظيم؛ فإني وإن كان علمي ومعرفتي تقصُر كل القصور عن إبداء بعض ما احتوىٰ عليه هذا الدين من الجلال والجمال والكمال، وعبارتي

تضعُف عن شرحه علىٰ وجه الإجمال، فضلًا عن التفصيل في المقال، وكان ما لا يُدرَك جميعه ولا يوصل إلىٰ غايته ومعظمِه، فلا ينبغي أن يُترك منه ما يعرفه الإنسان لعجزه عما لا يعرفه، فلا يكلف الله نفسًا إلا وسعها ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾ [التغابن: ١٦]؛ وذلك أن في معرفة هذا العلم فوائدَ متعددة:

منها: أن الاشتغالَ في هذا الموضوع الذي هو أشرف الموضوعات وأجلُّها من أفضل الأعمال الصالحة؛ فمعرفته والبحثُ عنه والتفكير فيه وسلوك كلِّ طريق يحصل إلىٰ معرفته خيرُ ما شغل العبد به نفسه، والوقت الذي تنفقه في ذلك هو الوقت الذي لك لا عليك.

ومنها: أن معرفة النعم والتحدُّثَ بها قد أمر الله به ورسولُه؛ وهو من أكبر الأعمال الصالحة؛ ولا شك أن البحث في هذا اعتراف وتحدُّث وتفكُّر في أجلِّ نعمه سبحانه علىٰ عباده، وهو الدين الإسلامي الذي لا يقبل الله من أحد دينًا سواه؛ فيكون هذا التحدث شكرًا لله، واستدعاءً للمزيد من هذه النعمة.

ومنها: أن الناس يتفاوتون في الإيمان وكماله تفاوُتًا عظيمًا، وكلما كان العبد أعرفَ بهذا الدين وأشدَّ تعظيمًا له وسرورًا به وابتهاجًا، كان أكملَ إيمانًا وأصحَّ يقينًا؛ فإنه برهان علىٰ جميع أصول الإيمان وقواعده.

ومنها: أن من أكبر الدعوة إلىٰ دين الإسلام شَرْحَ ما احتوىٰ عليه من المحاسن التي يقبلها ويتقبَّلُها كلُّ صاحب عقل وفطرة سليمة؛ فلو تصدىٰ للدعوة إلىٰ هذا الدين رجالٌ يشرحون حقائقه، ويبينون للخلق مصالحه؛ لكان ذلك كافيًا

كفاية تامةً في جذب الخلق إليه؛ لما يرون من موافقته للمصالح الدينية والدنيوية، ولصلاح الظاهر والباطن من غير حاجة إلىٰ التعرُّض لدفع شبه المعارِضين، والطعن في أديان المخالفين؛ فإنه في نفسه يدفَعُ كلَّ شبهة تعارضه؛ لأنه حق مقرون بالبيان الواضح والبراهينِ المُوصِّلة إلىٰ اليقين؛ فإذا كُشِفَ عن بعض حقائق هذا الدين صار أكبرَ داعٍ إلىٰ قَبولِه ورُجحانِه علىٰ غيره.

واعلم أن محاسن الدين الإسلامي عامةٌ في جميع مسائله ودلائله، وفي أصوله وفروعه، وفيما دل عليه من علوم الشرع والأحكام، وما دل عليه من علوم الكون والاجتماع، وليس القصد هنا استيعابَ ذلك وتتبُّعَه؛ فإنه يستدعي بسطًا كثيرًا، وإنما الغرضُ ذكرُ أمثلةٍ نافعة يُستدَلُّ بها علىٰ سواها، وينفتح بها الباب لمن أراد الدخول، وهي أمثلة منتشرة في الأصول والفروع، والعبادات والمعاملات.

فنقول مستعينين بالله، راجين منه أن يهدينا ويعلمنا، ويفتحَ لنا من خزائن جُودِه وكرمه ما تصلح به أحوالنا، وتستقيم به أقوالنا وأفعالنا:

المثال الأول

* دين الإسلام مبنيٌّ علىٰ أصول الإيمان المذكورة في قوله تعالىٰ: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦﴾ [البقرة: ١٣٦]؛ فهذه الأصول العظيمة التي أمر الله عباده بها هي الأصول التي اتفق

عليها الأنبياء والمرسلون، وهي محتوية علىٰ أجلِّ المعارف والاعتقادات؛ من الإيمان بكل ما وصف الله به نفسه علىٰ ألسنة رسله، وعلىٰ بذل الجهد في سلوك مَرضاتِه.

فدينٌ أصلُه الإيمان بالله، وثمرتُه السعيُ في كل ما يحبه ويرضاه وإخلاصُ ذلك لله، هل يُتَصَوَّر أن يكون دينٌ أحسنَ منه وأجلَّ وأفضلَ؟!

ودينٌ أمر بالإيمان بكل ما أوتيه الأنبياء، والتصديقِ برسالاتهم، والاعترافِ بالحق الذي جاؤوا به من عند ربهم، وعدمِ التفريق بينهم، وأنَّهم كلَّهم رسلُ الله الصادقون، وأُمَناؤُه المخلصون - يستحيل أن يتوجه إليه أيُّ اعتراضٍ وقدحٍ؛ فهو يأمر بكل حق، ويعترف بكل صدق، ويقرر الحقائق الدينية المستندة إلىٰ وحي الله لرسله، ويجري مع الحقائق العقلية الفطرية النافعة، ولا يرد حقًّا بوجه من الوجوه، ولا يصدِّق بكذبٍ، ولا يَرُوجُ عليه الباطل؛ فهو مُهَيمِنٌ علىٰ سائر الأديان: يأمر بمحاسن الأعمال ومكارم الأخلاق ومصالح العباد، ويحث علىٰ العدل والفضل والرحمة والخير، ويزجر عن الظلم والبغي ومساوئ الأخلاق... ما من خصلةِ كمالٍ قررها الأنبياء والمرسلون إلا وقرَّرها وأثْبَتَها، وما من مصلحة دينية ودنيوية دعت إليها الشرائع إلا حثَّ عليها، ولا مفسدةٍ إلا نهىٰ عنها وأمر بِمُجانَبَتِها.

* **والمقصود**: أن عقائد هذا الدين هي التي تزكو بها القلوب، وتَصلُحُ الأرواحُ، وتتأصَّلُ بها مكارمُ الأخلاق ومحاسِنُ الأعمال.

المثال الثاني

شرائعُ الإسلام الكبار بعد الإيمان: هي إقامُ الصلاة، وإيتاءُ الزكاة، وصومُ رمضان، وحجُّ البيت الحرام.

تأمَّلْ هذه الشرائعَ العظيمةَ وجليلَ منافِعِها وما تُوجِبُه من السعي في مرضاة الله والفوز بثوابه العاجل والآجل.

وتأمَّلْ ما في الصلاة من الإخلاص لله والإقبال التامِّ عليه، والثناء والدعاء والخضوع، وأنها من شجرة الإيمان بمنزلة الملاحَظَة والسَّقيِ للبستان؛ فلولا تكرُّرُ الصلاة في اليوم والليلة ليَبِسَت شجرةُ الإيمان وذَوَىٰ عُودُه، ولكنها تنمو وتتجدد بعبوديات الصلاة.

وانظر إلىٰ ما تحتوي عليه الصلاة منَ الاشتغالِ بذكر الله الذي هو أكبر من كل شيء، وأنها تنهىٰ عن الفحشاء والمنكر.

وانظر إلىٰ حِكَمِ الزكاة وما فيها من التخلق بأخلاق الكرام من السخاء والجود، والبُعد عن أخلاق اللِّئام، والشكر لله علىٰ ما أولاه من الإنعام، وحفظ المال من المنغِّصات الحسية والمعنوية، وما فيها من الإحسان إلىٰ الخلق ومواساة المحتاجين، وسداد مصالحِ المحتاج إليها؛ فإن في الزكاة دَفْعَ حاجة المضطرين المحتاجين، وفيها الاستعانةُ علىٰ الجهاد والمصالح الكلية التي لا يستغني عنها المسلمون، وفيها دَفْعُ صَولَةِ الفقر والفقراء، وفيها الثقة بخَلَف الله والرجاءُ لثوابه وتصديقُ موعوده.

وفي الصوم من تمرين النفوس علىٰ ترك محبوبها الذي ألفته حبًّا لله وتقرُّبًا، وتعويد النفوس وتمرينها علىٰ قوة العزيمة والصبر، وفيه تقوية داعي الإخلاص وتحقيق محبته علىٰ محبة النفس؛ ولذلك كان الصوم لله، اختصه لنفسه من بين سائر الأعمال.

وأما ما في الحج من بذل الأموال، وتحمُّل المشقات، والتعرُّض للأخطار والصعوبات؛ طلبًا لرضا الله والوِفادَة علىٰ الله، والتملُّق له في بيته وفي عَرَصاتِه، والتنوُّع في عبوديات الله في تلك المشاعرِ التي هي موائِدُ مدَّها الله لعبادِه ووُفودِ بيته، وما فيها من التعظيم والخضوع التامِّ لله والتذكُّر لأحوال الأنبياء والمرسلين والأصفياء والمخلصين، وتقوية الإيمان بهم، وشدة التعلُّق بمحبتهم، وما فيه من التَّعارُف بين المسلمين، والسعي في جمع كلمتهم واتفاقهم علىٰ مصالحهم الخاصة والعامة مما لا يمكن تَعدادُه؛ فإنه من أعظم محاسن الدين، وأجلِّ الفوائد الحاصلة للمؤمنين. وهذا علىٰ وجه التنبيه والاختصار.

المثال الثالث

* ما أمر به الشارع وحث عليه من وجوب الاجتماع والائتلاف، ونهيُه وتحذيرُه عن التفرق والاختلاف، علىٰ هذا الأصل الكبير من نصوص الكتاب والسنة شيء كثير، وقد علم كلُّ من له أدنىٰ معقولٍ منفعةَ هذا الأمر، وما يترتب عليه من المصالح الدينية والدنيوية، وما يندفع به من المضار والمفاسد.

ولا يخفىٰ أيضًا أن القوةَ المعنويةَ المبنيَّةَ علىٰ الحق هذا أصلها الذي تدور عليه، كما أنه قد عُلم ما كان عليه المسلمون في صدر الإسلام من استقامة الدين وصلاح الأحوال والعزة التي لم يصل إليها أحد سواهم؛ إذ كانوا مستمسكين بهذا الأصل قائمين به حق القيام، مُوقِنين أشدَّ اليقين أنه رُوحُ دِينِهم.

يزيد هذا بيانًا وإيضاحًا:

المثال الرابع

أن دين الإسلام دين رحمة وبركة وإحسان، وحثٌّ علىٰ منفعة نوع الإنسان؛ فما عليه هذا الدين من الرحمة وحسن المعاملة والدعوة إلىٰ الإحسان، والنهي عن كل ما يضادُّ ذلك - هو الذي صيَّره نورًا وضياءً بين ظُلُماتِ الظلم والبغي وسوءِ المعاملة وانتهاكِ الحرمات، وهو الذي جذب قلوبَ مَن كانوا قبلَ معرفته ألدَّ أعدائه حتىٰ استظلُّوا بظلِّه الظليل، وهو الذي عطف وحنا علىٰ أهله حتىٰ صارت الرحمة والعفو والإحسان يتدفَّق من قلوبهم علىٰ أقوالهم وأعمالهم، وتخطاهم إلىٰ أعدائه، حتىٰ صاروا من أعظم أوليائه؛ فمنهم مَن دخل فيه بحسن بصيرة وقوة وُجدانٍ، ومنهم من خضع له ورغب في أحكامه وفضَّلها علىٰ أحكام أهل دينه؛ لما فيها من العدل والرحمة.

المثال الخامس

دين الإسلام: هو دين الحكمة، ودين الفطرة، ودين العقل والصلاح والفلاح.

يوضح هذا الأصل: ما هو محتوٍ عليه من الأحكام الأصولية والفروعية،

التي تقبَلُها الفِطَرُ والعقولُ، وتنقاد لها بوازِعِ الحق والصواب، وما هي عليه من الإحكام وحسن الانتظام، وأنها صالحة لكل زمان ومكان.

فأخباره كلها حق وصدق، لم يأت -ويستحيل أن يأتي- علمٌ سابق أو لاحِقٌ بما يَنقُضُها أو يُكَذِّبُها، وإنما العلوم الحقَّةُ كُلُّها تؤازرها وتؤيِّدُها، وهي أعظمُ برهانٍ علىٰ صدقها، وقد حقَّق المحققون المنصفون أن كل علم نافع -دينيٍّ أو دنيويٍّ أو سياسيٍّ- فقد دل عليه القرآن دلالةً لا ريب فيها؛ فليس في شريعة الإسلام ما تُحِيلُه العقول، وإنما فيه ما تشهَدُ العقول الزكية بصدقِه ونَفعِه وصلاحِه.

وكذلك أوامِرُه ونواهِيهِ كلُّها عدل لا ظلمَ فيها، فما أمر بشيء إلا وهو خير خالص أو راجِحٌ، وما نهىٰ إلا عن الشر الخالص أو الذي مفسدته تزيد علىٰ مصلحته، وكلما تدبر اللبيبُ أحكامَه ازداد إيمانًا بهذا الأصل، وعلم أنه تنزيل من حكيمٍ حميدٍ.

المثال السادس

ما جاء به هذا الدين من الجهاد، والأمر بكل معروف، والنهي عن كل منكر.

❋ فإن الجهاد الذي جاء به مقصودٌ به دفع عدوان المعتدين علىٰ حقوق هذا الدين وعلىٰ رد دعوته، وهو أفضلُ أنواع الجهاد، لم يُقصَد به جشعٌ ولا طمعٌ ولا أغراض نفسية، ومن نظر إلىٰ أدلة هذا الأصل، وسيرة النبي ﷺ

وأصحابه مع أعدائهم، عَرَف بلا شك أن الجهاد يدخل في الضروريات ودفع عادية المعتدين.

* وكذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لمَّا كان لا يستقيم هذا الدين إلا باستقامة أهله علىٰ أصوله وشرائعه، وامتثال أوامره التي هي الغاية في الصلاح، واجتناب نواهيه التي هي شر وفساد، وكان أهله ملتزِمين لهذه الأمور، ولكيلا تُزيِّن لبعضهم نفوسُهم الظالمة التجرُّؤَ علىٰ بعض المحرمات والتقصير في أداء المقدور عليه من الواجبات، وكان ذلك لا يتم إلا بأمر ونهي بحسب ذلك؛ كان ذلك من أجلِّ محاسن الدين ومن أعظم الضروريات لقيامه، كما أن في ذلك تقويمَ المُعوَجِّين من أهله وتهذيبَهُم، وقَمْعَهم عن رذائِلِ الأمور وحَمْلَهُم علىٰ معاليها، وأما إطلاق الحرية لهم -وهم قد التزموه، ودخلوا تحت حكمه، وتقيدوا بشرائعه- فمن أعظم الظلم والضرر، عليهم وعلىٰ المجتمع، خصوصًا الحقوق الواجبة المطلوبة شرعًا وعقلًا وعرفًا.

المثال السابع

ما جاءت به الشريعة من إباحة البيوع والإجارات والشركات وأنواع المعاملات التي تُتبَادَلُ فيها المعاوضاتُ بين الناس في الأعيان والديون والمنافع وغيرها.

فقد جاءت الشريعة الكاملة بِحِلِّ هذا النوع وإطلاقه للعباد؛ لاشتماله علىٰ المصالح في الضروريات والحاجيات والكماليات، وفسحت للعباد فسحًا

صَلَحت به أمورُهم وأحوالُهم، واستقامت معايِشُهم.

وشَرَطت الشريعة في حِل هذه الأشياء الرضا من الطرفين، واشتمالَ العقود علىٰ العلم، ومعرفة المعقود عليه وموضوع العقد، ومعرفة ما يترتب عليه من الشروط، ومَنَعت من كل ما فيه ضرر وظلم من أقسام الميسر والربا والجَهالة.

فمن تأمل المعاملات الشرعية رأىٰ ارتباطَها بصلاح الدين والدنيا، وشهد لله بسَعَةِ الرحمة وتمام الحكمة، حيث أباح سبحانه لعباده جميعَ الطيبات من مكاسبَ ومطاعمَ ومشاربَ، وطرق المنافع المنظمة المحكَمَة.

المثال الثامن

ما جاءت به الشريعة من إباحة الطيبات من المطاعم والمشارب والملابس والمناكح وغيرها.

* فكل طيب نافع فقد أباحه الشارع من أصناف الحبوب والثمار ولحوم الحيوانات البحرية مطلقًا والحيوانات البرية، ولم يَمنَعْ من هذا إلا كلَّ خبيث ضار علىٰ الدين أو العقل أو البدن أو المال؛ فما أباحه فإنه من إحسانه سبحانه ومحاسن دينه، وما منعه فإنه من إحسانه؛ حيث منعهم مما يضرهم، ومن محاسن دينه؛ حيث إن الحسن تابع للحكمة والمصلحة ومراعاة المضار.

وكذلك ما أباحه من الأنكحة، وأن للعبد أن ينكح ما طاب له من النساء مَثنَىٰ وثُلاثَ ورُباعَ؛ لما في ذلك من مصلحة الطرفين، ودفع ضرر الجانبين،

ولم يبح للعبد الجمعَ بين أكثر من أربع حرائرَ؛ لما يترتب علىٰ ذلك من الظلم وترك العدل، مع أنه حثَّه عند خوف الظلم وعدم القدرة علىٰ إقامة حدود الله في الزوجية، علىٰ الاقتصار علىٰ واحدة؛ حرصًا علىٰ نيل هذا المقصود؛ وكما أن الزواج من أكبر النعم ومن الضروريات، فإباحة الطلاق كذلك؛ خشية عيشة الإنسان مع مَن لا تلائمه ولا توافقه، واضطراره للبقاء في ضنك الحال وشدة العسر، ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ﴾ [النساء: ١٣٠].

المثال التاسع

ما شرعه الله ورسوله بين الخلق من الحقوق التي هي صلاح وخير وإحسان وعدل وقسط وترك للظلم.

وذلك كالحقوق التي أوجبها وشَرَعها للوالدين والأولاد والأقارب والجيران والأصحاب والمعامِلين، ولكل واحد من الزوجين علىٰ الآخر، وكلها حقوقٌ ضروريةٌ وكمالياتٌ، تستحسنها الفِطَر والعقول الزاكية، وتتم بها المخالطة، وتُتبادَل فيها المصالح والمنافع، بحسب حال صاحب الحق ومرتبته.

وكلما تفكَّرْتَ فيها رأيتَ فيها من الخير وزوال الشر، ووجدت فيها من المنافع العامة والخاصة والألفة وتمام العشرة: ما يُشهِدك أن هذه الشريعة كفيلة بسعادة الدارين.

ترىٰ فيها هذه الحقوق تجري مع الزمان والمكان والأحوال والعرف، وتراها محصِّلةً للمصالح، حاصلًا فيها التعاونُ التام علىٰ أمور الدين والدنيا،

جابِرةً للخواطر، مزيلةً للبغضاء والشحناء. وهذه الجمل تُعرَف بالاستقراء والتتبُّع لها في مصادرها ومواردها.

المثال العاشر

ما جاءت به الشريعة من انتقال المال والتركات بعد الموت، وكيفية توزيع المال علىٰ الورثة.

وقد أشار - تعالىٰ - إلىٰ حكمة ذلك بقوله: ﴿لَا تَدۡرُونَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ لَكُمۡ نَفۡعٗا﴾ [النساء: ١١]؛ فوضعها الله بنفسه بحسب ما يعلمه من قُربِ النفع وما يحب العبد عادة أن يصل إليه مالُه، وما هو أولىٰ ببره وفضله، مرتِّبًا ذلك ترتيبًا تشهد العقول الصحيحة بحُسنه، وأنه لو وكل الأمر إلىٰ آراء الناس وأهوائهم وإراداتهم لَحَصل بسبب ذلك من الخلل والاختلال وزوال الانتظام وسوء الاختيار ما يشبه الفوضىٰ، وجعل الشارع للعبد أن يوصي في جهات البر والتقوىٰ بشيء من ماله فيما ينفعه لآخرته، وقيد ذلك بالثلث فأقلَّ لغيرِ وارثٍ؛ لئلَّا تصير الأمور التي جعلها الله قيامًا للناس مَلعَبَةً يَتلاعَب بها قاصِرُو العقول والديانة عند انتقالهم من الدنيا، أما حالهم في حالة صحة الأجسام والعقول، فما يخشونه من الفقر والإفلاس مانعٌ لهم من صَرفِه فيما يضرهم غالبًا.

المثال الحادي عشر

ما جاءت به الشريعة الإسلامية من الحدود وتنوعها بحسب الجرائم.

* وهذا لأن الجرائمَ والتعديَ علىٰ حقوق الله وحقوق عباده من أعظم الظلم

الذي يخل بالنظام، ويختل به الدين والدنيا؛ فوضع الشارع للجرائم والتجرُّؤات حدودًا تَردَع عن مُواقَعَتها، وتخفِّف من وَطأتِها، من القتل والقطع والجَلد وأنواع التعزيرات، وكلها فيها من المنافع والمصالح الخاصة والعامة ما يعرف به العاقل حُسْنَ الشريعة، وأن الشرور لا يمكن أن تُقاوَمَ وتُدفَعَ دفعًا كاملًا إلا بالحدود الشرعية التي رتَّبها الشارع بحسب الجرائم قلةً وكثرةً، وشدةً وضعفًا.

المثال الثاني عشر

ما جاءت به الشريعة من الأمر بالحجر علىٰ الإنسان عن التصرف في ماله إذا كان تصرُّفُه مضرًّا به أو بغيره.

وذلك كالحجر علىٰ المجنون والصغير والسفيه ونحوهم، والحجر علىٰ الغريم لمصلحة غرمائه.

* وكل هذا من محاسن الشريعة؛ حيث منعت الإنسان من التصرُّف في ماله الذي كان في الأصل مطلقَ التصرُّف فيه، ولكن لما كان تصرُّفُه ضررُه أكثرُ من نفعه وشرُّه أكبَرُ من خيره؛ حجر عليه الشارع حجرًا للتصرفات في ميدان المصالح، وإرشادًا للعباد أن يَسْعَوا في كلِّ تصرُّف نافعٍ غيرِ ضارٍّ.

المثال الثالث عشر

ما جاءت به الشريعة من مشروعية الوثائق التي يتوثَّق بها أهلُ الحقوق.

* وذلك كالشهادة التي تُستوفَىٰ بها الحقوق، وتَمنَع التَّجاحُدَ، ويزول بها الارتياب.

وكالرهن والضمان والكفالة التي إذا تعذَّر الاستيفاءُ ممَّن عليه الحقُّ رجع صاحبُ الحق إلىٰ الوثيقة التي يُستوفَىٰ منها.

ولا يخفىٰ ما في ذلك من المنافع المتنوعة، وحفظ الحقوق، وتوسيع المعاملات، وردِّها إلىٰ القسط والعدل، وصلاح الأحوال، واستقامة المعاملات.

فلولا الوثائقُ لتعطَّلَ القسم الأكبر من المعاملات؛ فإنها نافعةٌ للمتوثِّق، نافعة لمن عليه الحق من وجوهٍ متعددة معروفة.

المثال الرابع عشر

ما حث الشارع عليه من الإحسان الذي يُكسِب صاحبَه الأجر عند الله والمعروف عند الناس، ثم يرجع إليه ماله بعينه أو بدله، فيكون مكسبُ هذا النوع أجلَّ المكاسب دون أن يَلحَق صاحبَه ضررٌ.

وذلك كالقرض والعاريَّة ونحوهما.

فإن في ذلك من المصالح وقضاء الحاجات، وتفريج الكربات، وحصول الخير والمَبَرَّات: ما لا يعدُّ ولا يُحصَىٰ.

وصاحبه يرجع إليه مالُه وقد استفاد من ربه أجرًا جزيلًا، وبَذَر عند أخيه إحسانًا وجميلًا، مع ما يتبع ذلك من الخير والبركة، وانشراح الصدر، وحصول الألفة والمودة.

وأما الإحسان المحضُ الذي يعطيه صاحبه مجانًا ولا يرجع إليه، فقد تقدمت الإشارة إلىٰ حكمته في الزكاة والصدقة.

المثال الخامس عشر

الأصول والقواعد التي جعلها الشارع أسسًا لفصل الخصومات، وحل المشكلات، وترجيح أحد المتداعِيَينِ علىٰ الآخر.

فإنها أصول مبنية علىٰ العدل والبرهان، واطِّرادِ العُرف، ومُوافَقَة الفِطَر؛ فإنه جعل البينة علىٰ كلِّ مَن ادَّعىٰ شيئًا أو حقًّا من الحقوق، فإذا أتىٰ بالبينة التي ترجح جانبه وتقويه، ثبت له الحق الذي ادعىٰ به، ومتىٰ لم يأت إلا بمجرد الدعوىٰ، حلف المدعَىٰ عليه علىٰ نفي الدعوىٰ، ولم يتوجه للمدعىٰ عليه حقٌّ.

* وجعل الشارعُ البيناتِ بحسب مراتبِ الأشياء، وجعل القرائنَ المبيِّنة والعرفَ المطَّرِدَ بين الناس من البيناتِ.

فالبينة: اسمٌ لكلِّ ما يبيِّن الحقَّ ويدلُّ عليه.

وجعل عند الاشتباه وتساوي الخَصمَين طريقَ الصلحِ العادل المناسِب لكلِّ قضية طريقًا إلىٰ حل المشاكل والمنازعات.

فكل طريق لا ظلم فيه ولا يُدخِل العباد في معصية الله - وهو نافع لهم -، فقد حث عليه إذا كان وسيلةً إلىٰ فصل الخصومات وقطع المشاجرات.

وساوىٰ في هذا بين القوي والضعيف، والرئيس والمرؤوس في جميع الحقوق.

وأرضىٰ الخصومَ بسلوك طرق العدل وعدم الحَيفِ.

المثال السادس عشر

ما جاءت به الشريعة من الأمر بالشورىٰ والثناء علىٰ المؤمنين بأن جميع أمورهم الدينية والدنيوية الداخلية والخارجية شورىٰ بينهم.

* وهذا الأصل الكبير قد أجمَعَ العقلاء علىٰ استحسانه، وعلىٰ أنه هو السبب الوحيد في سلوك أصلح الأحوال وأحسن الوسائل لحصول المقاصد، وإصابة الصواب، وسلوك طرق العدل.

وأنه أرقىٰ للأمم العاملة عليه في تحصيل كل خير وصلاح، وكلما ازدادت معارِفُ الناس واتسعَت أفكارُهم، عَرَفوا شدةَ الحاجة لهذا ومقدارَه.

ولما كان المسلمون قد طبقوا هذا الأصل في صدر الإسلام علىٰ أمورهم الدينية والدنيوية، كانت الأمور مستقيمةً، والأحوال في رقيٍّ وازديادٍ، فلما انحرفوا عن هذا الأصل، ما زالوا في انحطاطٍ في دينهم ودنياهم، حتىٰ وصلت بهم الحال إلىٰ ما ترىٰ؛ فلو راجعوا دينهم في هذا الأصل وغيره لَأَفلحوا ونجحوا.

المثال السابع عشر

أن هذه الشريعة جاءت بإصلاح الدين وإصلاح الدنيا، والجمع بين مصلحة الروح والجسد.

وهذا الأصل في الكتاب والسنة منه شيء كثير، يحث الله ورسوله علىٰ

القيام بالأمرين، وأنَّ كلَّ واحد منهما مُمِدٌّ للآخر ومُعِينٌ عليه.

والله تعالىٰ خلق الخلق لعبادته والقيام بحقوقه، وأدرَّ عليهم الأرزاق، ونوَّع لهم أسباب الرزق وطرق المعيشة؛ ليستعينوا بذلك علىٰ عبادته، وليكون ذلك قيامًا لداخليَّتِهم وخارجيَّتِهم، ولم يأمر بتغذية الروح وحدها وإهمال الجسد، كما أنه نهىٰ عن الاشتغال باللذات والشهوات وتقوية مصالح القلب والروح[1].

ويتضح هذا في أصل آخر، وهو هذا:

المثال الثامن عشر

أن الشرع جعل العلم والدين والولاية والحكم متآزراتٍ متعاضداتٍ.

* فالعلم والدين يقوم الولايات وتنبني عليه السلطة والأحكام.

والولايات كلها مقيَّدة بالعلم والدين، الذي هو الحكمة، وهو الصراط المستقيم، وهو الصلاح والفلاح والنجاح.

فحيث كان الدين والسلطة مقترنَينِ متساعِدَين، فإن الأمور تصلح، والأحوال تستقيم.

وحيث فُصِل أحدهما عن الآخر، اختلَّ النظام، وفَقَدَ الصلاحَ والإصلاحَ، ووقعت الفُرقَةُ، وتباعدت القلوب، وأخذ أمرُ الناس في الانحطاط.

يؤيد هذا: أن العلومَ مهما اتسعَت، والمعارفَ مهما تنوعت، والاختراعات

---

(١) كذا في الأصل. ولعل الصواب: وأمر بتقوية مصالح...

مهما عظمت وكثرت: فإنه لم يَرِدْ منها شيء ينافي ما دل عليه القرآن، ولا يناقض ما جاءت به الشريعة.

فالشرع لا يأتي بما تحيله العقول؛ وإنما يأتي بما تشهد العقول الصحيحة بحسنه، أو بما لا يهتدي العقل إلىٰ معرفته جملة أو تفصيلًا.

وهذا ينبغي أن يكون مثالًا آخر، وهو:

المثال التاسع عشر

أن الشرع لا يأتي بما تحيله العقول، ولا بما ينقضه العلم الصحيح.

وهذا من أكبر الأدلة علىٰ أن ما عند الله محكم ثابت، صالح لكل زمان ومكان.

* وهذه الجمل المختصرة تُعرف علىٰ وجه التفصيل بالتتبع والاستقراء لجميع الحوادث الكونية وحوادث علوم الاجتماع، وتطبيق ذلك إذا كان من الحقائق الصحيحة علىٰ ما جاء به الشرع؛ فبذلك يُعرف أنه تبيانٌ لكل شيء، وأنه لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها.

المثال العشرون

نظرة مجملة في فتوحات الإسلام المتسعة الخارقة للعوائد، ثم لبقائه محترمًا مع تكالُب الأعداء ومقاوماتِهم العنيفة ومواقفهم المعروفة معه.

* وذلك أن مَن نظر إلىٰ منبع هذا الدين، وكيف أَلَّف جزيرةَ العرب علىٰ افتراق قلوبها وكثرة ضَغائِنها وتعادِيها، وكيف أَلَّفهم وجمع قاصيَهُم لدانيهم،

وأزال تلك العداوات، وأحلَّ الأخوة الإيمانية محلها.

ثم اندفعوا في أقطار الأرض يفتحونها قطرًا قطرًا، وفي مقدمة هذه الأقطار أمة فارس والروم أقوىٰ الأمم وأعظمُها ملكًا، وأشدُّها قوةً، وأكثرُها عَدَدًا وعُدَّة، ففتحوهما وما وراءهما بفضل دينهم وقوة إيمانهم ونصر الله ومعونته لهم، حتىٰ وصل الإسلام مشارقَ الأرض ومغاربها.

فصار هذا يعد من آيات الله، وبراهين دينه، ومعجزات نبيه، وبهذا دخل الخلق فيه أفواجًا ببصيرة وطُمأنِينة، لا بقهرٍ ولا إزعاج.

* فمن نظر نظرة إجمالية إلىٰ هذا الأمر، عرف أن هذا هو الحق الذي لا يقوم له الباطل مهما عَظُمت قوته وتعاظمت سَطوَتُه.

وهذا يعرف ببداهة العقول، ولا يرتاب فيه منصف، وهو من الضروريات.

بخلاف ما يقوله طائفة من كُتَّاب هذا العصر، الذين دفعهم الرضوخُ الفكريُّ إلىٰ مشايعة أعداء الإسلام؛ فزعموا أن انتشار الإسلام وفتوحَه الخارقةَ للعادة مبني علىٰ أمور مادية محضة، حللوها بمزاعمهم الخاطئة.

ويرجع تحليلها إلىٰ ضعف دولة الأكاسرة ودولة الرومان، وقوة المادة في العرب.

وهذا مجردُ تصوُّرِه كافٍ في إبطاله.

فأي قوة في العرب تؤهلهم لمقاومة أدنىٰ حكومة من الحكومات الصغيرة في ذلك الوقت؟ فضلًا عن الحكومات الكبيرة الضخمة، فضلًا عن مقاومة

أضخم الأمم في وقتها علىٰ الإطلاق وأقواها وأعظمها عددًا وعُدَّةً في وقت واحد، حتىٰ مزقوا الجميع كلَّ مُمَزَّقٍ، وحلت محلَّ أحكام هؤلاء الملوكِ الجبابرةِ أحكامُ القرآن والدين العادلة، التي قَبِلها وتلقَّاها بالقبول كلُّ منصِفٍ مريدٍ للحقِّ.

فهل يمكن تفسير هذا الفتح المنتشِر المتسع الأرجاء بتفوُّق العرب في الأمور المادية المحضة؟

وإنما يتكلم بهذا مَن يريد القدح في الدين الإسلامي، أو مَن راج عليهم كلامُ الأعداء من غير معرفة للحقائق.

* ثم بقاء هذا الدين علىٰ توالي النكبات وتكالُب الأعداء علىٰ مَحْقِه وإبطاله بالكلية - من آيات هذا الدين وأنه دين الله الحق؛ فلو ساعدته قوة كافية تُرُدُّ عنه عادِيَةَ العادِينَ وطغيان الطاغين، لم يبق علىٰ وجه الأرض دين سواه، ولَقَبِلَه الخلق من غير إكراه ولا إلزام؛ لأنه دين الحق ودين الفطرة ودين الصلاح والإصلاح، لكنَّ تقصيرَ أهلِه وضَعفَهم وتفرُّقَهم وضغطَ أَعدائِهم عليهم هو الذي أوقف سَيرَه؛ فلا حول ولا قوة إلا بالله!

المثال الحادي والعشرون الجامع لكل ما سبق

دين الإسلام مبني علىٰ العقائد الصحيحة النافعة، وعلىٰ الأخلاق الكريمة المهذبة للأرواح والعقول، وعلىٰ الأعمال المصلحة للأحوال، وعلىٰ البراهين في أصوله وفروعه، وعلىٰ نبذ الوثنيات والتعلق بالمخلوقين والمخلوقات،

وإخلاص الدين لله رب العالمين، وعلىٰ نبذ الخرافات والخُزَعبَلات المنافية للحسِّ والعقل المحيِّرة للفكر، وعلىٰ الصلاح المطلق، وعلىٰ دفع كل شر وفساد، وعلىٰ العدل ورفع الظلم بكل طريق، وعلىٰ الحث علىٰ الرقي لأنواع الكمالات.

* وهذه الجمل يطول تفصيلها، وكلُّ مَن له أدنىٰ معرفة يهتدي إلىٰ تفصيلها علىٰ وجه الوضوح والبيان الذي لا إشكال فيه.

ولنقتصر علىٰ هذا الكلام علىٰ اختصاره؛ فإنه يحتوي علىٰ أصول وقواعد يُعرَف بها ما للإسلام من الكمال والعظمة والإصلاح الحقيقي لكل شيء.

وبالله التوفيق

وقع الفراغ من تعليقها غرةَ جمادىٰ الأولىٰ سنة (١٣٦٤هـ).

وصلىٰ الله علىٰ محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

بقلم معلقها

عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي

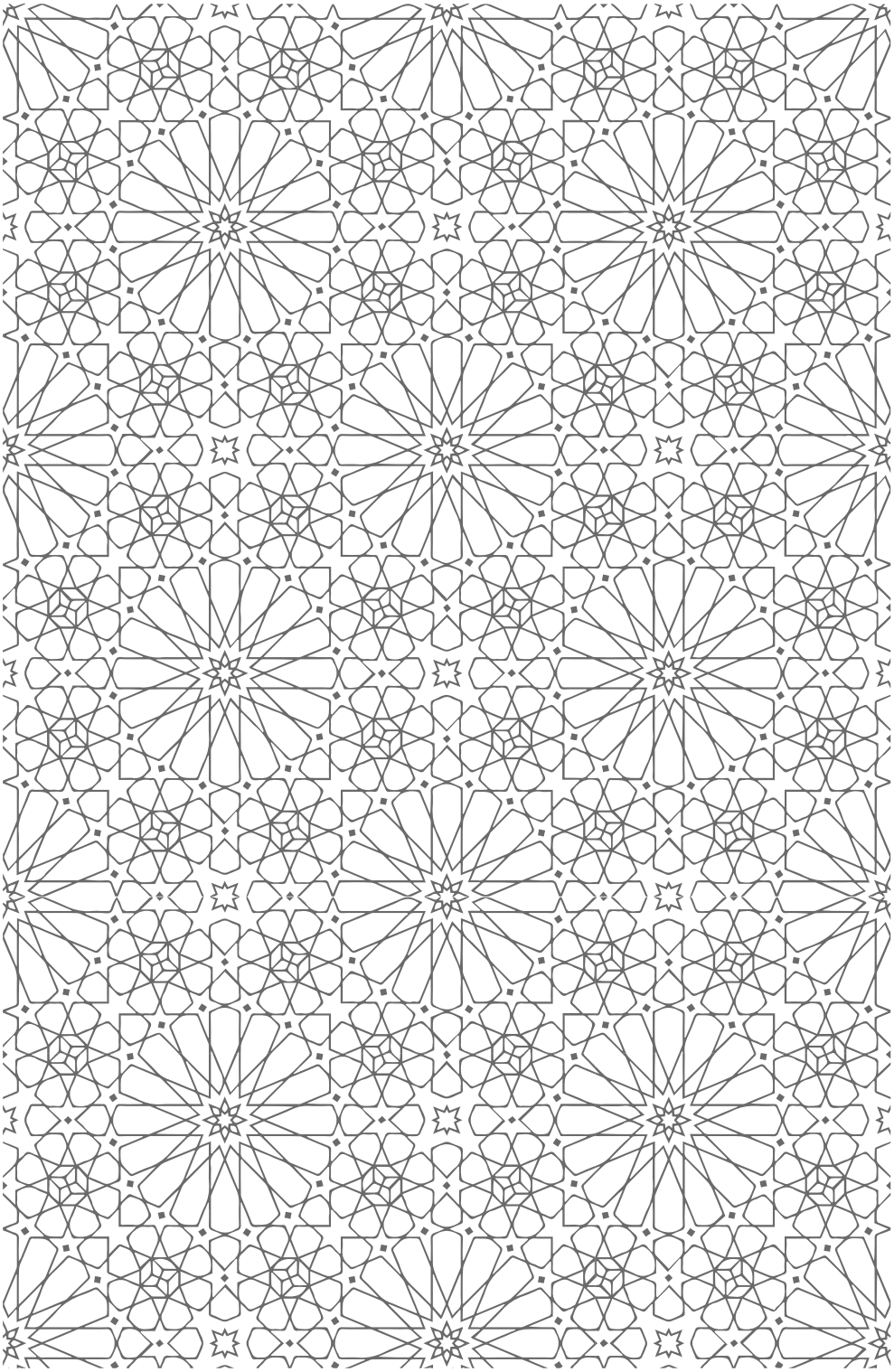

الدين الصحيح
يحل جميع المشاكل

تأليف الشيخ
عبد الرحمن بن ناصر السعدي

١٣٠٧هـ - ١٣٧٦هـ

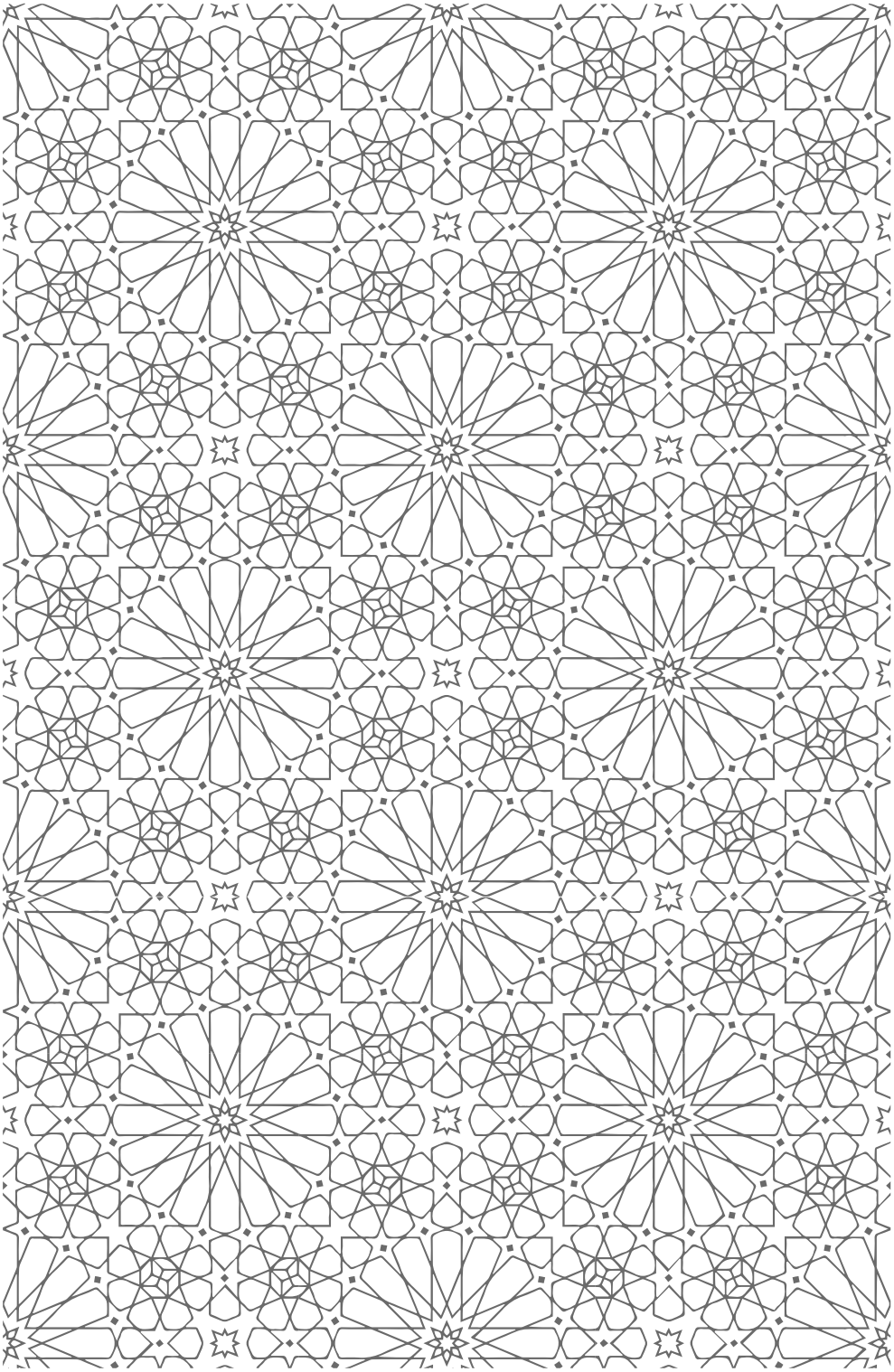

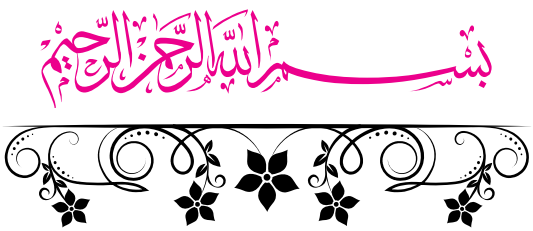

تصدير

الحمد لله، وأصلي وأسلم علىٰ محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فهذه كلمات تتعلق بموضوع الدين الإسلامي، وأنه يهدي للتي هي أقوم وأصلح، ويُرشِد العباد في عقائده وأخلاقه ومعاملاته وتوجيهاته وتأسيساته إلىٰ ما ينفعهم في معاشهم ومعادهم، وبيان أنه لا سبيل إلىٰ إصلاح شيء من أمور الخلق الإصلاح التام إلا به، وبيان أن جميع النظم المخالفة لدين الإسلام لا يستقيم بها دين ولا دنيا؛ إلا إذا استمدت من تعاليم الدين.

وهذا الذي قلناه قد برهنت المحسوسات والتجارب علىٰ صدقه وصحته، كما دلَّت الشرائع والفطر والعقول السليمة علىٰ حقيقته، فإن الدين كله صلاح وإصلاح، وكله دفع للشرور والأضرار، وكله يدعو إلىٰ الخير والهدىٰ، ويحذر من الشر وأنواع الرَّدىٰ.

وعند عرض بعض النماذج من تعليماته وتوجيهاته يظهر لكل عاقل منصف صحة هذا، وأن الخلق كلَّهم مضطرون إليه.

وأنهم لا يستغنون عنه في حالة من أحوالهم.

ذلك بأن الدنيا كلها قد جاشت بمشكلات الحياة، والبشر كلهم يتخبطون في دياجير الظلمات: فيهتدون من وجه واحد ويضلون من وجوه أخرىٰ.

وقد يستقيم لهم أمر من بعض وجوهه ويقع الانحراف في بقية أنحائه.

وهذا ناتج من أحد أمرين: إما جهل بما دل عليه الدين وما أرشد إليه.

وإما مكابرة وغي، ومقاصد سيئة وأغراض فاسدة، حالت بينهم وبين الصلاح الذي يعرفونه، كما هو الواقع كثيرًا.

لهذا ينبغي أن نذكر بعض مشاكل الحياة المهمة، مثل مشكلة الدين، ومشكلة العلم، والغنىٰ والفقر، والصحة والمرض، والحرب والسلم، والاجتماع والافتراق، والمحاب والمكاره.

وغير ذلك مما اختلفت فيها أنظار الناس وتوجيهاتهم، وما سلكه الدين الإسلامي فيها من المسالك الصالحة السديدة، وما أَوْلَاهُ نحوها من المنافع التي لا تُعَدُّ ولا تحصىٰ.

وهذه المشكلة أهم مشاكل الحياة وأعظمها، وعليها تنبني الأمور كلها.

وبصلاح الدين أو فساده أو عدمه تتوقف جميع الأشياء.

وقد تفرَّق فيها البشر وسلكوا في دينهم وعقائدهم طرقًا شتىٰ، كلها منحرفة معوجة ضارة، غير نافعة إلا من اهتدىٰ إلىٰ دين الإسلام الحقيقي، فإنه

حصلت له الاستقامة والخير والراحة من جميع الوجوه.

فمن الناس من تلاعب بهم الشيطان فعبدوا غير الله من الأشجار والأحجار والصور والأنبياء والملائكة والصالحين والطالحين، مع اعترافهم بأن الله ربهم ومالكهم وخالقهم، وحده لا شريك له.

فاعترفوا بتوحيد الربوبية وانحرفوا عن توحيد الإلهية الذي هو إفراد الله بالعبادة، وهؤلاء هم المشركون علىٰ اختلاف مذاهبهم وتباين طوائفهم.

وقد دلَّت الكتب السماوية علىٰ شقائهم وهلاكهم، واتفق جميع الرسل علىٰ الأمر بتوحيد الله والنهي عن الشرك، وأن من أشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار.

كما دلَّت العقول السليمة والفطر المستقيمة علىٰ فساد الشرك والتأَلُّه والتعبد للمخلوقات والمصنوعات، فالشرك باطل في الشرع، فاسد في العقل، عاقبة أهله الهلاك والشقاء.

ومن الناس من آمن ببعض الرسل والكتب السماوية دون بعض، مع أن الرسل والكتب يُصَدِّقُ بعضُها بعضًا، ويوافق بعضُها بعضًا، وتتفق في الأصول الكلية.

فصار هؤلاء ينقض تكذيبهم تصديقهم، ويبطل اعترافهم ببعض الأنبياء وبعض الكتب السماوية تكذيبهم للآخرين من الرسل، فبقوا في دينهم منحرفين، وفي إيمانهم مُتَحيِّرين، وفي علمهم متناقضين.

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ١٥٠ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ﴾ [النساء: الآيتان ١٥٠، ١٥١]، فحكم بالكفر الحقيقي لأنه عرف أن دعواهم للإيمان دعوىٰ غير صحيحة، ولو كانت صحيحة لآمنوا بجميع الحقائق التي اتفقت عليها الرسل، ولكنهم قالوا: ﴿نُؤۡمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَيَكۡفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَهُمۡۗ﴾ [البقرة: الآية ٩١]، ولهذا دعواهم الإيمان دعوىٰ كاذبة، فقال عنهم عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَلِمَ تَقۡتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبۡلُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٩١﴾ [البقرة: الآية ٩١].

ومن الناس طائفة ادَّعت الفلسفة والعلم بالمعقولات، فجاءت بأكبر الضلالات وأعظم المُحالات، فجحدت الرب العظيم وأنكرت وجوده، فضلًا عن الإيمان بالرسل والكتب وأمور الغيب، وجحدوا آيات الله واستيقنتها أنفسهم ظلمًا وعلوًّا واستكبارًا: فكذبوا بعلوم الرسل وما دلَّت عليه الكتب المنزلة من عند الله، واستكبروا عنها بما عرفوا من العلوم الطبيعية وتوابعها، وأنكروا جميع الحقائق إلا ما أدركوه بحواسهم وتجاربهم القاصرة الضيقة بالنسبة إلىٰ علوم الأنبياء.

فعبدوا الطبيعة وجعلوها أكبر همهم ومبلغ علمهم، واندفعوا وراء ما تقتضيه طبائعهم، ولم يتقيدوا بشيء من الشرائع الدينية ولا الأخلاق الإنسانية.

فصارت البهائم أحسن حالًا منهم، فإنهم نضبت منهم الأخلاق، واندفعوا وراء الشهوات البهيمية.

فلم يكن لهم غاية يرجونها، ولا نهاية يطلبونها: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ [الجاثية: الآية ٢٤]، وصار المشركون علىٰ شركهم وكفرهم أحسن حالًا منهم، وأقل شرًا منهم بكثير.

والعجب الكثير أن هذا المذهب الخبيث جرف بتياره في الأوقات الأخيرة جمهور البشر، لضعف الدين وقلة البصيرة، ولما وضعت له الأمم القوية الحبائل والمصايد التي هلك بها الخلق.

أما الدين الإسلامي فقد أخرج الخلق من ظلمات الجهل والكفر والظلم والعدوان وأصناف الشرور إلىٰ نور العلم والإيمان واليقين والعدل والرحمة وجميع الخيرات.

﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [آل عمران: الآية ١٦٤]، ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل: الآية ٩٠]، ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ﴾ [المائدة: الآية ٣]، ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ﴾ [الأنعام: الآية ١١٥]، أي كلماته الدينية التي شرع بها الشرائع، وسن الأحكام.

وقد جعلها الله تامة من جميع الوجوه، لا نقص فيها بوجه من الوجوه، صدقا في إخبارها عن الله وعن توحيده وجزائه وصدق رسله في أمور الغيب،

عدلا في أحكامها، أوامرها كلها عدل وإحسان وخيرات وصلاح وإصلاح، ونواهيها كلها في غاية الحكمة، تنهىٰ عن الظلم والعدوان والأضرار المتنوعة: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة: الآية ٥٠]، وهذا استفهام بمعنىٰ النفي المتقرر الذي تقرر حدوثه في العقول والفطر.

فما أمر بشيء فقال العقل: ليته نهىٰ عنه.

ولا نهىٰ عن شيء فقال العقل: ليته أمر به.

لقد أباح هذا الدين كل طيب نافع، وحرم كل خبيث ضار.

﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ [الأعراف: الآية ١٥٧]، فهو الدين الذي يوجه العباد إلىٰ كل أمر نافع لهم في دينهم ودنياهم، ويحذرهم عن كل أمر ضار في دينهم ومعاشهم، ويأمرهم عند اشتباه المصالح والمفاسد والمنافع والمضار بالمشاورة في استخراج ما ترجح مصلحته، ودفع ما ترجح مفسدته.

وهو الدين العظيم الشامل، الذي أمر بالإيمان بكل كتاب أنزله الله، وبكل رسول أرسله الله.

﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾ [الشورىٰ: الآية ١٥]، وهو الدين العظيم الذي

شهد الرب العظيم بصحته وكماله، وشهد بذلك الكمل من الخلق وخلاصتهم.

﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُۗ ﴾ [آل عمران: الآيتان ١٨، ١٩]، وهو الدين الذي من اتصف به جمع الله له جمال الظاهر والباطن، وكمال الأخلاق والأعمال: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ [النساء: الآية ١٢٥]، فلا أحسن ممن هو مخلص لله، محسن إلىٰ عباد الله، مخلص لله متبع لشريعة الله التي هي أحسن الشرائع وأعدل المناهج، فانصبغ قلبه بالإخلاص والتوحيد، واستقامت أخلاقه وأعماله علىٰ الهداية والتسديد: ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةًۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ [البقرة: الآية ١٣٨]، وهو الدين الذي فتح أهله، القائمون به، المتصفون بإرشاداته وتعاليمه، القلوب بالعلم والإيمان، والأقطار بالعدل والرحمة والنصح لنوع الإنسان.

وهو الدين الذي أصلح الله به العقائد والأخلاق، وأصلح به الحياة الدنيا والآخرة، وألف به القلوب المتشتتة، والأهواء المتفرقة.

وهو الدين العظيم المحكم غاية الإحكام في أخباره كلها، وفي أحكامه، فما أخبر إلا بالصدق والحق، ولا حكم إلا بالحق والعدل، فلم يأت علم صحيح ينقض شيئا من أخباره، ولا حكم أحسن من أحكامه.

أصوله وقواعده وأسسه تساير الزمان السابق واللاحق، فحيثما طُبِّقَت المعاملات المتنوعة بين الأفراد والجماعات في كل زمان ومكان علىٰ أصوله

تم بها القسط والعدل، والرحمة والخير والإحسان، لأنها تنزيل من حكيم حميد: ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١﴾ [هود: الآية ١]، ﴿لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٌ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۝٤٢﴾ [فصلت: الآية ٤٢]، ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: الآية ٩]، حافظون لألفاظه عن الزيادة والنقص والتغيير، وحافظون لأحكامه عن الانحراف والنقص، بل هي في أعلىٰ ما يكون من العدل والاستقامة والتيسير.

وهو الدين العظيم الذي يهدي إلىٰ الحق وإلىٰ طريق مستقيم، الصدق شعاره، والعدل مداره، والحق قوامه، والرحمة روحه وغايته، والخير قرينه، والصلاح والإصلاح جماله وأعماله، والهدىٰ والرشد زاده.

وهو الدين الذي جمع بين مطالب الروح والقلب والجسد، أمر الله به المؤمنين بما أمر المرسلين، بعبادته والعمل الصالح الذي يرضيه، وبالأكل من الطيبات، واستخراج ما سخر الله لعباده في هذه الحياة، فدفع القائمين به حقيقة إلىٰ كل علو ورقي وتقدم صحيح، من عرف شيئا من أوصاف هذا الدين عرف عظيم منة الله به علىٰ الخلق، وأن من نبذه وقع في الباطل والضلال والخيبة والخسران، لأن الأديان التي تخالفه ما بين خرافات ووثنيات، وما بين إلحاد وماديات، تجعل قلوب أهلها وأعمالهم كالبهائم بل هم أضل سبيلا، لأن الدين إذا ترحل من القلوب ترحلت الأخلاق الجميلة، وحل محلها الأخلاق الرذيلة.

فهبطت بأهلها إلىٰ أسفل الدركات، وصار أكبر همهم ومبلغ علمهم التمتع بعاجل الحياة، والحمد لله رب العالمين.

لقد غلط كثير من الناس في مسمىٰ العلم الصحيح الذي ينبغي ويتعين طلبه والسعي إليه علىٰ قولين متطرفين: أحدهما أخطر من الآخر.

فالأول: قول من قصر العلم علىٰ بعض مسمىٰ العلم الشرعي، المتعلق بإصلاح العقائد والأخلاق والعبادات، دون ما دل عليه الكتاب والسنة: من أن العلم يشمل علوم الشرع ووسائلها، وعلوم الكون.

وهذا قول طائفة ممن لم تتبصر بالشريعة تبصرًا صحيحًا، ولكنهم الآن بدءوا يتحللون من هذا الإطلاق، لما رأوا من المصالح العظيمة في علوم الكون، وحين تنبه كثير منهم لدلالات نصوص الدين عليه.

والقول الثاني قول من قصر العلم علىٰ العلوم العصرية، التي هي بعض علوم الكون.

وهذا القول إنما نشأ من انحرافهم عن الدين وعلومه وأخلاقه.

وهذا غلط عظيم حيث جعلوا الوسائل هي المقاصد؛ وحيث نفوا من العلوم الصحيحة والحقائق النافعة ما لا تنسب إليه العلوم العصرية بوجه من الوجوه، غرهم ما ترتب عليها من الصناعات والمخترعات.

وهؤلاء هم المرادون بقوله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [سورة فصلت: الآية ٨٣]، فهم فرحوا بعلومهم واستكبروا بها واحتقروا علوم الرسل، حتىٰ نزل بهم ما كانوا به يستهزئون من الحق، ونزل بهم العذاب الذي وعد به من كذب الرسل، عذبوا في

الدنيا بالختم علىٰ قلوبهم وأسماعهم وأبصارهم وعموا عن الحق.

﴿وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ ﴿١٢٧﴾﴾ [طه: الآية ١٢٧]، ﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٢١﴾﴾ [غافر: الآية ٢١]، أما مدلول العلم النافع ومسماه الذي دل عليه الكتاب والسنة: فهو كل علم أوصل إلىٰ المطالب العالية، وأثمر الأمور النافعة، لا فرق بين ما تعلق بالدنيا أو بالآخرة، فكل ما هدىٰ إلىٰ السبيل ورقىٰ العقائد والأخلاق والأعمال، فهو من العلم.

وقسم العلوم إلىٰ قسمين: مقاصد، ووسائل توصل إليها وتعين عليها.

فالمقاصد: هي العلوم المصلحة للأديان؛ والوسائل: ما أعان عليها من علوم العربية بأنواعها، ومن علوم الكون التي ثمرتها معرفة الله ومعرفة وحدانيته وكماله، ومعرفة صدق رسله.

وثمرتها: الاستعانة بها علىٰ عبادة الله وشكره، وعلىٰ قيام الدين.

فإنه تعالىٰ أخبر أنه سخر لنا هذا الكون، وأمرنا أن نتفكر فيه ونستخرج منافعه الدينية والدنيوية.

والأمر بالشيء أمر به وأمر بما لا يتم إلا به، وذلك حث علىٰ معرفة علوم الكون التي يستخرج بها ما سخره الله لنا، لأن منافعها لا تحصل لنا عفوا من دون طلب وفكر وتجارب.

قال تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ [الحديد: الآية ٢٥]، فهذه المنافع لا تحصل إلا بالمعرفة بفنون الصنائع حتىٰ يتم إنتاجها.

وقد تكاثرت نصوص الكتاب والسنة علىٰ الثناء علىٰ العلم وأهله وتفضيلهم علىٰ غيرهم.

قال تعالىٰ: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: الآية ٩]، وإنهم أهل الخشية لله والمعرفة به: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: الآية ٢٨]، وأمر الجهال بسؤال أهل العلم.

وقد أمر بعبادات كثيرة، وعفا عن محرمات؛ والأمر بالشيء والنهي عنه لا يمكن امتثال الأمر واجتناب النهي إلا بعد علمه ومعرفته فجميع الأوامر شرعية، والنواهي تدل علىٰ وجوب تعلم العلم الذي تتوقف عليه.

كما أنه أباح معاملات، وحرم معاملات، لا يمكن تمييز الحلال والحرام منها إلا بالعلم.

وقد ذم من لم يعرف حدود ما أنزل علىٰ رسوله من الكتاب والحكمة.

ومن ذلك أنه أمر بالجهاد في عدة آيات، وبإعداد المستطاع من القوة للأعداء، وأخذ الحذر منهم.

ولا يتم ذلك إلا بتعلم فنون الحرب والصنائع التي تتوقف القوة والحذر منهم عليها.

وأمر بتعلم أمور التجارة والأصول الاقتصادية، حتىٰ إنه أمر أن يبتلىٰ الأولاد الصغار اليتامىٰ ويعلموا التجارة وطلب المكاسب.

قال تعالىٰ: ﴿وَٱبۡتَلُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ﴾ [النساء: الآية ٦]، فلم يأمر بدفع أموالهم إليهم حتىٰ يعلم رشدهم، ومعرفتهم لأمور المكاسب والتجارة.

فهذه الشريعة الكاملة أمرت بتعلم جميع العلوم النافعة: من العلم بالتوحيد، وأصول الدين، ومن علوم الفقه والأحكام، ومن علوم العربية، ومن العلوم الاقتصادية والسياسية، ومن العلوم التي تصلح بها الجماعات والأفراد.

فما من علم نافع في الدين والدنيا إلا أمرت به هذه الشريعة وحثت عليه ورغبت فيه.

فاجتمع فيها العلوم الدينية، والعلوم الكونية، وعلوم الدين، وعلوم الدنيا.

بل إنها جعلت العلوم الدنيوية التي تنفع من علوم الدين.

وأما المتطرفون فإنهم اقتصروا علىٰ بعض علوم الدين، فقصروا وغلطوا غلطا فاحشا.

وأما الماديون فإنهم اقتصروا علىٰ بعض علوم الكون، وأنكروا ما سواها، فألحدوا ومرجت أديانهم وأخلاقهم، وصارت علومهم حاصلها أنها صنائع جوفاء، لا تزكي العقول والأرواح، ولا تغذي الأخلاق.

فكان ضررها عليهم أعظم من نفعها، فإنهم انتفعوا بها من جهة ترقية الصنائع والمخترعات وتوابعها، وتضرروا بها من جهتين: إحداهما: أنها صارت

أكبر نكبة عليهم وعلىٰ جميع البشر، لما ترتب عليها من الفناء والحروب المهلكة والتدمير.

الثانية: أنهم أعجبوا بها واستكبروا، فحقروا لذلك علوم الرسل وأمور الدين.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ٥٦﴾ [غافر: الآية ٥٦]، ﴿وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ سَمۡعٗا وَأَبۡصَٰرٗا وَأَفۡـِٔدَةٗ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُمۡ سَمۡعُهُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُهُمۡ وَلَآ أَفۡـِٔدَتُهُم مِّن شَيۡءٍ إِذۡ كَانُواْ يَجۡحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٢٦﴾ [الأحقاف: الآية ٢٦]، ﴿فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٨٣﴾ [فصلت: الآية ٨٣]، فتبين مما ذكرنا أن العلوم النافعة في العاجل والآجل: هي العلوم التي جاءت في كتاب الله وسنة رسول الله، وأنها احتضنت كل علم نافع، ومعرفة صحيحة، لا فرق بين الأصول والفروع، ولا بين الدينية والدنيوية، كما احتضنت عقيدتها الإيمان بكل حق وحقيقة، وبكل كتاب أنزله الله، وكل رسول أرسله الله، والحمد لله.

تنوعت مقاصد الخلق وسياساتهم في مسألة الغنىٰ والفقر، بحسب أغراضهم النفسية، لا بحسب اتباعهم للحق ونظرهم للمصالح العامة الكلية.

وكلهم أخطئوا الطريق النافع، حيث لم يتقيدوا بهدايات الدين الإسلامي؛ وتنوعت بهم الأفكار، وعملوا علىٰ مقتضىٰ ذلك، فحصل بذلك شر مستطير، ووقعت فتن كبرىٰ بين من يدعي نصرة الفقر والفقراء والعمال، وبين من

يتمسك التمسك المزري بالثروات والأموال، ولهم في ذلك كلام طويل كله خطأ وضلال.

وهدىٰ الله المؤمنين إلىٰ صراط مستقيم في جميع أمورهم عامة، وفي هذه المسألة خاصة.

جاء الشرع ولله الحمد بصلاح الأغنياء والفقراء بحسب الإمكان.

لما حكم الله تعالىٰ قضاءً وقدرًا أن الخلق درجات، فمنهم الغني ومنهم الفقير، ومنهم الشريف ومنهم الحقير، لحكم عظيمة، وأسرار يضيق التعبير عن وصفها.

فربط بعضهم ببعض بالروابط الوثيقة، وسخر بعضهم لبعض، وتبادلت بينهم المصالح العادلة، واحتاج بعضهم إلىٰ بعض.

شرع الشارع الحكيم أولًا: أن يكونوا إخوانًا، وأن لا يستغل بعضُهم بعضًا استغلالًا شخصيًا.

بل أرشد كلًّا منهم أن يقوم نحو الآخر بواجباته الشرعية، التي يتم بها الالتئام وتقوم بها الحياة.

أمر الجميع أن يتوجهوا بأجمعهم إلىٰ المصالح العامة الكلية التي تنفع الطرفين، كالعبادات البدنية، والمشاريع الخيرية، وجهاد الأعداء ومقاومتهم، ودفع عدوانهم بكل وسيلة، كل منهم بحسب وسعه وقدرته.

هذا ببدنه وماله، وهذا ببدنه، وهذا بماله، وهذا بجاهه وتوجيهه، وهذا بتعلمه وتعليمه.

لأن الغاية واحدة، والمصالح مشتركة، والغاية شريفة، والوسائل إليها شريفة.

ثم أوجب في أموال الأغنياء فرضًا الزكاة، بحسب ما جاء في تفاصيلها الشرعية.

وجعل مصرفها دفع حاجات المحتاجين، وحصول المصالح الدينية المقيمة لأمور الدنيا والدين، وحث علىٰ الإحسان في كل وقت وفي كل مناسبة، وأوجب دفع ضرورة المضطرين، وإطعام الجائعين، وكسوة العارين، ودفع الضرورات عن المضطرين.

وكذلك أوجب النفقات الخاصة للأهل والأولاد، وما يتصل بهم، والقيام بواجبات المعاملات كلها الواقعة بين الناس.

وأمرهم مع ذلك أن لا يتكلوا في كسب الدنيا علىٰ حولهم وقوتهم، ولا ينظروا نظر استقرار وطمأنينة إلىٰ ما عندهم.

بل يكون نظرهم علىٰ الدوام إلىٰ الله وإلىٰ فضله، وتيسيره والاستعانة به.

وأن يشكروه علىٰ ما تفضل به عليهم وميزهم به من الغنىٰ والثروة.

وأوجب عليهم أن يقفوا عند الحدود، فلا ينغمسوا في الترف والإسراف انغماسًا يضر بأخلاقهم وأموالهم وجميع أحوالهم، بل يكونون كما قال الله

تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ٦٧﴾ [الفرقان: الآية ٦٧]، وأمرهم مع ذلك أن يكون طلبهم للغنىٰ والدنيا طلبًا شريفًا نزيها، فلا يتلوثون بالمكاسب الخبيثة التي هي ما بين ربًا أو قمار أو غرر أو غش أو خداع، بل يتقيدون بقيود الشرع العادلة في معاملاتهم، كما تقيدوا بذلك في عباداتهم.

وأمرهم أن ينظروا إلىٰ الفقراء نظر الرحمة والإحسان، لا نظر القسوة والغلظة والأثرة والبطر والأشر والكبر.

ولهذه الإرشادات الحكيمة تكون الثروة الدينية في غاية الشرف وكمال الاعتبار، ويكون الغنىٰ علىٰ هذا الوجه وصفًا محمودًا، ونعت كمال ورفعة وعلو، لأن الشرع هذبه وصفاه، فحث علىٰ التباعد عن رذائله، ورغب في اكتساب فضائله.

وأما ما صنعه الدين الإسلامي مع الفقراء، فقد أمرهم وكل من لم يدرك محبوباته النفسية أن يصبروا ويرضوا بقضائه وتدبيره، وأن يعترفوا أن الله حكيم له في ذلك حكم، وفيه مصالح متنوعة، ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٢١٦﴾ [البقرة: الآية ٢١٦]، فنظرهم هذا يذهب الحزن الذي يقع في القلوب فيحدث العجز والكسل.

ثم أمرهم أن لا ينظروا في دفع فقرهم وحاجاتهم إلىٰ المخلوقين، ولا يسألوهم إلا حيث لا مندوحة عن السؤال عند الضرورة إلىٰ ذلك، وأن يطلبوا

دفع فقرهم من الله وحده لا شريك له، بما جعله من الأسباب الدافعة للفقر الجالبة للغنىٰ.

وهي الأعمال والأسباب المتنوعة، كل واحد يشتغل بالسبب الذي يناسبه، ويليق بحاله، فيستفيد بذلك تحرره من رِقِّ المخلوقين وتَمَرُّنِه علىٰ القوة والنشاط، ومحاربة الكسل والفتور.

ومع ذلك لا يقع في قلوبهم حسد للأغنياء علىٰ ما آتاهم الله من فضله، ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ۚ وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾﴾ [النساء: الآية ٣٢]، وأمرهم أن ينصحوا في أعمالهم ومعاملاتهم وصناعاتهم، وأن لا يتعجلوا الرزق بالانغماس في المكاسب الدنيئة التي تذهب الدين والدنيا.

وأمرهم بأمرين يعينانهم علىٰ مشقة الفقر: الاقتصاد في تدبير المعاش، والاقتناع برزق الله؛ فالرزق القليل مع الاقتصاد الحكيم يكون كثيرًا، والقناعة كنز لا ينفد وغنىٰ بلا مال.

فكم من فقير وُفِّقَ للاقتصاد والقناعة لا يغبط الأغنياء المترفين، ولا يتبرم بقلة ما عنده من الرزق اليسير.

فمتىٰ اهتدىٰ أهل الفقر بإرشادات الدين من الصبر والتعلق بالله، والتحرر من رق المخلوقين، والجد والاجتهاد في الأعمال الشريفة النافعة، والاقتناع بفضل الله، هانت عليهم وطأة الفقر وعناؤه.

ومع ذلك فهم لا يزالون يسعون في تحصيل الغنىٰ ويرجون ربهم وينتظرون وعده، ويتقون الله، فإنه ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ﴾ [الطلاق: الآيتان ٢، ٣]، فهذه التعاليم الدينية والإرشادات من الله ورسوله لأهل الغنىٰ والفقر تجلب لهم الخيرات، وتمنعهم من الشرور والمضرات، وتنتج لهم أجمل الثمرات العاجلة والآجلة.

فهذا الحل الوحيد من الرب المجيد لمشكلة الغنىٰ والفقر، وما سوىٰ ذلك فعناء وشقاء، وضرر وهلاك، والله الموفق.

ونظير هذه المسألة: مسألة الصحة والمرض، فإن الشريعة الإسلامية جاءت بأكمل الأمور فيها: أمرت بكل ما يحفظ الصحة وينميها، وما يدفع الأمراض أو يخففها بحسب الإمكان.

وفصل في هذا الموضوع تفاصيل نافعة، تدور علىٰ حفظ الصحة وتنميتها، والحمية من جميع المؤذيات والأمور الضارة، وعلىٰ السعي في التحرز من الأمراض قبل نزولها، ومداواتها بعد نزولها.

وأمرت مع ذلك بالتوكل علىٰ الله، والاعتماد عليه، والعلم بأنه تعالىٰ هو المعطي للنعم، الدافع للنقم؛ بلطفه وقدرته ورحمته، وبما جعله من الأسباب الكثيرة التي علمها الله العباد، وأمرهم بسلوكها.

وأمر أيضًا بمقاومة الأمراض بأمور أخرىٰ غير الأدوية الحسية، أمر بالصبر لله علىٰ المكاره إيمانًا به، واحتسابًا لثوابه، فإنه بذلك تخف مشقة الأمراض بما يحصل

للصابر المحتسب من الإيمان واليقين والثواب العاجل والآجل.

وكذلك أمر بقوة الاعتماد علىٰ الله عند نزول المصائب والمكاره، وأن لا يخضع الإنسان ويضعف قلبه وإرادته وتستولي عليه الخيالات التي هي أمراض فتاكة.

فكم من مرض يسير بسيط عظمت وَطْأَتُه بسبب ضعف القلب وخوره وانخداعه بالأوهام والخيالات!، وكم من مرض عظيم هانت مشقته وسهلت وَطْأَتُه حين اعتمد القلب علىٰ الله، وقوي إيمانه وتوكله، وزال الخوف منه!، وهذا أمر مشاهد محسوس.

فالدين الإسلامي أمر بالأمرين في وقت واحد: أمر بفعل الأسباب النافعة، وبالاعتماد علىٰ الله في نفعها، وتحصيل المنافع ودفع المضار، بحسب الاستطاعة.

وكذلك النعم، والمسار، والمكاره، والمصائب، جاءت شريعة الإسلام فيها بأكمل الحالات.

أمر الله ورسوله بتلقي النعم بالافتقار إلىٰ الله فيها، والاعتراف التام بفضل الله بتقديرها وتيسيرها، وشكر المنعم بها، شكرا متتابعا، وتصريفها فيما كانت لأجله، والاستعانة بها علىٰ عبادة الله، وأن لا يكون العبد عندها أشرًّا، ولا بَطِرًا، بل متواضعًا شاكرًا.

وأمر العبد أن يغتنم الفرصة النافعة في النعم، فيربح عندها أرباحًا عاجلةً وآجلة.

يغتنم فرصة العافية والصحة والقوة والجدة والجاه والأولاد، فلا يغبن فيها بحيث تكون نعما حاضرة مؤقتة، بل يستخرج منها نعما باقية، وخيرًا متسلسلًا، ونفعًا مستمرًا.

وفي الحديث: «**اغتنم خمسًا قبل خمس، شبابك قبل هِرَمِك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك، وغناك قبل فقرك، وحياتك قبل موتك**».

فمتىٰ عرف العبد المقصود من النعم، وأنها مجعولة وسائل إلىٰ خيرات الآخرة، اجتمع له الأمران: التمتع بها عاجلًا، والاستفادة من خيراتها آجلًا.

فيؤدي واجبها ومستحبها، وبذلك تكون نعمًا حقيقية دينية ودنيوية.

عكس حالة المنحرفين عما جاءت به الشريعة، الذين يتمتعون بها كما تتمتع الأنعام السائمة، ويتناولونها بمقتضىٰ الشهوة البهيمية.

فالنعم في حقهم سريعة الزوال وشيكة الانفصال، لا تعقبهم إلا الحسرة والندامة.

والأولون يشاركونهم في التمتع العاجل، وربما زادوا عليهم براحة القلب، وطمأنينة النفس، والسلامة من الهلع والجشع.

وأما المصائب، فلما كانت لا بد منها للخلق، ولا أحد يسلم منها، أعد الشارع الحكيم لها عدتها، وأرشد عباده إلىٰ الصبر والتسليم، والاحتساب لثوابها، وأن لا يتلقاها العبد بجزع وخور وضعف نفس، بل بقوة وتوكل علىٰ الله وإيمان صادق.

وبذلك تخف وَطْأَتُها، وتهون مشقتها، ويحصل من الثواب وزيادة الإيمان أضعاف أضعاف ما حصل من المصيبة.

قال تعالىٰ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة: الآيات ١٥٥ – ١٥٧]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾ [الزمر: الآية ١٠]، ﴿إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ﴾ [النساء: الآية ١٠٤]، فانظر هذه الإرشادات الحكيمة في هداية الشريعة إلىٰ تلقي النعم والمسار والمصائب والمضار، كيف ترىٰ القلوب فيها مطمئنة، والحياة طيبة، والخير حاصلًا ومأمولًا، والربح مستمرًّا.

عجبًا لأمر المؤمن: إن أمره كله خير؛ إن أصابته سراءُ شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراءُ صبر فكان خيرًا له، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن.

فأين هذه الحالة الجليلة العالية من حالة المنحرفين عن الدين، الذين إذا أصابتهم النعم بطروا ومرحوا مرح البهائم، وتجبروا علىٰ عباد الله، وطغوا وبغوا، وإذا أصابتهم المكاره جزعوا وضعفوا، وربما أدت بهم الحال إلىٰ الانتحار، لعدم الصبر وللهلع والجزع الذي لا يحتمل، نسأل الله العافية.

قد قررت شريعة الإسلام مسائل السياسة أكمل تقرير، وهَدَتْ إلىٰ جميع ما ينبغي سلوكه مع المسلمين ومع غيرهم بأحسن نظام وأعدله، وجمعت فيه بين

الرحمة والقوة، وبين اللين والشفقة، والرحمة بالخلق، مهما أمكنت الأحوال.

فإذا تعذر ذلك استعملت القوة بحكمة وعدل، لا بظلم وعنف.

قال تعالىٰ: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا وَقَدۡ جَعَلۡتُمُ ٱللَّهَ عَلَيۡكُمۡ كَفِيلًاۚ﴾ [النحل: الآيتان ٩٠، ٩١]، فأمر الله بالعدل مع كل أحد، وبالإحسان والرحمة لكل أحد، وخصوصا القرابة ومن لهم حق علىٰ الإنسان.

ونهىٰ عن الفحشاء والبغي علىٰ الخلق، في دمائهم وأموالهم وأعراضهم وحقوقهم.

وأمر بوفاء العهود والمحافظة عليها، وحذر من نقضها.

وهذه الأمور المأمور بها والمنهي عنها، منها ما هو واضح جلي عينت علىٰ المسلمين سلوكها، ولم تجعل لهم في ذلك خيرة ولا معارضة.

وهي التي نص الشارع علىٰ أعيانها ولم يكل بيانها إلىٰ أحد.

فهذا النوع يدخل في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا ٣٦﴾ [الأحزاب: الآية ٣٦]، ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ٦٥﴾ [النساء: الآية ٦٥]، ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: الآية ٥٩]، ﴿وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى

ٱللَّهِۚ﴾ [الشورىٰ: الآية ١٠]، وقد تتبع هذا النوع العظيم فوجد، ولله الحمد، مطابقًا للعدل والحكمة، موافقًا للمصالح، دافعًا للمفاسد.

والقسم الثاني: الأمور المشتبهة في أصلها، أو في تطبيقها علىٰ الواقع، وإدخال الأمور الواقعة فيها نفيًا وإثباتًا، وطلبًا وهربًا، فهذا قد أمروا أن يتشاوروا فيه، وينظروا فيه من جميع نواحيه، ويتأملوا ما يتوقف عليه من الشروط والقواعد، وما يترتب عليه من الغايات والمقاصد، ومقابلة المصالح والمضار وترجيح الأصلح منها.

قال تعالىٰ: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِۖ﴾ [آل عمران: الآية ١٥٩]، وقال تعالىٰ عن جميع المؤمنين: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورىٰ: الآية ٣٨]، وهذا النوع قد وسع الشارع فيه الأمر، بعدما قرر القواعد والأسس الموافقة لكل زمان ومكان، مهما تغيرت الأحوال وتطورت الأمور.

فالقواعد الشرعية إذا سلكت في كليات الأمور وجزئياتها، صلحت بها الأمور، واستقامت الدنيا والدين، وصلحت أمور العباد، واندفعت الشرور والمضار عنهم.

ولكنها تحتاج إلىٰ عقد مجالس تجمع الرجال العقلاء الناصحين، أولي العقول الرزينة والأحلام الواسعة والرأي المصيب والنظر الواسع، وتبحث فيها القضايا الداخلية واحدة بعد واحدة، بحثًا يشمل نواحي القضية، وتصورها كما ينبغي، وتصور ما تتوقف عليه وتتم به إن كانت مقصودًا تحصيلها، وتصور ما

يترتب عليها من الفوائد والمصالح الكلية والجزئية، وبحث أحسن طريق لتحصيلها وأسهله، وبحث القضايا الضارة التي يطلب دفعها، بتتبع أسبابها وينابيعها التي تسربت منها، وحسمها بحسب الإمكان، ثم السعي في إزالتها بالكلية إن أمكن، وإلا بتخفيفها وتلطيفها.

قال تعالىٰ: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: الآية ١٦]، وقال ﷺ: «**إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم**».

ومن أعظم الأصول الشرعية حث المسلمين علىٰ القيام بدينهم، والقيام بحقوق الله وعبوديته، والقيام بحقوق العباد، والحث علىٰ الاتفاق واجتماع الكلمة، والسعي في أسباب الألفة والمحبة، وإزالة الأحقاد والضغائن.

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: الآية ١٠]، ﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ [آل عمران: الآية ١٠٣]، ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝١﴾ [الأنفال: الآية ١]، ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ﴾ [آل عمران: الآية ١٠٥]، ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾ [آل عمران: الآية ١٠٣]، إلىٰ غير ذلك من النصوص الدالة علىٰ هذا الأصل العظيم، الذي به تستقيم الأحوال، ويرتقي به المسلمون إلىٰ أعلىٰ الكمال.

وقال تعالىٰ: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝٤٦ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ۝٤٧﴾ [الأنفال: الآيتان ٤٦، ٤٧]، فأمر بطاعته وطاعة

رسوله، ويدخل في ذلك جميع الدين.

ونهىٰ عن التنازع الذي يوجب تفرق القلوب، وحدوث العداوات المحللة للمعنويات.

وأمر بكثرة ذكره المعين علىٰ كل أمر من الأمور، وبالصبر الذي يتوقف عليه كل أمر.

وأمر بالإخلاص والصدق، ونهىٰ عما يضاد ذلك من الرياء والفخر والبطر والمقاصد السيئة وإرادة إضلال الخلق.

وقال تعالىٰ: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: الآية ٦٠]، فأمر بإعداد المستطاع من القوة، فيشمل القوة السياسية والعقلية، والصناعات، وإعداد الأسلحة، وجميع ما يتقوىٰ به علىٰ الأعداء، وما به يرهبونهم.

وهذا يدخل فيه جميع ما حدث ويحدث من النظم الحربية، والفنون العسكرية، والأسلحة المتنوعة، والحصون والوقايات من شرور الأعداء.

قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ﴾ [النساء: الآية ٧١]، ولكل وقت ومكان من هذه الأمور ما يناسب ذلك.

فانظر كيف كانت هذه التعاليم الشرعية هي السبب الوحيد والطريقة المثلىٰ لسلوك أقوىٰ السياسات الداخلية والخارجية، وأن الكمال والصلاح بالاهتداء بها، والاسترشاد بأصولها وفروعها.

وأن النقص الحاصل والنقص المتوقع إنما يكون بإهمالها وعدم العناية بها.

ومن السياسة الشرعية أن الله أرشد العباد إلىٰ قيام مصالحهم الكلية بأن يتولىٰ كل نوع منها طائفة تتصدىٰ للإحاطة علما بحقيقتها وما تتوقف عليه، وما به تتم وتكمل، وتبذل جهدها في ترقيتها بحسب الإمكان.

قال تعالىٰ: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [آل عمران: الآية ١٠٤]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [التوبة: الآية ١٢٢]، ولا شك أن القيام بالمصالح العامة علىٰ هذا الوجه الذي أرشد الله إليه هو السبب الوحيد للكمال الديني والدنيوي، كما هو مشاهد يعرفه كل أحد.

ومن ذلك قوله تعالىٰ: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: الآية ١٢٥]، وهذا يشمل دعوة المسلمين الذين حصل منهم إخلال ببعض أمور الدين، ويشمل دعوة الكفار: الأولون يدعون إلىٰ تكميل دينهم، والآخرون يدعون إلىٰ الدخول في دين الإسلام الذي به صلاح البشر.

وتكون هذه الدعوة بالحكمة، التي هي سلوك أقرب طريق وأنجح وسيلة يحصل بها تحصيل الخير أو تكميله، وإزالة الشر أو تقليله، بحسب الزمان والمكان، وبحسب الأشخاص والأحوال والتطورات.

وكذلك بالموعظة الحسنة، والموعظة بيان وتوضيح المنافع والمضار، مع ذكر ما يترتب علىٰ المنافع من الثمرات النافعة عاجلًا وآجلًا، وما يقترن بالمضار من الشرور عاجلًا وآجلًا.

ووصفها الله بأنها موعظة حسنة لأنها في نفسها حسنة وطريقها كذلك.

وذلك بالرفق واللين والحلم والصبر وتصريف أساليب الدعوة.

وكذلك إذا احتيج في الدعوة إلىٰ مجادلة لإقناع المدعو، فلتكن المجادلة بالتي هي أحسن، يدعىٰ المجادل إلىٰ الحق، ويبين محاسن الحق ومضار ضده، ويجاب عما يعترض به الخصم من الشبهات.

كل ذلك بكلام لطيف، وأدب حسن، لا بعنف وغلظة، أو مخاشنة أو مشاتمة، فإن ضرر ذلك عظيم.

قال تعالىٰ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ﴾ [آل عمران: الآية ١٥٩]

ولنقتصر علىٰ هذا الأنموذج، فإنه يحصل به المقصود.

والله أعلم.

وصلىٰ الله علىٰ محمد وسلم.

حرر في ٥ ربيع الآخر سنة ١٣٧٥

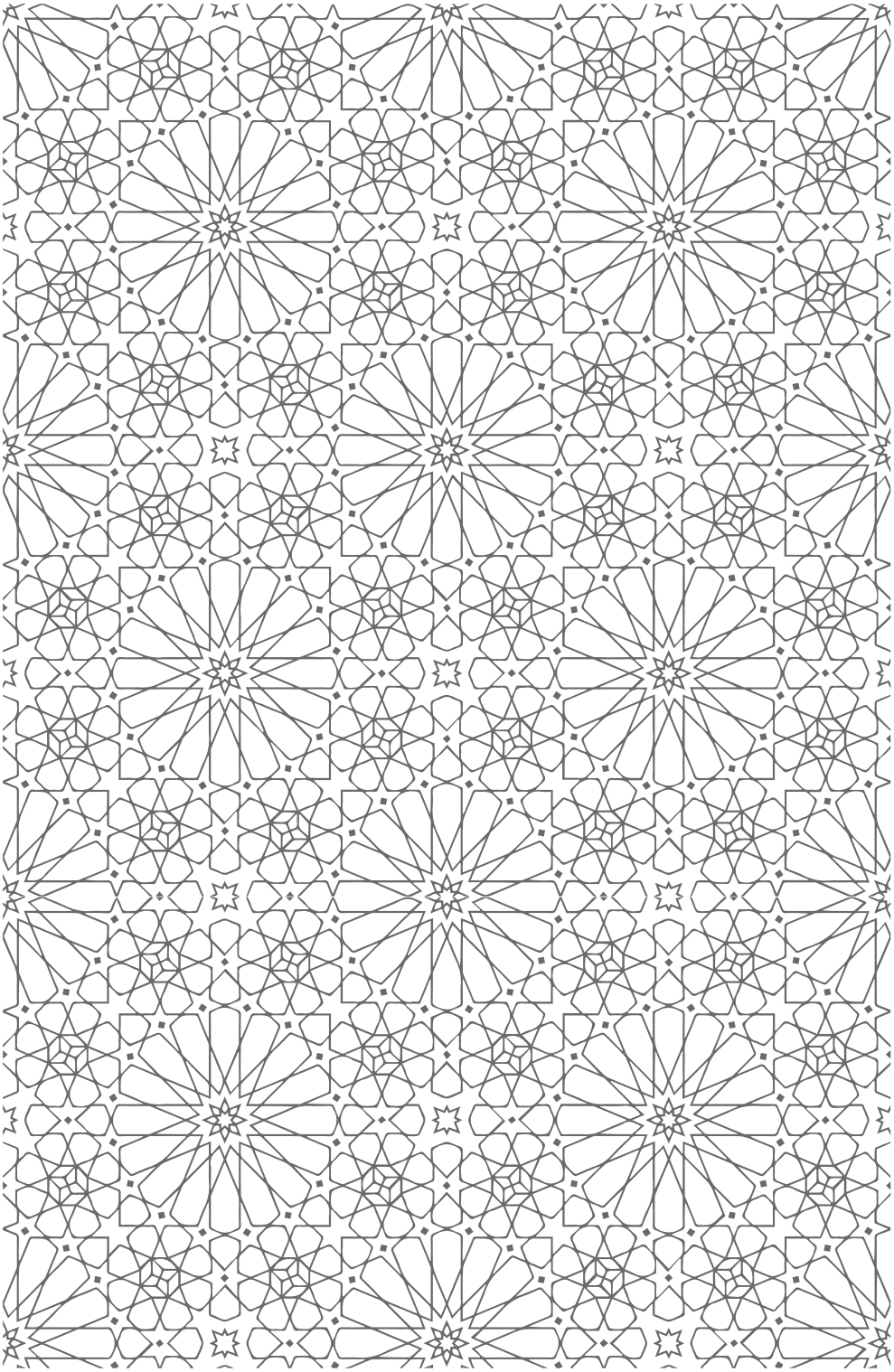

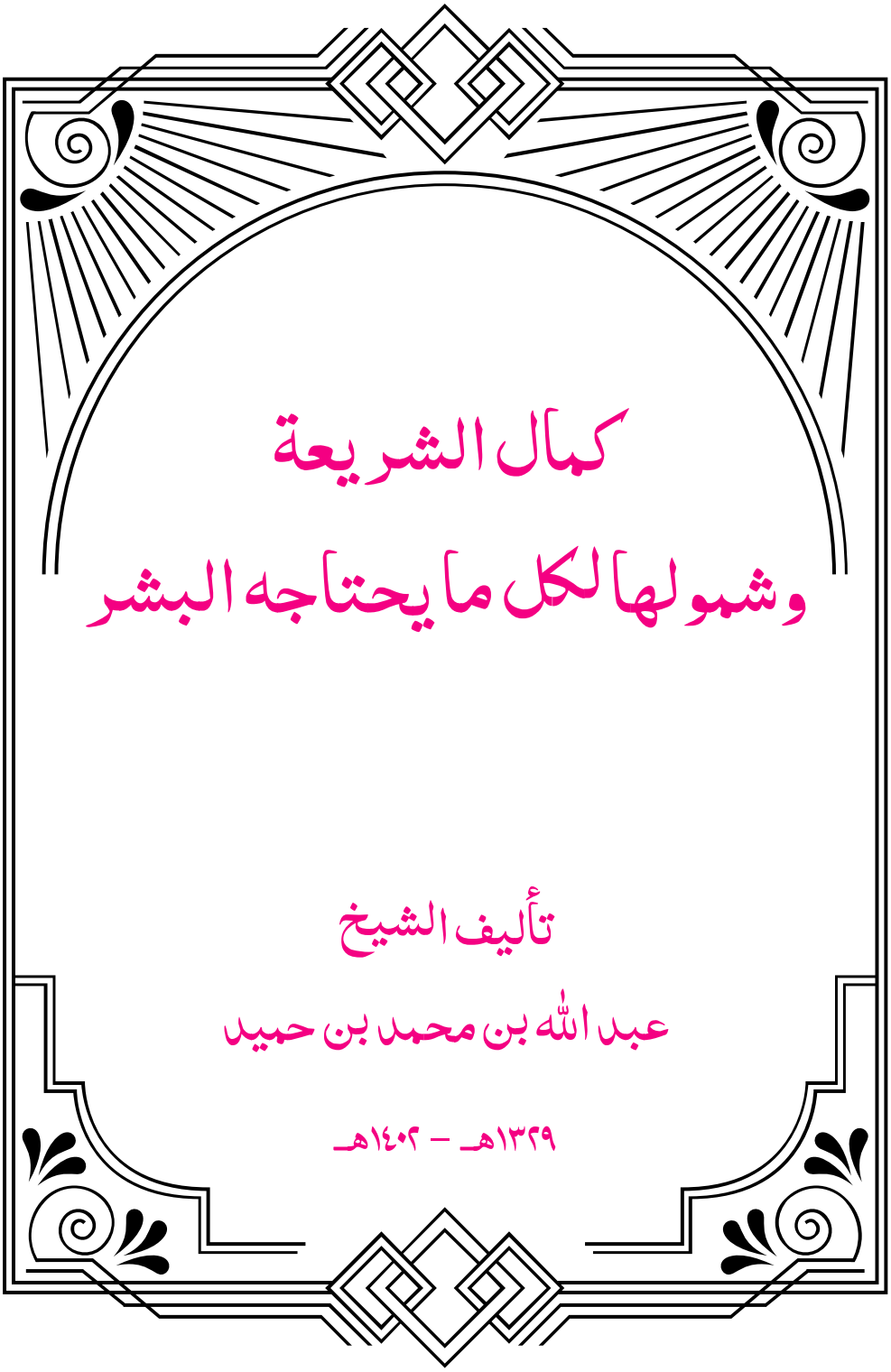

كمال الشريعة
وشمولها لكل ما يحتاجه البشر

تأليف الشيخ

عبد الله بن محمد بن حميد

١٣٢٩هـ - ١٤٠٢هـ

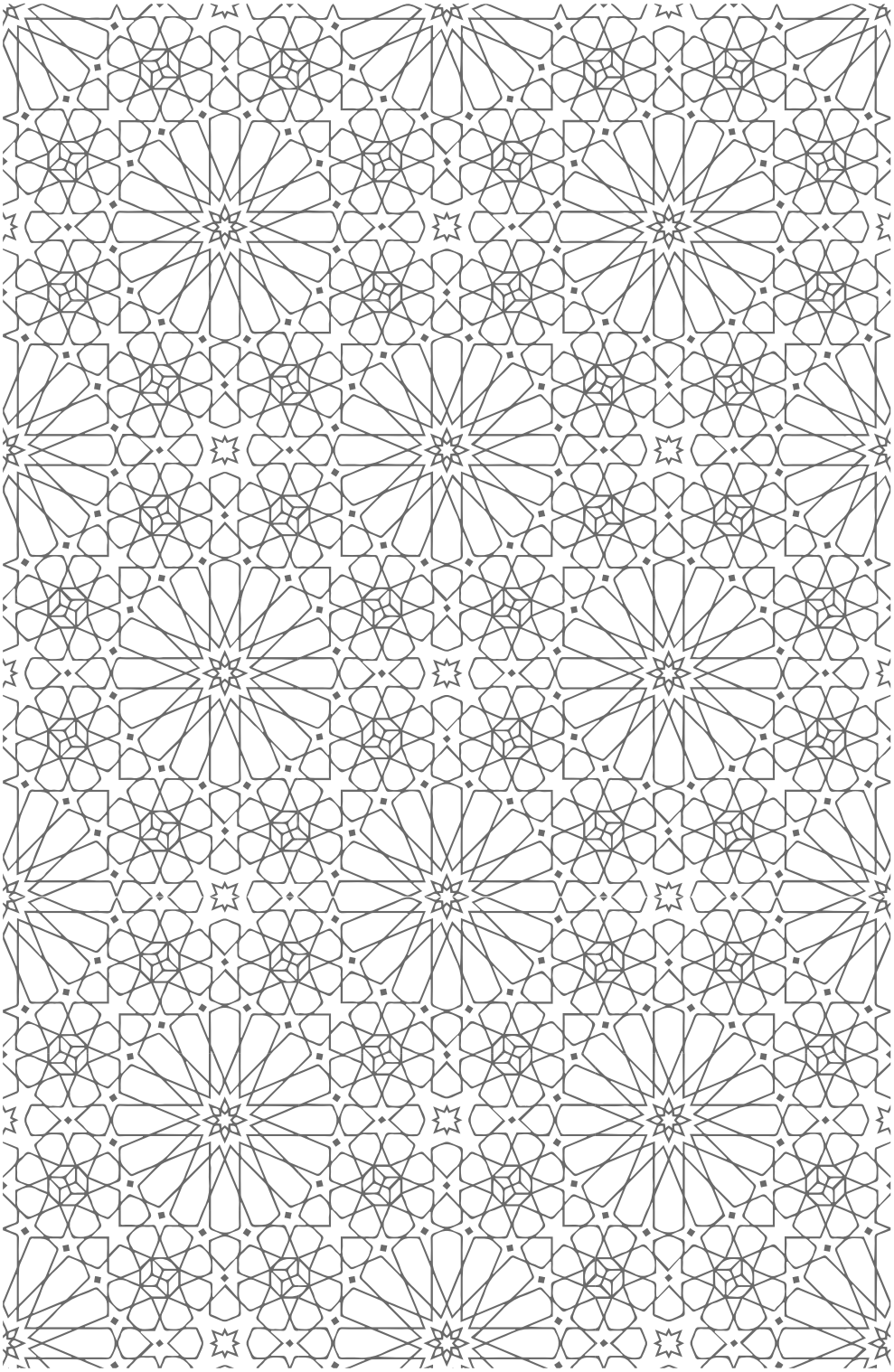

كمال الشريعة
وشمولها لكل ما يحتاجه البشر

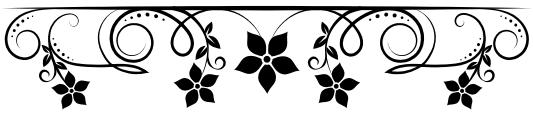

كمال الشريعة:

الحمد لله وأشكره علىٰ نعمه، وأسأله المزيد من فضله وكرمه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

وبعد، فهذه كلمة تبين كمال الشريعة وشمولها لكل ما يحتاجه البشر.

لا يخفىٰ أن الله بعث نبيه محمدًا ﷺ إلىٰ البشر رحمة منه وإحسانًا؛ ليخرجهم من الظلمات إلىٰ النور بإذنه، ويهديهم إلىٰ صراط مستقيم. وكانت العرب قبل بعثته ﷺ في جاهلية جهلاء، وشقاء لا بعده شقاء؛ يعبدون الأصنام، ويئدون البنات، ويسفكون الدماء بأدنىٰ سبب وبلا سبب، في ضيق من العيش، وفي نكد وجهد من الحياة، يعيشون عيشة الوحوش ومع الوحوش، يتحاكمون إلىٰ الكهان والطواغيت، فلما جاء الله بهذا النبي الكريم، أخرجهم الله به من الظلمات إلىٰ النور، أخرجهم من ظلمة الكفر والشرك إلىٰ نور الإيمان والتوحيد، ومن ظلمة الجهل والطيش إلىٰ نور العلم والحلم، ومن ظلمة الجور والبغي إلىٰ نور العدل والإحسان، ومن ظلمة التفرق والاختلاف إلىٰ نور

الاتفاق والوئام، ومن ظلمة الأنانية والاستبداد إلىٰ نور التواضع والتشاور، ومن ظلمة الفقر والجهد إلىٰ نور الغنىٰ والرخاء، بل أخرجهم من ظلمة الموت إلىٰ نور الحياة السعيدة:

﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾.

أكمل الله به الدين، وتمم به مكارم الأخلاق، أمر بعبادة الله وحده لا شريك له، وأمر ببر الوالدين وصلة الأرحام والإحسان إلىٰ الفقراء والمعوزين، حتىٰ قال ﷺ: «**إن الله كتب الإحسان علىٰ كل شيء**»، وأمر بالتحاكم فيما تنازعوا فيه إلىٰ الله ورسوله، لا خير إلا دل الأمة عليه، ولا شر إلا حذرها منه، أخبر بما كان وما يكون إلىٰ يوم القيامة كما قال حذيفة رضي الله عنه: قام فينا رسول الله ﷺ مقامًا ما ترك شيئًا يكون في مقامه ذلك إلىٰ قيام الساعة إلا حدث به، حفظه من حفظه، ونسيه من نسيه.

وقال أبو ذر رضي الله عنه: قام فينا رسول الله ﷺ أو قال: لقد تَرَكَنا رسول الله ﷺ وما طائر يقلب جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علمًا. رسم لأمته طريق السعادة في الدنيا والآخرة في سياسته الشرعية التي يعجز كل أحد أن يأتي بناحية من نواحيها، فرسم لهم طريق السياسة مع الأعداء، وبين لهم ما تعامل به الأمم الأجنبية من الحرب ووجوبه، والسلم ووجوبه، والمعاهدات والصلح، وحفظ العهود، وأوجب عليهم الاستعداد بكل قوة يستطيعونها؛ قال

الله تعالىٰ: ﴿ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَبَقُوٓا۟ ۚ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ ۞ وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ ﴾.

ففي هذه الآيات دلالة واضحة علىٰ مقتضيات الحرب والاستعداد لذلك، وتأهب المسلمين بالقوة لعدوهم بما يرهبهم، وبيان الصلح والسلم، إلىٰ غير ذلك مما دلت عليه هذه الآيات وغيرها من آي القرآن.

كما قسمت الشريعة أيضًا السياسة إلىٰ ثلاثة أقسام:

١- سياسة شرعية دينية.

٢- سياسة جائزة مباحة.

٣- سياسة شيطانية فرعونية إبليسية.

فالسياسة الشرعية الدينية هي: ما دل عليه الكتاب والسنة من قتل القاتل، وقطع يد السارق، وإقامة الحدود كحد الزنا والقذف، وحد المسكر، ودية منافع الأعضاء، وغير ذلك مما لا يدخل تحت حصر.

والسياسة الجائزة المباحة: وهي ما يسوس بها ولاة الأمور رعاياهم، مما لم تخالف كتابًا ولا سنة.

فإن رسول الله ﷺ إذا همَّ بغزوة ورَّىٰ بغيرها، وقال: «**الحرب خدعة**»، إلىٰ غير ذلك.

والسياسة الشيطانية الفرعونية الإبليسية: هي كل ما خالف كتاب الله، وصحيح سنة رسول الله ﷺ، وإن زعم أهلها أنهم مصلحون بسياستهم فهم حقًّا مفسدون، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾﴾، فقال الله: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾﴾.

فالعبرة بالحقائق لا بالمسميات. وكما قال فرعون: ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٢٩﴾﴾.

وأي رشد عند فرعون القائل: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾؟ بل رد عليه القرآن في موضع آخر، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾﴾.

وبينت الشريعة الإسلامية السياسة الخارجية كما قدمنا في الآيات بشأن السلم والحرب والصلح والمعاداة إلىٰ غير ذلك، فمن ذلك أيضًا قوله تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ الآية.

فالآية تدل علىٰ أن المسلمين مأمورون بالحذر وبالتأهب والاستعداد لعدوهم بالآلات الحربية كالطائرات والدبابات والصواريخ وغيرها، مما يجد ويحدث، مما يزيد المسلمين قوة، فبذلك يأخذون حذرهم، وفي قوله تعالىٰ: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ ما يبين ذلك.

كما بينت أيضًا السياسة الداخلية، فبينت ما للإمام من الحقوق علىٰ رعيته، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾.

وقال النبي ﷺ: «**اسمع وأطع لمن ولاه الله أمرك**» الحديث، وقال: «**اسمعوا وأطيعوا وإن تأمر عليكم عبدٌ حبشي**».

ومن بيانها لحقوق الرعية علىٰ ولي الأمر قوله تعالىٰ: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ٨٨﴾.

وقول الرسول ﷺ: «**اللهم من ولي أمرًا من أمور أمتي فرفق بهم فارفق به، ومن ولي أمرًا من أمور أمتي فشق عليهم فاشقق عليه**».

وأمرت الشريعة بمشاورة أولي الرأي، بل جعلت الشريعة مكانة الشورىٰ بين الصلاة والزكاة؛ للاهتمام بها، وعظم شأنها، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣٨﴾.

ونهىٰ الرسول ﷺ عن الإخلاد إلىٰ الكسل والعجز والدعة والراحة، وأخبرهم أن هذا سبب للذل، بل أمرهم أن يكونوا أقوياء أشداء أعزاء لا تلين قناتهم لأحد سوىٰ الله ما استطاعوا إلىٰ ذلك سبيلًا، وأمرت الشريعة بالضرب في الأرض لطلب الكسب والتجارة، قال تعالىٰ: ﴿وَءَاخَرُونَ يَضۡرِبُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَبۡتَغُونَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ﴾، وقال: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ﴾.

وأمرت بحرث الأرض للمعاش، وحثت علىٰ ممارسة الزراعة وشجعت

أهلها بما لهم من البركة والأجر والفضل العظيم كما قال ﷺ: «**ما من مسلم يزرع زرعًا أو يغرس غرسًا، فيأكل منه طير أو دابة أو إنسان، إلا كان له به صدقة**»، وقال ﷺ: «**من أحيا أرضًا ميتة فهي له**».

كما جاء الأمر بالصناعة في قوله تعالىٰ: ﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ ﴾.

ففي هذا الأمر بالصناعة مع العمل الصالح، وداود عليه السلام هو أحد أنبياء بني إسرائيل المأمور نبيُّنا عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام بالاقتداء بهم في قوله تعالىٰ: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ﴾ الآيات، إلىٰ أن قال: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ﴾.

وبالجملة، فقد رسمت أحكامًا لكل من الزراعة والصناعة والتجارة، وأوجبت حفظ الحقوق فأمرت بالكتابة والإشهاد، وحرَّمت كتمان الشهادة أشد تحريم؛ حماية للأموال وسلامة للصدور عن التقاطع والتباغض، كما نهت عن الغش والخداع في المعاملات، وحرمت الربا بأنواعه، وبيع البعض علىٰ بيع البعض، وعن التدليس وبيع الغرر؛ كل هذا حفظًا للحقوق، وحرصًا علىٰ تمام الروابط بين المسلمين.

وأوضحت الشريعة كيفية الاقتصاد وبينت كيف يصرف المال، فنهت عن التبذير وعن التقتير، وأمرت بالقَوام بينهما، قال الله تعالىٰ: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ ﴾.

وقال في وصفه لعباد الرحمن: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ٦٧﴾.

وبينت الشريعة كيف تقام البيوتات، وتؤسس العائلات؛ فشرعت النكاح وحثت عليه ورغبت فيه، وبينت ما للرجل علىٰ زوجته من الحقوق وما لها عليه، وبينت ما عسىٰ أن يقع بينهما من خلاف في المستقبل، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا ٣٤﴾.

﴿وَإِنۡ خِفۡتُمۡ شِقَاقَ بَيۡنِهِمَا فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرٗا ٣٥﴾.

كما شرعت الخلع والطلاق عند تعذر الوئام بينهما، وعدم التئام حالهما، ونظمت شؤون الأسرة الواحدة عمومًا، وبينت حقوق الوالد وما عليه، وحقوق الأولاد وما عليهم، وجميع الأقارب وذوي الأرحام كلٌّ بحسبه.

ولم يمر بالإنسان طور من أطوار حياته من حين رضاعه إلىٰ إبَّان وفاته بل إلىٰ ما بعد ذلك، فبينت الأَولىٰ بتغسيله وتكفينه وحمله والصلاة عليه ودفنه، وميراثه ووصيته وحقوقه، وقضاء ما عليه من الديون، وحكم أوقافه ما يصح منها وما لا يصح. فلله ما أعظم هذه الشريعة وأجلها وأسماها!

وكلما ازداد المرء معرفة بها، ازداد لها احترامًا وتعظيمًا وتوقيرًا؛ فلذلك كان الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لكمال معرفتهم بها أشد الناس تمسكًا بها وتمشيًا مع

تعاليمها بكل جليل ودقيق، وإنه لمن العجب إعراض أكثر الناس في هذه الأزمنة عن تعاليم هذه الشريعة السامية الكاملة واستبدالها أو شوبها بقوانين وضعية ظاهرة التناقض، واضحة الجور، فاسدة المعنىٰ؛ فلذا كثيرًا ما يطرأ عليها التغيير والتبديل؛ كلٌّ يرىٰ أنه أحسن ممن تقدمه وأدرىٰ بالمصالح والمفاسد ممن سبقه، ثم يجري عليها تغييرًا وتبديلًا بحسب رأيه، وهكذا دواليك ما بقيت هذه النظم المستمدة من نحاتة الأفكار، وزبالة الأذهان.

أما الشريعة الإسلامية، فهي صالحة لكل زمان ومكان، مضىٰ عليها أربعة عشر قرنًا وهي هي في كمالها ومناسبتها وحفظها لكافة أنواع الحقوق لجميع الطبقات. وأهدأ الناس حالًا، وأنعمهم بالًا، وأقرهم عيشًا أشدُّهم تمسكًا بها، سواء في ذلك الأفراد أو الشعوب أو الحكومات، وهذا شيء يعرفه كل أحد إذا كان عاقلًا منصفًا وإن لم يكن من أهلها، بل وإن كان من المناوئين لها.

وقد سمعنا وقرأنا كثيرًا مما يدل علىٰ ذلك، فقد ذكر بعض عقلاء المستشرقين الذين يكتبون لبيان الحقيقة والواقع لا للسياسة: أن نشأة أوروبا الحديثة إنما كانت رشاشًا من نور الإسلام، فاض عليها من الأندلس ومن صفحات الكتب التي أخذوها في حروبهم مع المسلمين في الشرق والغرب.

وقال القس طيلر: إن الإسلام يمتد في إفريقيا وتسير الفضائل معه حيث سار، فالكرم والعفاف والنجدة من آثاره، والشجاعة والإقدام من نتائجه. وقال كونتنس: يمتاز المسلمون علىٰ غيرهم برفعة في السجايا، وشرف في الأخلاق،

قد طبعته في نفوسهم ونفوس آبائهم وصايا القرآن، بخلاف غيرهم، فإنهم في سقوط تام من حيث ذلك.

وقال أيضًا: إن من أهم النعوت التي يمتاز بها المسلم عزة في النفس، فهو سواء في حالة بؤسه ونعيمه لا يرىٰ العزة إلا لله ولرسوله وله.

وهذه الصفة التي غرسها الإسلام في نفوسهم إذا توفرت معها الوسائل، كانت أعظم دافع إلىٰ التسابق إلىٰ غايات المدنية الصحيحة ورقيات الكمال.

قال هانوتو - وزير خارجية فرنسا في وقته -: إن هذا الدين الإسلامي قائم الدعائم ثابت الأركان، وهو الدين الوحيد الذي أمكن اعتناق الناس له زمرًا وأفواجًا، وهو الدين الإسلامي العظيم الذي تفوق شدة الميل إلىٰ التدين به كلَّ ميل إلىٰ اعتناق أي دين سواه، فلا يوجد مكان علىٰ سطح المعمورة إلا واجتاز الإسلام فيه حدوده فانتشر في الآفاق.

وقال بعضهم: لما رغب المسلمون عن تعاليم دينهم، وجهلوا حكمه وأحكامه، وعدلوا إلىٰ القوانين الوضعية المتناقضة المستمدة من آراء الرجال؛ فشا فيهم فساد الأخلاق؛ فكثر الكذب والنفاق والتحاقد والتباغض، فتفرقت كلمتهم، وجهلوا أحوالهم الحاضرة والمستقبلة، وغفلوا عما يضرهم وما ينفعهم، وقنعوا بحياة يأكلون فيها ويشربون وينامون، ثم لا ينافسون غيرهم في فضيلة، ولكن متىٰ أمكن لأحدهم أن يضر أخاه لا يقصر في إلحاق الضرر به.

وأقوالهم في هذا الموضوع كثيرة جدًّا، يعترفون فيها بعظمة الإسلام وشموله لعموم المصالح ودرء المفاسد، وأن المسلمين لو تمسكوا بإسلامهم حقًّا، لصاروا أرقىٰ الأمم وأسعد الناس، ولكن ضيعوا فضاعوا، واكتفَوا منه بمجرد التسمي بأنهم مسلمون.

ومناقــبٌ شــهد العــدو بفــضلها والفـضل مـا شـهدت بـه الأعـداءُ

ولسنا - والحمد لله - في حاجة إلىٰ شهادة هؤلاء وأمثالهم بفضل الإسلام وعلو مكانته، ولكن ذكرنا هذا لما قصر أهله في فهمه والعمل به، وعرف منه أعداؤه ما لم يعرفه بنوه؛ إذ جهلوا مصالحه وتطلعوا إلىٰ غيره من النظم الفاسدة المتناقضة، وأعداؤه يفضلونه ويشهدون له بالكمال وأنه فوق كل نظام، ولا شك أنه الدين الصحيح الكفيل بكل ما يحتاجه البشر علىٰ وجه يكفل لهم المصالح ويدرأ عنهم المفاسد، دين الفطرة السليمة، دين الرقي الحقيقي، دين العدالة بأسمىٰ معانيها، دين المدنية والحرية بمعناها الصحيح، دين العمل، دين الاجتماع، دين التوادد والتناصح والتحابب، دين رفع ألوية العلم والصنائع والحرف، لم يقتصر علىٰ أحكام العبادات والمعاملات، بل شمل جميع منافع العباد ومصالحهم علىٰ ممر السنين وتعاقب الدهور إلىٰ أن تقوم الساعة.

ولكن يا للأسف ويا للمصيبة! إن أبناء هذا الدين جهلوا قدره وجهلوا حقيقته، بل كثير منهم عادَوه وأصبحوا يدسون عليه معاولهم ليهدموه وليفرقوا

أهله، ويفضلون أهل الغرب علىٰ المسلمين؛ ظنًّا منهم بعقولهم الفاسدة وآرائهم الكاسدة أن الدين هو الذي أخَّرهم، وهيهات أن يكون الدين هو الذي أخرهم، ولكنهم أخروا أنفسهم بالإعراض عن تعاليم دينهم، وأخلدوا إلىٰ الكسل، وقنعوا بالجهل؛ فأصبحوا في حيرة من أمرهم.

إنهم لو عرفوا دينهم وطبقوا تعاليمه، لوصلوا فوق ما وصل إليه غيرهم من التقدم الصناعي، ولكن تركوا دينهم واقتنعوا بالترف والنعيم وأهملوا العناية به، فوالله لو أن أهله قاموا بما يجب عليهم لحازوا شرف الدنيا والآخرة.

وإن الواجب علىٰ أهل الإسلام، خصوصًا العلماء منهم وولاة الأمور، أن يبثوا الدعوة له وينشروا محاسنه لنشئهم ليرغبوهم فيه، ويرشدوا الأمة لأحكامه وحكمه كما يفعل أوائلهم الأماجد، فإنهم قاموا بالدعوة فبينوا للأمم محاسنه وسماحته، شارحين لهم حكمه موضحين مزاياه، وبذلك امتد سلطانهم، واتسعت ممالكهم، وأخضعوا من سواهم لتعاليمه، ولكن ما لبث أبناؤهم أن حرفوا فانحرفوا، وتمزقوا بعدما اجتمعوا، واشتبه الحق عليهم بالباطل، فتفرقت بهم السبل، وأصبحوا شيعًا متفرقين في آرائهم، متباينين في مقاصدهم، وكيف يحصل لهم الرقي وأنىٰ يتسنىٰ لهم التقدم وقد رضوا بقوانين وضعية استمدوها من أعدائهم؟ يجرون وراءهم، وينهجون نهجهم؛ تقليدًا لهم،ومصادمةً للشريعة الإسلامية التي هي عزهم وفخرهم، وفيها راحتهم وطمأنينتهم، والله ﷻ يقول:

﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾، ويقول جل شأنه: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾﴾، وقال ﷻ: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾.

وقد تكفلت الشريعة بحل جميع المشاكل وتبيينها وإيضاحها؛ قال تعالىٰ: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾، وقال تعالىٰ: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾.

ففي هذه الآية أن القرآن فيه البيان لكل شيء، وأن فيه الاهتداء التام، وأن فيه الرحمة الشاملة، وأن فيه البشارة الصادقة للمتمسكين به الخاضعين لأحكامه، قال تعالىٰ: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ﴾، وقال تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾.

وقال ﷺ: «**تركتكم علىٰ المحجة البيضاء، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك**»، وقال ﷺ: «**تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا: كتاب الله، فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغىٰ الهدىٰ من غيره أضله الله...**» إلخ.

فكيف يجترئ من يدعي الإيمان مع هذا البيان الواضح، والآيات

البينات، والأحاديث الصحيحة - على الرضا بالتحاكم إلى الطاغوت، والإعراض عن شريعة الله؟ والله قد نفى الإيمان عن من لم يحكِّم الرسول فيما وقع بينهم من التشاجر، قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾.

وإنه لمن أعظم الضلال أن يعتقد من يدعي الإسلام أن الشريعة لم تأت بما يكفل مصلحة الجميع، وأن الناس محتاجون إلى غيرها في شيء من شؤونهم ومشاكل حياتهم، أليس ذلك طعنًا وتكذيبًا لقوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾؟

يا له من دين، ما أجَلَّه وما أكمله! فإن من تأمل حكم هذا الدين القويم والملة الحنيفية والشريعة المحمدية التي لا تنال العبارة كمالها، ولا يدرك الوصف حسنها، ولا تقترح عقول العقلاء ولو اجتمعت وكانت على أكمل عقل رجل منهم مثلَها، وحسب العقول الكاملة الفاضلة أن أدركت حسنها، وشهدت بفضلها، وأنه ما طرق العالمَ شريعة أكمل ولا أجل ولا أعظم منها، فهي نفسها الشاهد والمشهود له، والحجة والمحتج له، والنور والبرهان، وهي من أعظم نعم الله التي أنعم بها على عباده، فما أنعم عليهم بنعمة أجل من أن هداهم لها، وجعلهم من أهلها، وممن ارتضاهم لها؛ فلهذا امتن على عباده بأن هداهم لها، قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ

وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾.

وقال معرفًا لعباده ومذكرًا لهم عظيم نعمته عليهم، مستدعيًا منهم شكره علىٰ أن جعلهم من أهلها: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾.

قال بعض السلف: يا له من دين لو أن له رجالًا!

والله أعلم، وصلىٰ الله علىٰ محمد.

مَبَاحِثُ فِي أُصُولِ الدِّينِ

بِقَلَمِ
فَضِيلَةِ الشَّيْخِ العَلَّامَةِ
محمَّد بْن صَالح العثيمين
غفَر الله لَهُ ولوالدَيْه وللمُسْلِمين

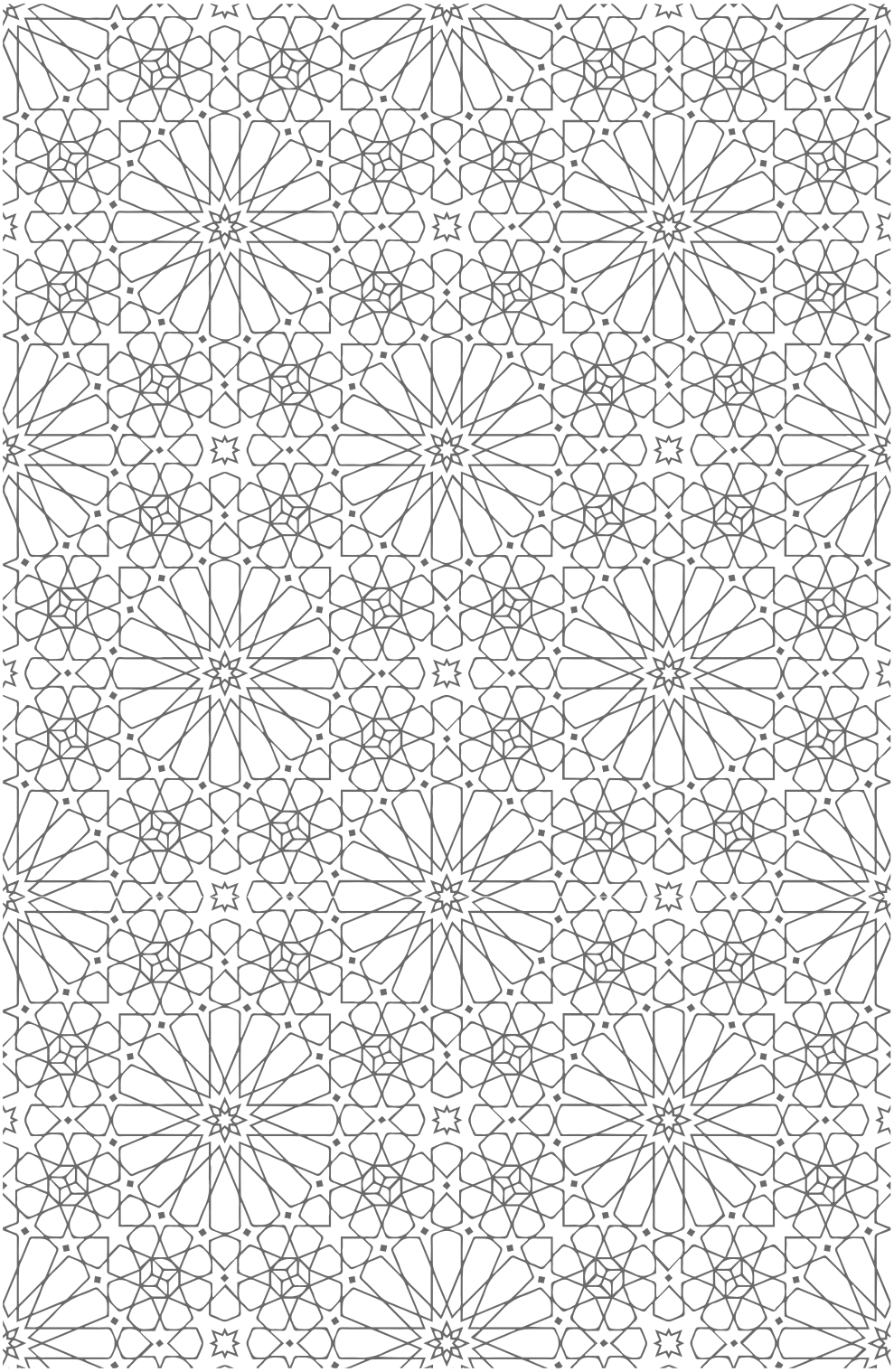

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

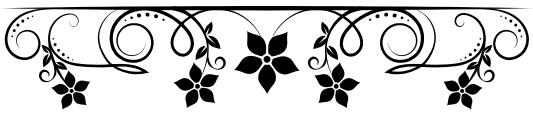

الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسِنا، ومن سيئاتِ أعمالنا، من يهدِه اللهُ فلا مُضلَّ له، ومن يُضلِل فلا هاديَ له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبدُه ورسولُه، صلَّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسانٍ، وسلَّم تسليمًا.

أما بعد:

فهذه رسالةٌ تتضمَّن «**مباحث في أصول الدين**» حسب المنهج الجديد الذي قُرِّر للسنة الثانية المتوسِّطة في المعاهد العلميَّة، ودار التوحيد، والجامعة الإسلامية، وغيرها، أرجو الله سبحانه أن ينفع به، وأن يجعلَ العمل خالصًا لوجهه، إنه جوادٌ كريمٌ.

المنهج:

يتضمَّن المنهجُ الجديدُ الموضوعاتِ التاليةَ:

أ- الدِّين الإسلاميُّ ضرورةٌ اجتماعيَّةٌ لرُقيِّ الحياة الإنسانيَّة.

ب- قُصور الأدْيانِ والمذاهب الأُخرىٰ عن إصلاح البَشر، وتحقيقِ سعادَتِهم.

ج- تكامُل الإسْلامِ، ووحدةُ مبادئِه في إصلاح شُعَب الحياة الإنسانيَّة:

١- في العقيدة.
٢- في العبادة.
٣- في الاقتصاد.
٤- في الاجتماع.
٥- في سياسة الدَّوْلة.
٦- في اعتزاز المسلم بدِينه.

محمد بن صالح العثيمين

الدِّين الإسلاميُّ ضرورةٌ اجتماعيَّةٌ لرُقِيِّ الحياةِ الإنسانيَّةِ

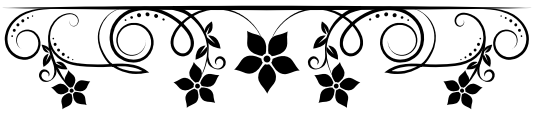

المجتمع الإنسانيُّ مختلِفٌ في أفكارِه ومقاصدِه، متباينٌ في بيئاتِه وأعمالِه، فهُوَ في ضرورةٍ إلىٰ هادٍ يُوجِّهُه، ونظامٍ يجمعُه، وحاكمٍ يحمِيه، وكانَ الرُّسُلُ الكرام - عليهم الصلاة والسلام - يَتوَلَّوْن ذلك بوحيٍ من الله - سبحانه -، يَهْدونَ النَّاس إلىٰ طريق الخير والرَّشادِ، ويجمَعونَهم علىٰ شريعةِ الله، ويَحْكُمون بينهم بالحق، فتستقيمُ أمورُهُم بحسَب استجابتِهم لهؤلاء الرُّسُل، وقُرْب عصرِهم من الرِّسَالات الإلهيَّةِ.

وكانتِ الرِّسالاتُ قَبْل رسالةِ مُحمَّدٍ ﷺ ذاتَ طَابعٍ خاصٍّ مُلائمٍ لِلأُمَّة التي بُعِث فيها الرسولُ؛ حيثُ كان النبيُّ يُبعث إلىٰ قومِه خاصَّةً، قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ﴾ [نوح: ١]، ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ﴾ [هود: ٥٠]، وهكذا تمضي الآياتُ في قَصَصِ الأنبياءِ إلىٰ آخر نبيٍّ قَبْلَ محمدٍ ﷺ: ﴿وَإِذۡ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم مُّصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ﴾ [الصف: ٦]، وقال النبيُّ ﷺ: «**كَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَىٰ قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَىٰ النَّاسِ عَامَّةً**»(١).

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب التيمم، باب قول الله تعالىٰ: ﴿فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا﴾ =

بقيَ النَّاس بعدَ رسالة عيسىٰ - عليه الصلاة والسلام - ما بيْن جاهليٍّ منهمكٍ في جاهليَّتِه، وصاحبِ كتابٍ اعتدَىٰ علىٰ كتابِه بالتحرِيفَات والمخالَفاتِ، وليسَ للنَّاس دِينٌ يجمعُهم، ولا نِظامٌ يسيرُ عليه حُكَّامُهم؛ عقائدُ فاسدةٌ، وأفكارٌ حائرةٌ، وإراداتٌ مُنحرفةٌ، وأعمالٌ سَيِّئةٌ، وأحكامٌ جائرة، إذا سَرق فيهمُ الشريف تَركُوه، وإذا سَرق فيهم الضَّعيفُ أقاموا عليه الحدَّ.

فكانوا في ضرورةٍ ماسَّة إلىٰ دِين يَسْمُونَ به إلىٰ درجات الكمال في عقائدِهم وأفكارِهم وإراداتِهم وأعمالهم وأحكامِهم، وكانوا يترقَّبُون - ولا سيما أهلُ الكتاب الذين بَشَّرتْ أنبياؤُهم بمحمدٍ ﷺ - هذا الدينَ الذي يُنير لهم الطريقَ، ويبيِّنُ لهم الحقَّ في أوضح مِنهاجٍ.

فكانت رسالةُ محمَّدٍ ﷺ تحمل هذا الدِّينَ المرتَقَبَ، دِينَ الإسلام الذي رَضِيَه اللهُ لكافَّة البشرِيَّة، وبه أتَمَّ عليهم النِّعمةَ، وفتحَ لهم بابَ العلمِ والمعرفةِ والصَّلاحِ والإصْلاحِ؛ فدِينُ الإسلام إذًا ضرورةٌ اجتماعيَّةٌ لرُقيِّ الحياة الإنسانيَّة؛ للأَدِلَّة الآتية:

أ- قوله تعالىٰ: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، فَالتَّزكيةُ والعِلمُ والحكمةُ أساسٌ لِلرُّقِيِّ والنُّهوض بالأُمَمِ، فلا رُقيَّ بدون علمٍ، ولا أخلاقَ بدون تزكيةٍ، ولا نظامَ بدونِ حكمةٍ.

= [النساء: ٤٣] رقم (٣٣٥)، ومسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا، رقم (٥٢١).

ب- **واقعُ الدِّين الإسلاميِّ ونظامُه**؛ حيثُ جاء بِحمَاية الدِّين والعقْل والنَّفْس والمال والعِرْضِ، ثُمَّ بتهذيبِ هذه الأمُور وتقْويمِها بما يكفُل سعادةَ الدنيا والآخِرةِ.

ج- **الآثارُ العظيمة لهذا الدِّين الَّتي لم يشهدِ التَّاريخُ لها مثيلًا**؛ حيثُ كانت الإنسانيَّةُ قبلَ الإسلام أبعدَ ما تكُون عن التَّقَدُّم والسُّمُوِّ في دينِها وخُلُقِها وسُلوكها وحُكمها وسياستِها، وحينَ تمسَّكتْ بالإسلام، عادَ هذا التخلُّفُ تقدُّمًا، وهذا الانحطاطُ رُقيًّا، كما شهدَ بذلك تاريخُ صدْر الإسْلامِ.

قُصُور الأديانِ والمذاهبِ الأخرى عن إصلاحِ البشرِ وتحقيقِ سعادَتِهم

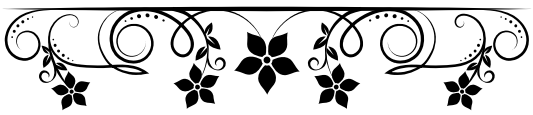

الأَديانُ السماويَّة الَّتي كُتِب لها البقاءُ إلىٰ الآن ثلاثةٌ: اليهوديَّة، والمسيحيَّة، والإسْلام.

وكلٌّ مِن الدِّيانَتَيْن - اليَهُوديَّة والمسيحيَّة - قاصرةٌ عن إصلاحِ البَشَر، وتحقيقِ سعادتِهم؛ للأَسْباب الآتيَة:

أ- **أنهما ديانتان خاصتان بقوم موسىٰ وعيسىٰ**؛ لقول النبي ﷺ: «**كَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَىٰ قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَىٰ النَّاسِ عَامَّةً**»، متفق عليه[1].

ب- **أن فيهما تضييقًا وشدةً**؛ ومن حكمة اللهِ أن الشرائعَ الخاصَّة تكون ملائمةً لأصحابِها، بحيثُ لا تصْلُح شريعةً لغيرهم؛ لأن الحكمةَ ألَّا يُشْرَع لأمةٍ إلا ما يُناسبُها؛ حيثُ وضعَ اللهُ علىٰ بني إسرائيلَ من الآصار والأغلال ما يُناسب طبيعتَهم وحالَهم، قال الله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ

(١) سبق تخريجه.

لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

فمن ذلك:

١- أن الصلاةَ لا تُقام إلا في الأماكنِ المعَدَّة لها خاصةً؛ كالبِيَع والكنائس.

٢- أنَّ مَن عدِم الماءَ لا يتطهَّر بالتراب (بالتيمُّم)، بل تبقىٰ الصلاةُ في ذمَّتِه حتىٰ يجد الماءَ فيقضيَها.

٣- أن المغانمَ الَّتي ظفر بها المجاهدون لا تَحِلُّ لهم.

٤- قال النبي ﷺ: «**أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِي المَغَانِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي**... الحديث» متَّفق عليه[1].

٥- وفي دين اليهود حرِّم عليهم بعضُ الطيبات بسبب ظلمهم وعدوانهم؛ قال الله تعالىٰ: ﴿فَبِظُلۡمٖ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتۡ لَهُمۡ﴾ [النساء: ١٦٠].

ج- أنه حصل في هاتين الشريعتين: اليهوديَّة والمسيحيَّة، من التحريف والتبديل، ولبس الحق بالباطل: ما يمنع إصلاح البشر بهما لو قدر بقاؤهما دينًا،

---

(١) سبق تخريجه.

فكيف وقد نُسخ التديُّنُ بهما بشريعة الإسلام؟

وإذا لم يمكن إسعادُ البشر بالديانَتيْن: اليهوديَّة والمسيحيَّة، مع أنهما شريعتانِ سماويَّتان؛ فما عدَاهما من التَّشْريعات البعيدةِ عن التشريع السَّماويِّ من باب أولىٰ.

تَكامُلُ الإِسْلام ووَحْدةُ مبادِئِه في إصلاح شُعَب الحياة الإنسانيَّة

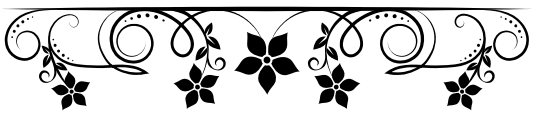

الإسلام دينٌ كامل شاملٌ لإصلاح جميع شُعَب الحياة الإنسانيَّة:

أ- لقوله تعالىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

ب- ولأنَّه شرْعُ الله العليم بما يُصْلِح خلقَه، الحكيمِ بما يَشْرَعُه لهم.

ج- ولأنَّ تعاليمَه شاهدةٌ بذلك؛ فالقرآنُ - وهو دستورُ الإسلام - لم يغفلْ شيئًا مما ينفع الناسَ، حتىٰ آداب جلوسهم، ودخولِ البيت، ونحوها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُواْ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ﴾ [المجادلة: ١١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ﴾ [النور: ٢٧].

والسُّنَّةُ النبويَّة - وهيَ المصدرُ الثَّاني للتشريع الإسلاميِّ - لم تغفلْ مثلَ هذه الأمور الدقيقةِ؛ فقد علَّم النبيُّ ﷺ أمتَه كيف يأكلون ويشربون وينامون ويبولون ويتغوَّطون، مع أنَّ هذه الأمورَ بسيطةٌ بالنِّسبةِ للصَّلاة والصِّيَام والزَّكاة والحجِّ، وغير ذلك.

فالإسلامُ كاملٌ في العقيدة والعبادة، والاقْتصاد والاجتماع، وسياسةِ الدَّوْلة واعتزاز المسلم بدِينه.

فهو كاملٌ في العقيدة؛ لأنَّها عقيدةٌ راسخةٌ مبنيَّةٌ على ما تقتضيه الفطرةُ والعقلُ السليمُ.

فهيَ الإيمانُ باللهِ، وملائكتِه، وكُتُبِه، ورُسُلِه، واليوم الآخر، والقدرِ خيرِه وشرِّه.

قال تعالىٰ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

الإيمانُ بالله ربًّا عظيمًا، وإلهًا حقًّا، لا شريك له في ذلك، ولا في خصائصِ أسمائِه وصفاتِه.

الإيمانُ بالله حاكمًا مشرِّعًا، فالحُكْم من العَليِّ الكبير، فلا حبرٌ ولا راهبٌ ولا أميرٌ ولا سلطانٌ يستطيع تغييرَ حُكمٍ من أحكام اللهِ. الحلالُ ما أحلَّه اللهُ، والحرامُ ما حرَّمه، والواجبُ ما أوجبَه، لا معقِّبَ لحُكْمِه، ولا تبديلَ لكلماته.

الإيمانُ بالمبدأ والمعَاد، فالخلق من اللهِ وإليه، ولن يكون مَبدؤُهم ولا مصيرُهم سدًى، لا غاية له ولا مقصود من ورائه؛ بل لا بدَّ من مصيرٍ ومرجعٍ، ولا بدَّ من عملٍ لذلك المصير والمرجع، ﴿سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ

﴿ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧-٨].

وإنَّ عقيدةً كهذه تصْحَب الإنسانَ قائمًا وقاعدًا وعلىٰ جنبِه لا بد أن توجِّهه التوجيهَ السَّليمَ في جميع شُؤون الحياةِ، فيكون مستقيمًا علىٰ أمر الله تعالىٰ.

والإسلامُ كاملٌ في العبادة؛ حيث شرَّع للمسلمين ما به كمال التذلُّل، والتعبُّد شرائعُ متنوعةٌ في كيفيَّاتها وأوقاتها؛ ليتحقَّق بذلك ما خُلِقوا له، ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

فالصَّلاة: عبادةٌ بدنيَّةٌ محضةٌ إمَّا مؤقَّتة؛ كالصَّلوات الخمس والوتر، وإما غيرُ مؤقَّتة؛ كالنَّوافل المطلَقة، يتَّصل الإنسانُ فيها بربِّه علىٰ أكمل وجهٍ متطهرًا مستترًا، مستقبلَ القبلةِ خاشعًا يتقرَّب إليه بالقيام والركوع والسجود والقعود، وما يقولُه من قرآن وذِكْر ودعاء في هذه الأركانِ، فيخرج من الصلاةِ وقد امتلأ قلبُه نورًا وإيمانًا.

والزَّكاة: عبادةٌ ماليَّة يبذل المسلم فيها قِسطًا من مالِه؛ تَقَرُّبًا إلىٰ ربِّه، وتطهيرًا لنفسِه من الذُّنُوب والبُخْل، وتزكيَةً لمالِه، ونفعًا للإسلام والمسْلِمين.

والصِّيامُ: عبادةٌ بدنيَّةٌ، لكنَّها من جنسٍ آخرَ، فيه كفٌّ للنَّفس عن شهوات الأكلِ والشُّرب والنِّكاح؛ تقرُّبًا إلىٰ الله بترْكِ ما يشتهيه، وتذكيرًا بنعمةِ الله بتيسير حالِه وقتَ الفِطْر، وتذكُّرًا لحال الفقراء المعْدمين.

والحجُّ: عبادةٌ بدنيَّةٌ ماليةٌ، يُفارقُ المسلم فيها وطنَه وأهلَه إلىٰ بيتِ الله؛ تقرُّبًا لربِّه، وتعظيمًا لحرماته، واجتماعًا مع إخوانه المسلمين من جميع أقطار الأرض؛ ﴿لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَـٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَـٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَـٰمِ﴾ [الحج: ٢٨].

والجهاد: عبادةٌ بدنيَّةٌ ماليَّةٌ يبذل المسلمُ فيها نفسَه ومالَه تقرُّبًا إلىٰ الله تعالىٰ؛ دفاعًا عن دينِه، وإعلاءً لكلمة الله، ورحمةً لعباد الله؛ علَّهم يدخلون في دين الله، أو يبذلون الجزيةَ ليكونوا في حِمىٰ الإسلام.

فهذه العبادات المنوَّعة جمعت للعابِدين أسمىٰ أنواع العبوديَّة، مع ما فيها من تقويَة الإيمان، وترسيخ العقيدة، وتهذيب النفوس، وإصلاح المجتمع، ورِفعة الدرجات في الدنيا والآخرة.

والإسلامُ كاملٌ في الاقتصاد؛ حيث نظَّم أحسنَ نظام في تحصيل المال وحفظه وتصريفه، فأباح تحصيلَ المال بطريقِ العُقود، وبطريق العمل.

فمِن أمثلة تحصيل المال بطريق العقود:

١- **البَيْع؛** أحلَّه الإسلامُ علىٰ وجه لا ظلم فيه ولا رِبا، قال الله تعالىٰ: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟﴾ [البقرة: ٢٧٥]؛ لأنَّ النَّاسَ مُحتاجُون إلىٰ تبَادُل الأموال بينهم.

٢- **المشاركات؛** أحلَّها الإسلامُ إذا كانت مبنيَّةً علىٰ العدل والمساواة بين الشركاء في المغنَم والمغرَم؛ لما فيها من التعاوُن والتساعُد، وفي الحديث عن

النبيِّ ﷺ يقول الله تعالىٰ: «**أَنَا ثَالِثُ الشَّرِيكَيْنِ مَا لَمْ يَخُنْ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ**»(١) رواه أبو داود.

٣- **التبرُّعات**؛ أحلَّها الإسلامُ؛ لما فيها من جلب المودَّة، ونفع الآخذ، قال الله تعالىٰ: ﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا﴾ [النساء: ٤].

ومِن أمثلة تحصيل المال بطريق العمل:

١- **الحِرَاثة**؛ أباحها الإسلامُ؛ لما فيها من تعمير الأرض، وتنمية القُوت، ونفع العمال؛ قال الله تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥]، وقال ﷺ: «**مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللهِ دَاوُدَ عليه السلام كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ**»(٢) رواه البخاري، وقال ﷺ: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا، فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ أَوْ إِنْسَانٌ أَوْ بَهِيمَةٌ، إِلَّا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ**»(٣) رواه البخاري ومسلم.

٢- **الصيد والاحتشاش واستخراج الجواهر ونحوِها من البحر**؛ قال الله تعالىٰ: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ۖ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ۗ﴾ [المائدة: ٩٦]، وقال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ [النحل: ١٤].

---

(١) أخرجه أبو داود: كتاب البيوع، باب الشَّركة، رقم (٣٣٨٣).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده، رقم (١٠٧٢).

(٣) أخرجه البخاري: كتاب الحرث والمزارعة، باب فضل الزرع والغرس إذا أكل منه، رقم (٢٣٢٠)، ومسلم: كتاب المساقاة، باب فضل الغرس والزرع، رقم (١٥٥٢).

ونظَّم الإسلامُ حفظَ المال وصيانتَه بطُرُق عديدة؛ لأنَّ المالَ قيامٌ للناس، تقوم به مصالح دينهم ودنياهم.

فمن أمثلة ذلك:

١- **مَنع دفع الأموال للسُّفهاء الذين لا يُحسِنون التصرف في المال**؛ قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا﴾ [النساء: ٥]؛ لأن دفعها لهم سبب لضياعها واللعب فيها.

٢- **الأمرُ بالإشهاد علىٰ البيع**؛ قال تعالىٰ: ﴿وَأَشْهِدُوٓا۟ إِذَا تَبَايَعْتُمْ ۚ﴾ [البقرة: ٢٨٢]؛ لأن ترك الإشهاد يُؤدِّي إلىٰ ضياع مال أحد المتَبايِعَيْنِ عند إنكار صاحبه.

ونظَّم الإسلامُ تصريف المال، واعتنىٰ به اعتناءً بالغًا؛ فنهىٰ عن إضاعة المالِ، وهو صرْفُه في غير فائدةٍ؛ قال النبي ﷺ: «**إِنَّ اللهَ كَرِهَ لَكُمْ ثَلَاثًا: قِيلَ وَقَالَ، وَإِضَاعَةَ المَالِ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ**»(١) رواه البخاريُّ.

ونهىٰ عن الإسراف في صرْفه أو التَّقْتير، فقال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٩].

وجعلَ إنفاق المالِ علىٰ نوعين: واجب ومستحب.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الزكاة، باب قول الله تعالىٰ: ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾ [البقرة: ٢٧٣]، رقم (١٤٧٧).

فمن أمثلة الإنفاق الواجب:

١- **الزَّكاة؛** وهي جزءٌ معلومٌ من المال الزَّكويِّ، يُدفع إلىٰ مستحقِّي الزَّكاة، قال تعالىٰ: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة: ٤٣]، وقال النبي ﷺ: «**بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَىٰ خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ**»(١) متفق عليه. وسبقتِ الإشارة إلىٰ حِكمة الزكاة.

٢- **الإنفاقُ علىٰ النَّفْس والزوجة والأقارب:** قال النبي ﷺ: «**إِنَّ لِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا**»(٢)، وقال الله تعالىٰ في نفقة الزوجة: ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٣٣]، وقال في نَفَقات الأقارب: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٢٦-٢٧].

والحِكْمةُ في إيجاب الإنفاق: حفظُ النفس، ومواساةُ هؤلاء المحتاجين.

٣- **الإنفاقُ الواجب لعَارِض، لِدفع الضَّرورة؛** كإطعام الجائع، وكِسْوة

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الإيمان، باب (دعاؤكم إيمانكم) لقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُاْ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ﴾ [الفرقان: ٧٧]، ومسلم: كتاب الإيمان، باب بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام، رقم (١٦)، و(٢١).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الصوم، باب حق الجسم في الصوم، رقم (١٩٧٥)، ومسلم: كتاب [الصيام، باب النهي عن صوم] الدهر لمن تضرر به، رقم (١١٥٩).

العاري، قال النبي ﷺ: «**أَطْعِمُوا الجَائِعَ، وَعُودُوا المَرِيضَ، وَفُكُّوا العَانِيَ**»(١). رواه البخاري.

والحِكمة في وُجوب الإنفاق هنا: إنقاذُ المعصوم، ودفع ضرورته، والشُّعور بالمسؤولية نحوَ إخوانه المضطَّرين.

ومن أمثلة الإنفاق المستَحبِّ:

١- **الصدقاتُ غير الزكاة علىٰ الفقراء**؛ قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ [الحديد: ١٨]، وقال النبي ﷺ: «**مَنْ تَصَدَّقَ بِعِدْلِ تَمْرَةٍ** - أي: ما يعادلها - **مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، وَلَا يَقْبَلُ اللهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، وَإِنَّ اللهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهَا، كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ، حَتَّىٰ تَكُونَ مِثْلَ الجَبَلِ**»(٢) متفق عليه.

٢- **الإنفاق في المصالح العامَّة**؛ كبناء المساجد والمدارس وإصلاح الطُّرُق وغيرها، قال النبي ﷺ لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: «**إِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللهِ إِلَّا أُجِرْتَ عَلَيْهَا، حَتَّىٰ مَا تَجْعَلُ فِي فَمِ امْرَأَتِكَ**»(٣) متفق عليه.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب المرضىٰ، باب وجوب عيادة المريض، رقم (٥٦٤٩).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، باب قول الله تعالىٰ: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤]، رقم (٧٤٣٠)، ومسلم: كتاب الزكاة، باب قبوله الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها، رقم (١٠١٤).

(٣) أخرجه البخاري: كتاب الإيمان، باب ما جاء أن الأعمال بالنية والحِسبة ولكل امرئ ما نوىٰ، رقم (٥٦)، ومسلم: كتاب الوصية، باب الوصية بالثلث، رقم (١٦٢٨).

والحكْمَة في هذا الإنفاق المستحبِّ: التقرُّبُ إلىٰ الله، وتزكيةُ النَّفس والمال، وسدُّ حاجات المسلمين.

والإسلامُ كاملٌ في الاجتماع؛ حيث نظَّم المجتمعَ تنظيمًا كفيلًا بصلاح الأمة؛ فنظَّم العلاقاتِ الأسريةَ، والعلاقاتِ العامَّةَ.

فمن أمثلة تنظيم العلاقات الأسرية:

١- **وُجوب برِّ الوالدين؛** بالإحسان إليهما بالقول والفعل، والصبر علىٰ مشقة العناية بهما، قال الله تعالىٰ: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٣-٢٤].

وإلىٰ جانب هذا تحريمُ عُقوقِهما؛ بمنع واجب برِّهما، قال النبي ﷺ: «**أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ**» ثلاثًا، قالوا: بلىٰ يا رسول الله، قال: «**الْإِشْرَاكُ بِاللهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ**»، وكان متكئًا فجلس، فقال: «**أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ**» فما زال يكررها حتىٰ قالوا: ليته سكت[(١)]. متفق عليه.

٢- **وُجوب صِلة الأرحام؛** وهم القرابة، قال الله تعالىٰ: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾ [الإسراء: ٢٦]، وقال النبي ﷺ: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ، فَلْيَصِلْ**

(١) أخرجه البخاري: كتاب الشهادات، باب ما قيل في شهادة الزور، رقم (٢٦٥٤)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها، رقم (٨٧).

رَحِمَهُ»[١]. متفق عليه.

وإلىٰ جانب هذا تحريم قطيعة الرحم، قال الله تعالىٰ: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ﴾ [محمد: ٢٢-٢٣]، وقال النبي ﷺ: «**مَنْ قَطَعَهَا** - أي: الرحم - **حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الجَنَّةَ**»[٢]. رواه أحمد.

٣- **تنظيم العلاقات الزوجية**؛ حيثُ رتَّب الإسلامُ للنِّكاح حدودًا في عقده، وفي حلِّه، وفي حقوقٍ مبنيَّة علىٰ الحكمة والإتقان وعدم الفوضىٰ، وأَوْجب علىٰ كلٍّ من الزوجين من العشرة بالمعروف ما تستقيمُ به الحياة الزوجية السعيدة، وبيَّن كيف تُحَلُّ المشكلاتُ بينهما بالإصلاح تارةً، وبالفداء تارة، وبالتحكيم تارة.

ومن أمثلة تنظيم العلاقات العامَّة:

١- **الاجتماع علىٰ العبادات يوميًّا وأسبوعيًّا وسنويًّا**؛ لتتأكَّد الروابطُ بين المجتمع بالأُلفة والمحبَّة والتعاون، فالصلوات الخمسُ يجتمع عليها المسلمون يوميًّا، وصلاةُ الجمعة يجتمعون عليها أسبوعيًّا، وصلاةُ العيد يجتمعون عليها سنويًّا، والحجُّ اجتماعٌ سنويٌّ عامٌّ لجميع المسلمين.

٢- **وجوب العدل**؛ وهو إيصالُ الحقِّ إلىٰ مُستَحِقِّه بدون مَيْلٍ أوِ انْحراف،

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الأدب، باب إكرام الضيف وخدمته إياه بنفسه، رقم (٢١٣٨).
(٢) أخرجه أحمد (١/ ١٩٠، رقم ١٦٥١).

قال الله تعالىٰ: ﴿ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ﴾ [المائدة: ٨]، ومن العدل أن تُعامل الناسَ بما تُحبُّ أن يعاملوك به، قال النبي ﷺ: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**»(١).

٣- **وجوب الصدق والوفاء بالعهد؛** قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]، وقال: ﴿وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا﴾ [الإسراء: ٣٤].

٤- **وجوب الوفاء بالعقود؛** قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾ [المائدة: ١]، وقال النبي ﷺ: «**الْبَيِّعَانِ بِالخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا، فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَتَمَا وَكَذَبَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا**»(٢). متفق عليه.

٥- **الحث علىٰ كل ما يحصل به المودة والألفة بين المسلمين؛** قال النبي ﷺ: «**لَا تَدْخُلُونَ الجَنَّةَ حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّىٰ تَحَابُّوا، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ**»(٣). رواه مسلم.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، رقم (١٣)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب الدليل علىٰ أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير، رقم (٤٥).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب البيوع، باب إذا بيَّن البيِّعان ولم يكتما ونصحا. ومسلم: كتاب البيوع، باب الصدق في البيع والبيان، رقم (١٥٣٢).

(٣) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون، وأن محبة المؤمنين من الإيمان، وأن إفشاء السلام سبب لحصولها، رقم (٥٤).

وإلىٰ جانب ذلك حذَّر من كلِّ ما يُضادُّ هذه المطالبَ العالية والأخلاقَ الفاضلة.

فحذَّر من الظلم؛ قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آل عمران: ٥٧]، وقال في الحديث القدسي: «**يَا عِبَادِي! إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَىٰ نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا؛ فَلَا تَظَالَمُوا**»(١). رواه مسلم.

ونهىٰ عن الغدر؛ فقال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ [النحل: ٩١]، وقال النبي ﷺ: «**إِذَا جَمَعَ اللهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يُرْفَعُ لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ، فَقِيلَ: هَذِهِ غَدْرَةُ فُلَانِ بْنِ فُلَانٍ**»(٢). رواه البخاري.

وحذَّر من الكذب؛ قال النبي ﷺ: «**إِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ؛ فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَىٰ الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَىٰ النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّىٰ الْكَذِبَ حَتَّىٰ يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا**»(٣). متفق عليه.

ونهىٰ عن كل ما يوجب العداوة والتفرق؛ فقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، رقم (٢٥٧٧).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الأدب، باب ما يدعىٰ الناس بآبائهم، رقم (٦١٧٧)، ومسلم: كتاب الجهاد والسير، باب تحريم الغدر، رقم (١٧٣٥)، واللفظ لمسلم.

(٣) أخرجه البخاري: كتاب الأدب، باب قول الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]، رقم (٦٠٩٤)، ومسلم: كتاب البر والصلة، باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله، رقم (٢٦٠٧).

يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ﴾ [الحجرات: ١١-١٢]، وقال ﷺ: «**لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ، التَّقْوَىٰ هَا هُنَا** - ويشير إلىٰ صدره ثلاث مرات - **بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَىٰ الْمُسْلِمِ حَرَامٌ: دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ**»[(١)]. رواه مسلم.

وهذا التَّوجيهُ الاجتماعيُّ النَّبيلُ كما يحصل به صلاحُ المجتَمع في الدُّنيا، يحصل به كذلك صلاحُ الدِّين، وكثرةُ الثواب في الآخرة.

والإسلامُ كاملٌ في السياسة؛ حيث نظَّم السياسة الداخلية والخارجيَّة أكملَ نظامٍ، وأتمَّه بمصالح الخلق، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومن له ذوقٌ في الشَّريعة، واطِّلاعٌ علىٰ كمالها وتضمُّنها لغاية مصالح العباد في المعاش والمعاد، ومجيئها بغاية العدْل الذي يسع الخلائقَ، وأنَّه لا عدل فوق عدلها، ولا مصلحة فوق ما تضمنته من المصالح؛ تبيَّن له أنَّ السياسةَ العادِلَة جزءٌ من أجزائها، وفرعٌ من فُروعها، وأنَّ من أحاط علمًا بمقاصِدها ووضَعَها موضعها

(١) أخرجه مسلم: كتاب الأدب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله، رقم (٢٥٦٤).

وحسُن فهمه فيها، لم يحتج معها إلىٰ سياسة غيرها البتة»[١] ا.هـ.

فالسِّياسة الداخليَّة تقوم علىٰ أُسسٍ أربعة:

أ- العلاقة بين الحاكم والمحكوم.

ب- حفظ القيم الأخلاقيَّة.

ج- حفظ الأمن.

د- الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

أ- فالعلاقة بين الحاكم والمحكوم لكلٍّ منهما فيها وظيفةٌ:

فوظيفَةُ الحاكم:

١- النُّصْح في الحكم بحيث يختارُ أكملَ الطُّرق وأقربها لحصول مصالح المحكومين في الدُّنيا والآخرة، فلا ينفذ أمرًا والمصلحةُ في منعه، ولا يمنع أمرًا والمصلحة في تنفيذه، ولا يُولي الأعمال إلا الأَكْفَاء، ولا يُولي شخصًا علىٰ عملٍ وغيرُه أصلحُ له منه؛ قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ [النساء: ٥٨]، وقال النبي ﷺ: «**مَا مِنْ أَمِيرٍ يَلِي أَمْرَ الْمُسْلِمِينَ ثُمَّ لَا يَجْهَدُ لَهُمْ وَيَنْصَحُ، إِلَّا لَمْ يَدْخُلْ مَعَهُمُ الجَنَّةَ**»[٢] رواه مسلم، وقال: «**مَنِ اسْتَعْمَلَ رَجُلًا مِنْ عِصَابَةٍ، وَفِي تِلْكَ الْعِصَابَةِ مَنْ هُوَ أَرْضَىٰ للهِ مِنْهُ، فَقَدْ خَانَ اللهَ وَخَانَ رَسُولَهُ**

(١) انظر مقدمة الطرق الحكميَّة في السياسة الشرعية، لابن قيم الجوزية (ص: ٢).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب استحقاق الوالي الغاش لرعيته النار، رقم (١٤٢).

وَخَانَ الْمُؤْمِنِينَ»[(١)]. رواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد.

٢- العدل بين الرعية في تنفيذ أحكام الله، بحيث لا يحابي أحدًا في إقامة الحق والعدل، قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا﴾ [النساء: ٥٨]، وقال النبي ﷺ: «لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ، لَقَطَعْتُ يَدَهَا»[(٢)]. متفق عليه.

ووظيفة المحكوم:

١- النصح للحاكم وإرشاده بأقرب وسيلة يحصل بها المقصود؛ لقول النبي ﷺ: «إِنَّ اللهَ يَرْضَىٰ لَكُمْ ثَلَاثًا: أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا، وَأَنْ تُنَاصِحُوا مَنْ وَلَّاهُ اللهُ أَمْرَكُمْ»[(٣)]. رواه مسلم.

٢- طاعته في غير معصية الله؛ لقول الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النساء: ٥٩]، فإن أمر بمعصية الله فلا سمع ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق؛ لقول النبي ﷺ: «السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ عَلَىٰ المَرْءِ المُسْلِمِ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ، مَا لَمْ يُؤْمَرْ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِذَا أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلَا سَمْعَ وَلَا

---

(١) أخرجه الحاكم (٤/ ١٠٤، رقم ٧٠٢٣)، وقال: صحيح الإسناد.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار، رقم (٣٤٧٥)، ومسلم: كتاب الحدود، باب قطع السارق الشريف وغيره، رقم (١٦٨٨).

(٣) أخرجه مسلم: كتاب الأقضية، باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة، رقم (١٧١٥).

طَاعَةَ»[١]. متفق عليه.

٣- الصبر علىٰ ظلمه وجوره؛ لقول النبي ﷺ: «مَنْ رَأَىٰ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلْيَصْبِرْ؛ فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الجَمَاعَةَ شِبْرًا فَمَاتَ، فَمِيتَةٌ جَاهِلِيَّةٌ»[٢]. متفق عليه.

وبهذه العلاقة بين الحاكم والمحكوم يسود النظام، وتتوطَّد أركان الدولة، ويتحقق قول النبي ﷺ: «خِيَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ، وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ»[٣]. رواه مسلم.

ب- والقيم الأخلاقية:

والقيم الأخلاقية هي الدعامة القوية لبقاء الأمة وسموها ومجدها، ولن تقوم أمة بدون أخلاق؛ ولذلك حافظ الإسلام علىٰ هذه القيم محافظة بالغة، ونماها بجميع وسائل التنمية، فحث عليها النبي ﷺ ورغب فيها، وأخبر بأنه إنما بُعث ليتمم مكارم الأخلاق[٤].

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية، رقم (١٧٤٤)، ومسلم: كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، رقم (١٨٣٩).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ: «سَتَرَوْنَ بَعْدِي أُمُورًا تُنْكِرُونَهَا»، رقم (٧٠٥٤)، ومسلم: كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن، رقم (١٨٤٩).

(٣) أخرجه مسلم: كتاب الإمارة، باب خيار الأئمة وشرارهم، (١٨٥٥).

(٤) أخرجه البيهقي (١٠/ ١٩١، رقم ٢٠٥٧١)، والحاكم (٢/ ٦٧٠، رقم ٤٢٢١) وقال: صحيح علىٰ شرط مسلم، واللفظ للبيهقي.

وإلىٰ جانب ذلك وَضَعَ الحواجز التي تردع الناس عن تحطيم الأخلاق أو تدميرها، كما يظهر في الأمثلة الآتية:

١- **عقوبة الزنا:** فالزنا هدم للأخلاق، وهتك للأعراض، وضياع للأنساب، ومن ثم أوجب الإسلام عقوبة الزنا بالرجم بالحجارة حتىٰ الموت إذا كان الزاني محصنًا، وبالجلد مئة جلدة مع تغريبه عن البلد سنة إذا كان الزاني غير محصن؛ قال الله تعالىٰ: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ﴾ [النور: ٢]، وقال النبي ﷺ: «**الْبِكْرُ بِالْبِكْرِ جَلْدُ مِئَةٍ وَنَفْيُ سَنَةٍ**»(١) رواه مسلم، وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «إن الرجم في كتاب الله حقٌّ علىٰ من زنىٰ إذا أحصن من الرجال والنساء، إذا قامت البيِّنة، أو كان الحَبَلُ، أو الاعتراف»(٢). متفق عليه.

٢- **عقوبة اللواط:** فاللواط هو الفاحشة النكراء، والمصيبة الكبرىٰ، وهو محق للرجولة، وفساد للمجتمع، وكسر للمعنويات، وإفساد للدين والدنيا؛ ولذلك كانت عقوبته الإعدام بكل حال يُقتل الفاعل والمفعول به، قال النبي ﷺ: «**مَنْ وَجَدْتُمُوهُ يَعْمَلُ عَمَلَ قَوْمِ لُوطٍ فَاقْتُلُوا الْفَاعِلَ وَالمَفْعُولَ بِهِ**»(٣) رواه

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الحدود، باب حد الزنا، رقم (١٦٩٠).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب المحاربين من أهل الكفر والردة، باب رجم الحبلىٰ من الزنا إذا أحصنت، رقم (٦٨٣٠)، ومسلم: كتاب الحدود، باب رجم الثيب في الزنا، رقم (١٦٩١).

(٣) أخرجه أبو داود: كتاب الحدود، باب فيمن عمِل عمَل قوم لوط، رقم (٤٤٦٢)، والترمذي: كتاب الحدود، باب ما جاء في حدِّ اللوطي، رقم (١٤٥٦)، وابن ماجه: كتاب الحدود، باب من =

أهل السنن، وصححه ابن حبان وغيره، وهو علىٰ شرط البخاري، ونقل ابن القيم القول بإعدامهما عن جمهور الأمة[١]، ونقل شيخ الإسلام ابن تيمية في كتاب «السياسة الشرعية» اتفاق الصحابة علىٰ قتل الاثنين، وأنهم لم يختلفوا فيهما؛ وإنما خلافهم في نوع قتلهما[٢].

٣- **عقوبة الخمر:** والخمر كل مسكر، ومن أجل ضرره في العقل والبدن والدين والمجتمع وكونه سببًا للجرائم الفظيعة، رتَّب الإسلام عليه عقوبة رادعة ثابتة بسُنَّة رسول الله ﷺ وإجماع المسلمين، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ أُتِيَ برجل شرب الخمر، فجلده بجريدتين نحو أربعين. قال: وفعله أبو بكر، فلما كان عمرُ استشارَ الناسَ، فقال عبد الرحمن بن عوف: أخف الحدود ثمانين[٣]، فأمر به عمر[٤]. رواه مسلم.

وهذه العقوبات لها شروط لتنفيذها بحيث لا تنفَّذ إلا علىٰ من كان أهلًا للعقوبة، وهو البالغ العاقل، أما الصغير والمجنون فيستعمل في حقهما ما يكون به منع هذه الجرائم حسبما يليق.

= عمِل عمَل قوم لوط، رقم (٢٥٦١)، صححه ابن حبان وغيره، وهو علىٰ شرط البخاري، والحاكم (٤/ ٣٩٥، رقم ٨٠٤٧) وقال: صحيح الإسناد.

(١) الجواب الكافي (ص: ١٤٠)، وزاد المعاد (٥/ ٣٦).

(٢) السياسة الشرعية (ص: ١٣٣)، ومجموع الفتاوىٰ (١١/ ٥٤٣).

(٣) هكذا ثبت بالياء، وهو منصوب بفعل محذوف كما صرح به في الرواية الأخرىٰ. ا.هـ نووي.

(٤) أخرجه مسلم: كتاب الحدود، باب حد الخمر، رقم (١٧٠٦).

ج- وحفظ الأمن:

وحفظ الأمن لما كان أساس الاستقرار الذي به يتفرغ الإنسان لأداء مهماته الدينية والدنيوية؛ اعتنىٰ الإسلام به في النفس والمال والعِرض، ووضع لذلك الأسس الكفيلة به:

١- ففي النَّفْس أثبتَ الإسلامُ القِصاص في القتل فما دونه، فقال تعالىٰ في القتل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ...﴾ الآية [البقرة: ١٧٨]، وقال تعالىٰ فيما دون القتل: ﴿وَٱلۡعَيۡنَ بِٱلۡعَيۡنِ وَٱلۡأَنفَ بِٱلۡأَنفِ وَٱلۡأُذُنَ بِٱلۡأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلۡجُرُوحَ قِصَاصٞۚ﴾ [المائدة: ٤٥].

وفي إثبات القِصاص أكبرُ رادعٍ عن الجِنَاية؛ قال تعالىٰ: ﴿وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٩]؛ وذلك أن الجانيَ إذا علم أنه سيُقتصُّ منه، فإنه لن يُقدِم علىٰ الجِناية؛ ولذا كثرت الجِنَايات في البلاد التي لا يُنَفَّذ فيها القِصاص.

٢- وفي المال أوجب الإسلام قطع يد السارق نكالًا؛ قال تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾ [المائدة: ٣٨]، وهذه العقوبة رادع قوي عن ارتكاب السرقة.

٣- وفي العِرْض أوجب الإسلام جلد من قذف محصنًا أو محصنة ثمانين جلدة؛ قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ﴾ [النور: ٤].

وفي تنفيذ القصاص والحدود سبب قوي لأمن الناس علىٰ نفوسهم وأموالهم وأعراضهم.

د- والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

وهو أساس قوي، تقوم عليه السياسة الداخلية، والمعروف ما عرَّفه الشرع وأقرَّه، والمنكَر ما أنكره الشرْع ونهىٰ عنه، وهذا الأساس أعظم دِعامةٍ تقوم عليها تلك السياسة، وهو شامل للأسس السابقة وغيرها، وبه فُضِّلت هذه الأمةُ علىٰ الناس؛ قال الله تعالىٰ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وبه تتَّحد الأمة وتستقيم أمورها الدينية والدنيوية، وبفقده تحلُّ الفوضىٰ الفكريَّة والعقيديَّة والعَمليَّة، ويفترق الناسُ في دينهم شِيَعًا، كلُّ حزبٍ بما لديهم فرحون، قال الله تعالىٰ: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ۚ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٤-١٠٥].

وأما السياسة الخارجية وهي العلاقة بين المسلمين والكفار، فقد قسَّم الإسلام ذلك ثلاثة أقسام:

القسم الأول: كفار محاربون:

فالواجب قتالهم حتىٰ تكون الغلبة للإسلام؛ فلا يمنع دعوتَه أحدٌ أو يقوم ضدها؛ قال الله تعالىٰ: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾

[الأنفال: ٣٩]، وفي حال القتال نعاملهم بما قال الله تعالىٰ: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ [محمد: ٤].

ولنا أن نقتلهم بعد الأسر إن كان في ذلك مصلحة؛ لأن النبي ﷺ قتل النضر بن الحارث وعقبة بن أبي مُعَيْطٍ بعد بدر صبرًا[(١)].

والحكمة في قتالهم: إعلاء كلمة الله في أرضه، ورحمة هؤلاء الكفار بخضوعهم لدين الإسلام أو دخولهم فيه.

القسم الثاني: كفار معاهدون:

فيجب الوفاءُ لهم بعهدِهم ما داموا مُستقيمين عليه، ولم يَنقصونا شيئًا، ولم يُظاهروا علينا أحدًا؛ قال الله تعالىٰ: ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٤].

فإنْ خِيفَ من نقضهم العهد، وجب إعلامهم بإلغاء العهد، ولا يجوز إلغاؤه قبل إعلامهم؛ لأن ذلك خيانة؛ قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ [الأنفال: ٥٨].

وإنْ نقضوا العهد، وجب قتالهم؛ قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِن نَّكَثُوا أَيْمَانَهُم مِّن بَعْدِ

---

(١) أخرجه البيهقي في السنن (٩/ ٦٤)، ومعرفة السنن والآثار (٦/ ٥٥٢)، والطبراني في الأوسط كما في مجمع الزوائد (٦/ ٩٣)، وابن أبي شيبة في المصنف (١٤/ ٣٧٢، رقم ١٨٥٢٩)، وأبو داود في المراسيل رقم (٣٣٧).

عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ﴾ [التوبة: ١٢].

والحكمة في المعاهدة أن الحاجة قد تدعو إليها؛ لقلة المسلمين، أو ضعفهم، أو انتظار عُدَد أو مدد.

القسم الثالث: أهل الذمة:

الذين بذلوا الجزية عن إقامتهم بدار الإسلام وحمايتهم، فيجب الوفاء لهم بما شرطنا لهم ما لم ينقضوا العقد؛ قال الله تعالىٰ: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩]، وفي حديث بريدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ كان يقول إذا بعث أميرًا علىٰ سَرِيَّة أو جيش: «**إذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلىٰ ثلاث خصال، فأيتها أجابوك إليها فاقبل منهم، وكفَّ عنهم: ادعهم إلىٰ الإسلام، فإن أجابوك فاقبل منهم وكفَّ عنهم، فإن هم أبوا، فادعهم إلىٰ إعطاء الجزية، فإن أجابوا فاقبل منهم وكفَّ عنهم، فإن هم أبوا، فاستعن بالله وقاتلهم**»[(١)]. مختصر من مسلم وأبي داود.

ولعقد الذمة شروط وأحكام تكلم عليها أهل الفقه، فلا نطيل بذكرها هنا.

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الجهاد والسير، باب تأمير الإمام الأمراء علىٰ البعوث ووصيته إياهم بآداب الغزو وغيرها، رقم (١٧٣١)، وأبو داود: كتاب الجهاد، باب في دعاء المشركين، رقم (٢٦١٢).

و- اعتزاز المسلم بدينه:

من خلال ما سبق في مزايا الإسلام العظيمة يتبين أنه يجب علىٰ المسلم أن يكون معتزًّا بدينه مفتخرًا به، محافظًا عليه ومدافعًا عنه:

١- لأن الله أخبر أن العزة للمؤمنين، ونهاهم أن يَهِنوا أو يذِلُّوا وهم الأعلون؛ قال الله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨]، وقال: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩].

٢- أن النبي ﷺ حذَّر من التشبه بغير المسلمين فقال ﷺ: «**مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ**»(١).

ومعنىٰ هذا أنه يجب علىٰ المسلم أن يكون له كِيَان خاصٌّ قائم بنفسه، يتميَّز به عن الكافرين الظالمين، وألا يكون متخلفًا بالتبع لغيره، بل يكون متبوعًا لا تابعًا.

٣- أن الدين الإسلامي هو الذي أكمله الله ورضيه دينًا لعباده إلىٰ يوم القيامة؛ قال الله تعالىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

٤- أنه مُهيمِنٌ علىٰ جميع الأديان، وحاكم عليها، ومشتمل علىٰ جميع الكمالات الموجودة فيها؛ قال الله تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨].

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده برقم (٥٦٣٤)، وأبو داود: كتاب اللباس، باب في لبس الشهرة، رقم (٤٠٣١).

٥- أن التمسُّكَ به سببٌ لسعادة الدنيا والآخرة؛ قال الله تعالىٰ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

والحمد لله رب العالمين، وصلَّىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وأصحابه أجمعين.

محمد الصالح العثيمين

الشريعة الإسلامية
ومحاسنها وضرورة البشر إليها

لسماحة الشيخ
عبد العزيز بن عبد الله بن باز

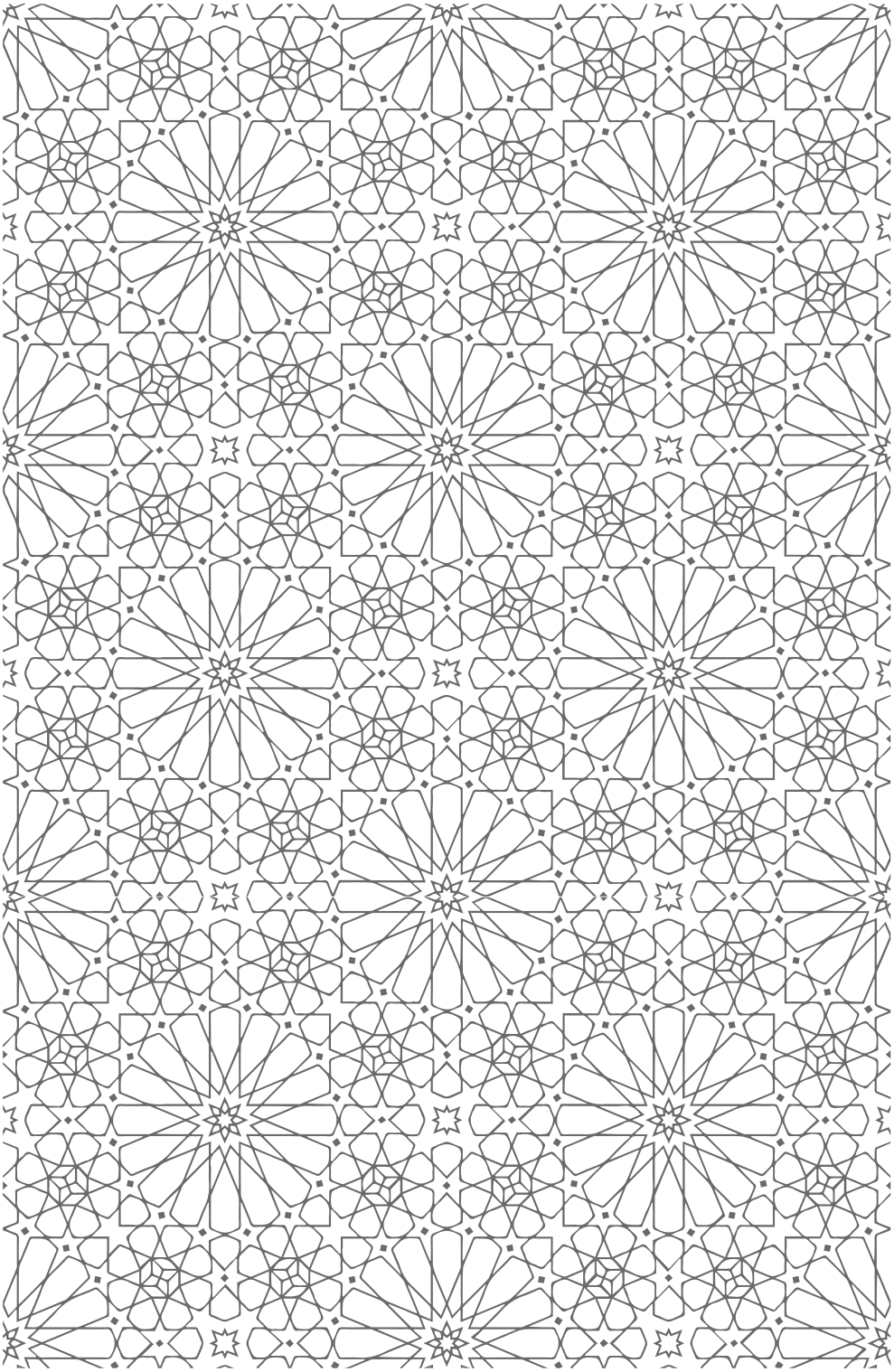

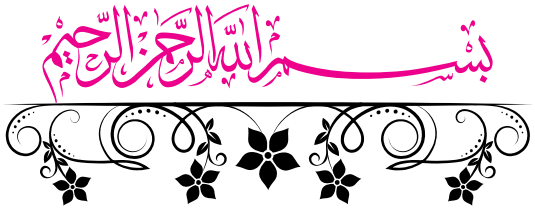

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام علىٰ من لا نبي بعده وعلىٰ آله وصحبه.

أما بعد:

فلمَّا كانت المحاضرات العلمية من خير الوسائل لإيضاح الحقائق وإبراز محاسِن الشيء المحاضَر عنه وبسط الكلام فيه بعض البسط؛ رأيت أن يكون موضوع كلمتي: «**الشريعة الإسلامية ومحاسنها وضرورة البشر إليها**».

وإنما اخترت هذا الموضوع لأهميته العظيمة كما لا يخفىٰ؛ فإن البحث في الشريعة الإسلامية، وما يتعلق بمحاسنها ومصالحها وعنايتها بالعباد، وما يتعلق بالضرورة إليها؛ أمر عظيم، والحاجة إليه شديدة والتفقُّهُ فيه والعناية به من أهم الأشياء.

فلأهمية هذا الموضوع وعظم شأنه ومسيس الحاجة إلىٰ المزيد من الفقه فيه والبصيرة رأيت أن يكون موضوع الكلمة.

وبهذا يتضح لإخواني أن هذه الكلمة ذات شقين:

أحدهما: الشريعة الإسلامية ومحاسنها.

والثاني: ضرورة البشر إليها.

وسأتكلم إن شاء الله علىٰ الشقين جميعًا.

أمَّا الشِّقُّ الأول: وهو ما يتعلق بالشريعة الإسلامية ومحاسنها:

فمن المعلوم لدىٰ المسلمين ولدىٰ كلِّ مَن له أدنىٰ علم بالواقع في الأزمان الماضية: أن الله جل وعلا بعث الرسل جميعًا -عليهم الصلاة والسلام- بدين الإسلام من أولهم نوح إلىٰ آخرهم محمد -عليهم الصلاة والسلام-، بل أبونا آدم عليه السلام كان علىٰ الإسلام والقرون التي كانت بعده إلىٰ أنْ حَدَث الشرك في قوم نوح. كلهم كانوا علىٰ الإسلام كما قال ابن عباس رضي الله عنهما، ثم حدث الشرك في قوم نوح بعبادة الصالحين ودٍّ وسواعٍ ويغوثَ ويعوقَ ونسرٍ؛ فأرسل الله نوحًا -عليه الصلاة والسلام- إلىٰ قومه لما وقع فيهم الشرك، وكان أول رسول إلىٰ أهل الأرض كما جاءت به الأحاديث الصحيحة عن رسول الله عليه الصلاة والسلام.

فالرسل -عليهم الصلاة والسلام- جميعًا بعثهم الله من أولهم إلىٰ آخرهم بدين الإسلام، كما قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [سورة آل عمران: ١٩]؛ فأوضح سبحانه أن الدين عنده هو الإسلام لا دين عنده سواه سبحانه وتعالىٰ، ثم أكد ذلك سبحانه بآية أخرىٰ، فقال جل وعلا: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [سورة آل عمران: ٨٥]؛ فبين عز وجل أن جميع الطرق مسدودة إلا هذا الطريق وهو الإسلام، وأوضح سبحانه وتعالىٰ أن الإسلام هو الدين الذي يقبل مَن جاء من طريقه، ومن جاء من غير طريقه لا يقبل.

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [سورة المائدة: ٣]؛ فخاطب هذه الأمة علىٰ يد رسوله محمد -عليه الصلاة والسلام- بأنه أكمل لها الدين وأتم عليها النعمة ورضي لها الإسلام دينًا؛ فدل ذلك علىٰ أن دين الإسلام هو دين محمد -عليه الصلاة والسلام- وهو دين هذه الأمة، كما أنه هو دين الأنبياء الماضين والرسل أجمعين عليهم الصلاة والسلام، ثم أيد ذلك بقوله سبحانه: ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾ [سورة الشورىٰ: ١٣]؛ فخاطب هذه الأمة بأنه شرع لهم من الدين ما وصىٰ به نوحًا.

﴿وَٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾؛ يعني: يا محمد عليه الصلاة والسلام. فالله جل وعلا شرع لهذه الأمة ما وصىٰ به نوحًا من إقامة أمر الإسلام والاستقامة عليه والاجتماع عليه وما أوحىٰ به إلىٰ محمد -عليه الصلاة والسلام- من الاستقامة في الدين والاجتماع عليه، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [سورة آل عمران: ١٠٣].

وبقوله جل وعلا: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ [سورة آل عمران: ١٠٥]؛ فعلم بهذا أنه شرع لنا سبحانه ما شرع للأنبياء الماضين والرسل الأقدمين ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَن

يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ [سورة البقرة: ١٣٠-١٣٢]؛ فبين سبحانه أن إبراهيم وصىٰ ذريته بالإسلام، وهكذا يعقوب أوصىٰ بنيه بذلك.

وذكر عن نوح -عليه الصلاة والسلام- أيضًا ما يدل علىٰ ذلك، فقال جل وعلا في سورة يونس في قصة نوح أنه قال لقومه: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [سورة يونس: ٧٢].

وقال عن موسىٰ أنه قال: ﴿يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [سورة يونس: ٨٤].

وقال عن بلقيس: ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [سورة النمل: ٤٤].

فعلم بهذه الآيات وما في معناها أن الإسلام هو دين الأنبياء جميعًا، وهو دين الرسل جميعًا -عليهم الصلاة والسلام-، وأنه دين الله حقًّا لا دين له سواه، ولا يقبل من أحد دينًا سواه، وهو الدين الذي أمر الرسل بإقامته.

وحقيقته: توحيد الله عَزَّوَجَلَّ في ملكه وتدبيره وأفعاله وفي عبادته سبحانه وفي أسمائه وصفاته، والانقياد لأمره، وقبول شريعته، والدعوة إلىٰ سبيله، والاستقامة علىٰ ذلك، والاجتماع عليه، وعدم التفرق فيه، وهذا هو الدين الذي أُمِرنا بإقامته، وأمر الله الرسلَ ومَن بَعدَهم بإقامته كما قال تعالىٰ: ﴿أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ

وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ [سورة الشورى: ١٣]؛ فإقامة الدين معناها: قبوله، والتزامه، وإظهاره، والدعوة إليه، والسير عليه، والثبات عليه، واجتماعٌ علىٰ ذلك قولًا وعملًا وعقيدة، وعدم التفرقة في ذلك، وبهذا تجتمع كلمة المسلمين، ويتحد صفهم، ويقوىٰ جانبهم، ويهابهم عدوهم، هكذا كان الرسل -عليهم الصلاة والسلام- كلهم أُمروا بأن يقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه.

ولا يخفىٰ علىٰ ذي اللب ما في إقامة الدين والاجتماع عليه وعدم التفرُّق من قوة المسلمين، وتمكُّنهم من أخذ حقوقهم من أعدائهم، وانتصافهم منهم، وهيبة الأعداء لهم في نفس الوقت؛ لما يشاهدونه من اتحادِهم واجتماعِهم وإقامتِهم دينَهم وتعاوُنِهم في ذلك وتواصِيهم به؛ فالاجتماع والاتحاد والتعاون الصادق علىٰ الحق في كل أمة لا شك أنه سر النجاح وطريق الفوز والكرامة في الدنيا والآخرة.

فعلمنا بهذا أن جميع الرسل -عليهم الصلاة والسلام- كلهم أرسلوا بالإسلام، وكلهم دعوا إلىٰ الإسلام، وكلهم دينهم الإسلام، وكلهم أمروا بإقامة الإسلام، وإقامته -كما تقدم- إظهاره للناس، ودعوتهم إليه، والاستقامة عليه علمًا وعملًا وعقيدة، والاجتماع علىٰ ذلك، وذلك بالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره، وتلقِّي ما جاء به الرسول الأمين بالقبول والعمل والاجتماع علىٰ ذلك، والحذر من الخلاف والتفرُّق.

وبهذا يزداد الداخلون في الدين، ويعظِّمون أمر الدين ويعظمون الدعاة

إليه، ويعرفون صلاحه لكل عصر، وأنه دين حق؛ مَن تمسك به أفلح ونجح وفاز بالعزة والكرامة والاتحاد والقوة والاجتماع مع إخوانه.

فدين نوح وهود وصالح ومَن بعدهم من الأنبياء هو الإسلام عقيدة وشريعة؛ فالعقيدة التي هي الإيمان بالله ورسوله المبعوث في كل وقت بالنسبة إلىٰ القوم المبعوث إليهم هي الإسلام بالنسبة إليهم، وهو إيمانهم بما جاء به رسولهم، وتوحيدهم لربهم، وانقيادهم للشرع، واجتماعهم عليه بالأقوال والأعمال والعقيدة، لكن لكل نبي شريعة، ولكل رسول شريعة، كما قال الله جل وعلا: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [سورة المائدة: ٤٨].

وما ذاك إلا لأن ظروفَ الناس وأحوالَهم وتحمُّلَهم للتكاليف وإدراكَهم للمقصود يتفاوت كثيرًا؛ فليست عقول الناس في جميع الأزمنة علىٰ حدٍّ سواء، وليست ظروفهم وأحوالهم وقدرهم علىٰ حدٍّ سواء؛ فالله جل وعلا هو العليم بأحوال العباد، وهو الخبير بمدىٰ استطاعتهم، وهو العليم بمدىٰ تقبُّلِهم الحقَّ، وبحقيقة العقول التي يحملونها، وهو سبحانه يرسل الرسل في كل وقت وفي كل أمة بما يليق بذلك الوقت وبتلك الأمة؛ لأن ذلك هو اللائق بحكمته وعلمه ورحمته وإحسانه ﷻ.

فليس قوم نوح في العقول والتحمُّل والتقبُّل لما يجيء به الرسول كأمة موسىٰ مثلًا؛ فبين الناس فروق كبيرة في أوقاتهم وعقولهم ولغاتهم وعوائدهم وغير ذلك.

فكان من حكمة الله ﷻ أن كانت الشرائع -وهي الأحكام- متنوعةً ومتفاوتةً؛ أما الأصل فمتحدٌ الذي هو عبادة الله، وتوحيده، والإيمان به، والإيمان برسله، والإيمان بملائكته، واليوم الآخر، والكتب، والإيمان بالقدر، والإيمان بإقامة الدين، والاجتماع عليه، وإقامة الشريعة، وطاعة الرسول فيما جاء به، هذا أمر متفَق عليه بين الرسل عليهم الصلاة والسلام، وهذه أصول اجتمعوا عليها ودعوا إليها، كما قال الله جل وعلا: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [سورة النحل: ٣٦]، هذه دعوتهم جميعًا يدعون الناس إلىٰ عبادة الله والتوجه إليه وتوحيده في العبادة دون كل ما سواه في كل شيء من صلاة وصوم وغير ذلك.

وقال ﷻ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [سورة الأنبياء ٢٥].

وقال ﷻ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [سورة آل عمران: ٨١، ٨٢].

وقال ﷻ: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾ [سورة البقرة: ١٣٦].

فعُلِم بذلك أن الرسل جاءوا بهذا، وأن علينا أن نؤمن بذلك، وأن نقبل ذلك، وألا نفرق بين الرسل في هذه الأشياء، كما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥﴾ [سورة البقرة: ٢٨٥].

فلما كانت الشرائع مختلفةً متنوعةً علىٰ حسب حكمة الله وعلمه بأحوال العباد، وعلىٰ حسب الظروف في الأمم المرسلة إليهم الرسل، وأحوالهم وعقولهم، ومدىٰ تحمُّلِهم للشرائع والتكاليف مهما كانت الشرائع مختلفةً؛ قد يجب في هذه الشريعة ما لا يجب في هذه الشريعة، وقد يحرم في هذه الشريعة ما لا يحرم في هذه الشريعة؛ لحكمة بالغة وأسرار عظيمة اقتضتها حكمة الله وعلمه وقدرته وكمال إحسانه وجوده جل وعلا.

وقد يكون بعض التشديد في بعض الشرائع وبعض الآصار والأغلال لحكم وأسرار اقتضت ذلك.

وقد يكون من أسباب ذلك عصيانُ الأمة التي أُرسل إليها الرسول، وجَرأتُها علىٰ الله، وعَدَمُ مُبالاتِها بأوامره ونواهيه؛ فيشدد عليهم في التشريع لأسباب ذلك، كما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَبِظُلۡمٖ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتۡ لَهُمۡ وَبِصَدِّهِمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرٗا ١٦٠ وَأَخۡذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدۡ نُهُواْ عَنۡهُ وَأَكۡلِهِمۡ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِۚ﴾ [سورة النساء: ١٦٠، ١٦١]، فبين سبحانه أنه حرم علىٰ بني إسرائيل من اليهود طيبات أحلت لهم بأسباب أعمالهم الخبيثة.

ولما كان نبينا محمد -عليه الصلاة والسلام- هو الخاتم للأنبياء والرسل جميعًا كانت شريعته أكملَ الشرائع وأتَمَّها؛ لكونها شريعة خاتمة للشرائع، ولكونها شريعة عامة لجميع الأمة إلىٰ يوم القيامة، فلما كان -عليه الصلاة والسلام- خاتم النبيين وكان رسولًا عامًّا إلىٰ جميع الثقلين؛ اقتضت حكمة الله سبحانه أن تكون شريعته أوفىٰ الشرائع وأكملها وأتَمَّها انتظامًا لمصالح العباد في المعاش والمعاد؛ فهو -عليه الصلاة والسلام- خاتم الأنبياء والمرسلين، كما قال تعالىٰ: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [سورة الأحزاب: ٤٠]، وتواترت الأحاديث عن رسول الله -عليه الصلاة والسلام- بأنه خاتم النبيين.

وهذا أمر -بحمد الله- مُجمَع عليه ومعلوم بالضرورة من دين الإسلام.

وقد أجمع المسلمون علىٰ أن من ادعىٰ النبوة بعده فهو كافر كاذب يستتاب فإن تاب وإلا قتل كافرًا.

والله ﷻ قد أرسله إلىٰ الناس كافة بإجماع المسلمين أيضًا، وقد دلت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية أنه -عليه الصلاة والسلام- رسول الله إلىٰ الجميع: إلىٰ العرب والعجم والأحمر والأسود والجن والإنس؛ هو رسول الله إلىٰ الجميع من حينِ بعثتِه -عليه الصلاة والسلام- إلىٰ أن تقوم الساعة، كما يدل علىٰ ذلك قوله جل وعلا: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى

يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ [الأعراف: ١٥٨]؛ فعلق الله جل وعلا الهداية علىٰ اتباعه والإيمان به؛ فعُلم أن لا هداية ولا إيمان إلا من طريق اتباع محمد -عليه الصلاة والسلام- والسير علىٰ منهاجه بعدما بعثه الله.

قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [سورة آل عمران: ٣١]؛ أمر الله نبيَّه ﷺ أن يقول للناس: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾؛ فعُلم أنه لا طريق إلىٰ محبة الله ومغفرته إلا باتباعه عليه الصلاة والسلام.

وقال جل وعلا: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: ٢٨]؛ يعني: إلىٰ الناس كافة.

وقال جل وعلا: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾﴾ [سورة الفرقان: ١]؛ فأخبر جل وعلا أنه نذير للعالمين، والعالمون: هم جميع الناس، وقيل: إنه القرآن، وقيل: إنه الرسول، وكلاهما حق؛ فهو نذير للعالمين والقرآن نذير للعالمين؛ فهو نذير وكتابه نذير للعالمين للمخلوقات كلها العقلاء المكلفين من الجن والإنس.

وفي «الصحيحين» عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي الكريم -عليه الصلاة والسلام-: «**كان النبي يُبعث إلىٰ قومه خاصة وبعثت إلىٰ الناس عامة**».

وفي «صحيح مسلم» عن أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي -عليه الصلاة والسلام- قال: «**والذي نفسي بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا**

نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أهل النار».

وهذا أمر معلوم من دين الإسلام بالضرورة أنه رسول الله إلىٰ الجميع إلىٰ اليهود والنصارىٰ والعرب والعجم وجميع أجناس بني آدم وجميع الجن، من أجاب دعوته وسار في سبيله فله النجاة والسعادة والعاقبة الحميدة، ومَن حاد عن سبيله فله الخيبة والندامة والنار، كما قال جل وعلا: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ [سورة النساء: ١٣ - ١٤].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾ [سورة الحشر: ٧].

وقال النبي الكريم عليه الصلاة والسلام: «**كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبىٰ**» قيل: يا رسول الله، ومَن يأبَىٰ؟ قال: «**من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبىٰ**»، وما ذلك إلا لأن رسالته عامة وهو خاتم النبيين.

لهذا كله كانت شريعته أكملَ الشرائع وكانت أمته خيرَ الأمم، كما قال جل وعلا: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [سورة آل عمران: ١١٠].

وقال تعالىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ﴾ [سورة المائدة: ٣]؛ فأخبر سبحانه أنه أكمل لهذه الأمة دينها، والأديان السابقة كلٌّ واحد مكمَّل بالنسبة إلىٰ الرسول الذي أرسل به والقوم الذين أرسل

إليهم إكمالًا يناسبهم ويليق بظروفهم وأحوالهم، أما بالنسبة إلىٰ هذه الأمة فقد أكمل لها الدين في جميع المعاني، وجعله دينًا صالحًا لجميع ظروفهم وأحوالهم وغناهم وفقرهم وحربهم وسِلْمهم وشدتهم ورخائهم، وفي جميع أصقاع الدنيا وفي جميع الزمان إلىٰ يوم القيامة.

وقد أردت أن أذكر شيئًا يسيرًا من محاسن هذه الشريعة وأسرارها العظيمة، أما الاستقصاء فلا يخفىٰ علىٰ مَن له أدنىٰ علم أنه لا يمكن أن يستقصي أحد محاسن هذه الشريعة، كيف يستطيع أحد أن يحصي فضائلها وهي شريعة من حكيم عليم قد علم كل شيء فيما مضىٰ وفيما يأتي إلىٰ يوم القيامة، وهو العالم بأحوال عباده وأسرار تشريعه ﷻ؟! ولكن حَسْبُ طالب العلم أن يذكر شيئًا من محاسن هذه الشريعة؛ فالله جل وعلا قال: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾﴾ [سورة الجاثية: ١٨، ١٩].

أخبر الله ﷻ أنه جعل نبيه محمدًا -عليه الصلاة والسلام- علىٰ شريعة من الأمر، والمعنىٰ: علىٰ طريقة بينة واضحة ظاهرة ﴿مِّنَ ٱلْأَمْرِ﴾؛ أي: من الدين القويم وهو دين الإسلام، ثم قال: ﴿فَٱتَّبِعْهَا﴾؛ أي: الزَمْها وتمسَّكْ بها، وهو أمر له -عليه الصلاة والسلام- وأمر لجميع الأمة بذلك؛ فالأمر له أمر لنا إلا ما دل الدليل علىٰ تخصيصه به عليه الصلاة والسلام.

ثم قال: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾﴾ يحذر سبحانه من اتباع أهواء

الناس، وكلُّ مَن خالف الشريعة فهو من الذين لا يعلمون.

ثم بين جل وعلا أن الناس لن يغنوا عنه من الله شيئًا؛ يعني: لو مال إليهم واتبع أهواءَهم -والله يعصمه من ذلك- فلن يغنوا عنه من الله شيئًا؛ فالأمر بيد الله وهو القادر علىٰ كل شيء جل وعلا؛ فلا يمنع أحد رسوله -عليه الصلاة والسلام- مما أراده الله به من عزة ونصر.

فالمقصود من هذا: بيان أن النصر والتأييد بيده ﷻ، وأنه كفيل بنصره وتأييده وتبليغ رسالته، وأن الناس مهما كانوا من قوة وكثرة فلن يغنوا عنه من الله شيئًا؛ فلا وجه للميل إليهم واتباع أهوائهم، وهذا من باب التحذير، وإلا فالرسول ﷺ معصوم من اتباع أهوائهم؛ فالله قد عصمه وصانه وحماه وأيده، ولكن المقصود تعليمنا وإرشادنا أن السعادة والنجاة والقوة والعزة والسلامة في اتباع الشريعة والتمسك بها والدعوة إليها والحفاظ عليها.

والشريعة في اللغة العربية: الطريقة الظاهرة البينة الموصلة إلىٰ النجاة، وتطلق الشريعة في اللغة العربية أيضًا علىٰ الطريق الموصل إلىٰ الماء، وما ذلك إلا لأنه يوصل إلىٰ الحياة، كما قال جل وعلا: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [سورة الأنبياء: ٣٠].

فالشرائع التي جاء بها الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- طرق ظاهرة بينة واضحة لِمَن تأمَّلَها، تُوصِل مَن استقام عليها واتبعها وأخذ بها إلىٰ النجاة والسعادة، والحياة الطيبة الكريمة في الدنيا والآخرة؛ فشريعة نبينا -عليه الصلاة والسلام-

أفضلها وأكملها، وليس فيها آصار ولا أغلال، قد وضع الله عن هذا النبي وعن أمته الآصار والأغلال؛ فلله الحمد والمنة، شريعة سمحة، كما قال في الحديث الصحيح: «**بعثت بالحنيفية السمحة**»، وقال عليه الصلاة والسلام: «**إن هذا الدين يسر، ولن يشاد هذا الدين أحد إلا غلبه**»، وقال لما بعث معاذًا وأبا موسىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إلىٰ اليمن: «**يسِّرَا ولا تُعَسِّرَا، وبَشِّرَا ولا تُنَفِّرَا، وتَطاوَعا ولا تَختَلِفَا**».

فهذه الشريعة: شريعة التيسير، وشريعة المساهمة، وشريعة الرحمة والإحسان، وشريعة المصلحة الراجحة، وشريعة العناية بكل ما فيه نجاة العباد وسعادتهم وحياتهم الطيبة في الدنيا والآخرة.

فالله جل وعلا بعث نبيَّنا وإمامَنا محمدًا -عليه الصلاة والسلام- بشريعة كاملة منتظمة للمصالح العاجلة والآجلة، فيها الدعوة إلىٰ كل خير، وفيها التحذير من كل شر، وفيها توجيه العباد إلىٰ أسباب السعادة والنجاة في الدنيا والآخرة، وفيها تنظيم العلاقات بين العباد وبين ربهم وبين أنفسهم تنظيمًا عظيمًا حكيمًا.

وأهم ذلك وأعظمه: ما جاءت به الشريعة العظيمة الكاملة من إصلاح الباطن، وتوجيه العباد إلىٰ ما فيه صلاح قلوبهم واستقامتهم علىٰ دينهم، وإيجاد وازع قلبي إيماني يزعهم إلىٰ الخير والهدىٰ، ويزجرهم عن أسباب الهلاك والردىٰ، فالله عَزَّوَجَلَّ أمر الناس في كتابه الكريم بما فيه صلاح القلوب وإصلاح البواطن.

وعنيت الشريعة بهذا أعظم عناية، وفي الأحاديث الصحيحة عن رسول الله ﷺ من ذلك ما يشفي ويغني، وما ذلك إلا لأن صلاح الباطن واستقامة القلوب وطهارتها هو الأصل الأصيل والركيزة العظيمة لإصلاح العبد من جميع الوجوه، وتأهيله لتحمُّله الشريعة وأداء الأمانة وإنصافه من نفسه، ولأدائه الحق الذي عليه لإخوانه، فكلُّ عبد لا يكون عنده وازع قلبي من إيمان يَزَعُه إلىٰ الخير ويزجُره عن الشرِّ لا تستقيم حاله مع الله ولا مع العباد.

ولهذا جاءت الآيات القرآنية الكريمة بالحث علىٰ خشية الله وخوفه ومراقبته ورجائه ومحبته والتوكل عليه سبحانه، والإخلاص له والإيمان به، وعلق سبحانه علىٰ ذلك المغفرةَ والجنة، والرضا والكرامة، لماذا؟ لأن العبد إذا استقام قلبه علىٰ الإخلاص لله ومحبته والإيمان به وخشيته والتوكل عليه ومراقبته في جميع الأحوال، إذا استقام قلب العبد علىٰ هذا؛ سارع إلىٰ أوامر الله وتقبَّل توجيه ربه وتوجيه رسوله -عليه الصلاة والسلام- بكل انشراح وبكل رضا وبكل طمأنينة من دون قلق ولا ضعف، بل يستقبل ذلك بقوة وارتياح وانبساط، كما قال جل وعلا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ١٢﴾ [سورة الملك: ١٢]؛ يَحُثُّهم سبحانه في هذا علىٰ أن يَخشَوْه جل وعلا ويعظموه ويراقبوه.

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ٤٦﴾ [سورة الرحمن: ٤٦]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ﴾ [سورة الزمر: ٢، ٣]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ١٤﴾ [سورة غافر: ١٤]، وقال عَزَّوَجَلَّ:

﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [سورة الكهف: ١١٠].

وكل هذه آيات مكية يوجه الله بها العباد إلىٰ الإخلاص له، والإيمان به، وخشيته ورجائه ﷻ.

ويقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [سورة المائدة: ٢٣]، ويقول جل وعلا: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [سورة المائدة: ٥٤]، ويقول سبحانه: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [سورة آل عمران: ٣١].

ففي هذه الآيات حثٌّ الناس علىٰ محبة الله، واستحضار عظمته، والتوكل عليه، والتفويض إليه؛ فالعبد إذا عرف الله حق المعرفة بأسمائه وصفاته وعظيم حقه، وتوكل عليه، وفوض إليه أمره، واعتمد عليه مع مسارعته إلىٰ الأخذ بالأسباب والعمل بها؛ فالمتوكل قد فوض أمره إلىٰ الله واعتمد علىٰ ربه عَزَّوَجَلَّ، وسارع إلىٰ فعل الأوامر وترك النواهي، والأخذ بالأسباب والعناية بها؛ حتىٰ يؤدِّيَ الواجب علىٰ أكمل وجه عن إخلاص لله، وعن محبة له، واعتماد عليه، وعن ثقة به عَزَّوَجَلَّ.

وقال ﷻ: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ [سورة الحج: ٣٠]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾ [سورة الحج: ٣٢].

هذا كله يورث القلوب وازعًا عظيمًا من تعظيم شعائر الله، ومن تعظيم حرمات الله؛ حتىٰ يكون عند العبد وازع من قلبه ودافع من خشيته، وحافز من

إيمانه إلىٰ أداء الواجبات، وإلىٰ ترك السيئات، وإلىٰ الإنصاف من نفسه، وإلىٰ أداء الأمانة، أداء الحق الذي عليه لأخيه.

ثم إنه ﷻ مع ذلك كله شرع للناس عباداتٍ تَصِلُهم بالله، وتقربهم لديه، وتزكيهم، وتقوي في قلوبهم محبته والتوكل عليه، والأنس بمناجاته وذكره، والتلذذ بطاعته ﷻ.

* شرع لهم الطهارةَ من الحدث الأصغر والأكبر؛ لما في ذلك من استشعار تعظيم الذي شرع هذه العبادة التي بها تطهيرهم من ذنوبهم، وتطهيرهم من أحداثهم، وتنظيفهم وتنشيطهم علىٰ العمل، وجعل هذه الطهارة مفتاحًا للصلاة التي هي أعظم عبادة وأكبر عبادة بعد الشهادتين.

* وشرع لهم الصلاةَ في أوقات معينة خمسة، وكانت في الأصل خمسين؛ فالله جل وعلا قد لطف بعباده ويسر ورحم فجعلها خمسًا بدل خمسين، وكتب لهم سبحانه أجر الخمسين، وجعلها في أوقات متعددة حتىٰ لا يغفل العبد عن ذكر ربه، وحتىٰ لا ينسىٰ ربه:

الفجر في أول النهار بعد قيامه من النوم، وعند فراغ قلبه يقبل علىٰ آيات الله وسماعها ويستمع للإمام في صلاة الفجر وهو يقرأ جهرًا وينتفع بذلك، ويبدأ نهاره بذكر الله وطاعته ﷻ؛ فيكون في هذا عون له علىٰ ملاحظة حق الله، وعلىٰ تعظيم حرمات الله في صحوته، وفي أعماله، وفي بيعه وشرائه وغير ذلك.

ثم يجيء وقت الظهر فيعود إلىٰ الصلاة وإلىٰ الذكر وإلىٰ العبادة، وإن

كان هناك غفلة زالت بعَودِه إلىٰ هذه العبادة.

ثم كذلك العصر؛ بينما هو قد اشتغل بأعمال داخلية أو خارجية فإذا الوقت الآخر قد حضر فينتبه ويرجع إلىٰ ذكر الله وطاعته عَزَّوَجَلَّ.

ثم يأتي المغرب، ثم يأتي العشاء فلا يزال في عبادة وذكر فيما بين وقت وآخر، يذكر فيها ربه، ويحاسب فيها نفسه ويجاهدها لله، ويتقرب إليه بالأعمال التي يحبها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وشرع له مع ذلك عبادات أخرىٰ بين هذه الأوقات، كصلاة الضحىٰ وراتبة الظهر والمغرب والعشاء، والتهجُّد بالليل، إلىٰ أنواع من العبادات والصلاة والأذكار والاستغفار والدعاء تذكره بالله وتعينه علىٰ طاعته وذكره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ هذا كله من فضله جل وعلا وعظيم إحسانه.

* ثم جعل تعالىٰ لهذه الصلاة نداءً عظيمًا علىٰ رءوس الأشهاد ليتضمَّنَ تعظيم الله سبحانه بالتكبير والشهادة له بالوحدانية ولنبيه بالرسالة، وفيه الدعوة إلىٰ هذه الصلاة بقوله: حي علىٰ الصلاة، حي علىٰ الفلاح، ثم التكبير لله، ثم الشهادة له بالوحدانية سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ فجعل أصل الدين الذي هو الإقرار بالشهادتين دعوة للصلاة ونداءً لها؛ فالعباد ينتبهون بهذا الذكر وبهذا النداء في بيوتهم، وفي مضاجعهم، وفي مراكبهم، وفي كل مكان ينبَّهون لهذه العبادة، ولحق الله وعظمته بهذا النداء العظيم الذي لا يسمعه شجر ولا مَدَرٌ ولا شيء إلا شهد لصاحبه يوم القيامة، كما جاء بذلك الحديث الشريف عن رسول الله.

* ثم شرع الله للناس أيضًا الزكاة، وجعلها حقًّا في أموالهم يربط الأغنياء بالفقراء ويصلهم بهم، وفي ذلك فوائد كثيرة:

منها: مواساة الفقراء، والإحسان إليهم.

ومنها: مواساة أبناء السبيل.

ومنها: مواساة المؤلفة قلوبهم، وتقوية إيمانهم، ودعوتهم إلىٰ الخير.

ومنها: مساعدة الرقاب علىٰ العتق وفك الأسارىٰ.

ومنها: مساعدة الغارمين علىٰ قضاء ديونهم.

ومنها: مساعدة الغزاة علىٰ الجهاد في سبيل الله.

فهي حق عظيم في المال يزكي صاحبه، وينمي ثروته ويرضي ربه، والله مع هذا يُخلِفُه عليه ﷻ بأحسن خلف، مع هذه الفوائد العظيمة، قال ﷻ: ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٦٠ ﴾ [سورة التوبة: ٦٠].

ففي هذه الفريضة وفي هذا الحق شكر لله ﷻ علىٰ نعمه، وقربة إليه ﷻ بأداء هذا الحق، والإنفاق من المال؛ طاعة لله، وإخلاصًا له، وتقربًا إليه جل وعلا، ومع ذلك في نفس الوقت فيه إحسان للعباد ومواساة لهم ومساعدة علىٰ كل خير.

* أما الصوم فكلكم يعلم ما فيه من الخير العظيم والمصالح الكبيرة، التي منها: تطهير النفس من أَشَرها وبَطَرها وشُحِّها وبُخْلها وكِبْرها:

ومن ذلك: أن الصائم يعرف بالصيام حاجتَه وضعفَه وشدةَ ضرورَتِه إلىٰ ما أباح الله من الطعام والشراب وغيرهما.

ومنها: تذكِّر العبد بإخوانه الفقراء والمحاويج حتىٰ يواسيهم ويحسن إليهم.

ومنها: تمرين العبد علىٰ مخالفة الهوىٰ وتعويده الصبر علىٰ ما يشقُّ علىٰ النفس إذا كان في ذلك طاعة ربه ورضاه؛ فالصائم في الصيام يخالف هواه ويجاهد نفسه ويعوِّدها الصبر عما يوافق هواها من مأكل ومشرب ومنكح في طاعة ربها ومولاها عَزَّوَجَلَّ.

وفي الصوم من الفوائد والحكم والأسرار ما لا يحصيه إلا الله عَزَّوَجَلَّ، وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**كل عمل ابن آدم له، الحسنة بعشر أمثالها إلىٰ سبعمائة ضعف، يقول الله عَزَّوَجَلَّ: إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به، إنه ترك شهوته وطعامه وشرابه من أجلي، للصائم فرحتان: فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه، ولخلوف فم الصائم عند الله أطيب من ريح المسك**». والأحاديث في فضله وعظم شأنه كثيرة.

* أما الحج ففيه من الفوائد العظيمة من الصلة بالله والتقرب إليه، ومفارقة الأوطان والأهل والعشيرة لأداء هذه الفريضة العظيمة وزيارة البيت

العتيق - ما لا تحيط به العبارة؛ فإنه في هذه العبادة يركب الأخطار، ويقطع الفيافِيَ والقِفارَ، ويشق الأجواء، يرجو رحمة ربه ويخاف عقابه ﷻ؛ فما أحراه بالثواب الجزيل والأجر العظيم من المولىٰ الكريم ﷻ.

أما ما شرع الله ﷻ في هذه العبادة من الإحرام والتلبية، واجتناب كثير من العوائد، وكشف الرجل رأسه، وخلع الثياب المعتادة، والطواف بالبيت، والسعي بين الصفا والمروة، والوقوف بعرفات، ورمي الجمار، والتقرب إلىٰ الله سبحانه بذبح الهدايا... إلىٰ غير ذلك مما شرع الله في الحج - فمما شهدت العقول الصحيحة والفطر المستقيمة بحسنه، وأنه لا حكمة فوق حكمة من شرعه وأمر به عباده.

يضاف إلىٰ ذلك: ما في الحج من اتصال المسلمين بعضهم ببعض، وتشاوُرِهم في كثير من أمورهم، وتعاوُنِهم في مصالحهم العاجلة والآجلة واستفادة بعضهم من بعض... إلىٰ غير ذلك من الفوائد؛ فكل ذلك شاهد للذي شرعه بأنه سبحانه أرحم الراحمين وأحكم الحاكمين، وكل ذلك من جملة منافع الحج التي أشار إليها سبحانه بقوله: ﴿لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَـٰفِعَ لَهُمْ﴾ [سورة الحج: ٢٨].

فالحج مؤتمر إسلامي عظيم وفرصة للمسلمين ينبغي أن يستغلوها في شتىٰ مصالحهم، وأن يستفيدوا منها لأمر دنياهم وأخراهم؛ فنسأل الله أن يوفقهم لذلك، وأن يجمع كلمتهم علىٰ الهدىٰ، إنه خير مسئول وأكرم مجيب.

وقد سبق لنا أن ذكرنا أن الله جل وعلا أمر الرسل بإقامة الدين؛ فالرسل

بُعِثوا لإقامة الدين، ونبينا محمد ﷺ هو أكملهم في ذلك، وهو إمامهم وسيدهم وخاتمهم، بعث لإقامة الدين أيضًا.

فهذه العبادات وهذه التوجيهات من الله ﷻ كلها لإقامة الدين، وأن يكون عندك وازع إيماني يحملك علىٰ أداء الواجبات، ومعاملة إخوانك بأحسن المعاملات، وعلىٰ إنصافهم وأداء حقوقهم، وعلىٰ أداء الأمانة في كل شيء والرجوع إلىٰ الله في كل شيء؛ حتىٰ تكون عبدًا ممتثلًا سائرًا علىٰ الوجه الذي شرعه الله، لا تتبع هواك ولا تقف عند حظك.

ومما يتعلق بما تقدم: قول النبي -عليه الصلاة والسلام- في الحديث الصحيح: «**ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله؛ ألا وهي القلب**». فأخبر -عليه الصلاة والسلام- أن صلاح العبد بصلاح قلبه؛ فمتىٰ صلح قلبه استقام العبد مع الله ﷻ ومع العباد، ومتىٰ خبث القلب وفسد خبث العبد وفسدت حاله، وهذا يبين لنا ما تقدم من أن هذه الشريعة عنيت عناية عظيمة بأسباب إصلاح القلوب.

وقال عليه الصلاة والسلام: «**إن الله لا ينظر إلىٰ صوركم ولا إلىٰ أموالكم، ولكن ينظر إلىٰ قلوبكم وأعمالكم**». فبين -عليه الصلاة والسلام- أن موضع النظر من ربنا ﷻ: القلب والعمل، أما مالُك وبدنك فلا قيمة لهما وليسا محل النظر إلا إذا استعملْتَ مالَكَ وبدنَك في طاعة ربك، وإنما محل النظر قلبك وعملك؛ فإذا استقام قلبك علىٰ محبة الله وخشيته ومراقبته

والإخلاص له استقامت أعمالك واستقام أمرك، وإن كانت الأخرىٰ فسدت حالك وفسد عملك ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ثم إن هذه الشريعة العظيمة أيضًا: نظَّمت العلاقات بين الأسرة في نفسها، أسرة الإنسان وقراباته بما شرع الله من: صلة الرحم والمواريث، والتعاون فيما بين الأسرة حتىٰ تكون مرتبطة متعاونة علىٰ ما يرضي ربنا عَزَّوَجَلَّ، متحابَّةً فيما بينها؛ هذا من رحمته وإحسانه - جل وعلا - أن جعل بين ذوي القرابات صلة خاصة تصل بعضهم ببعض، وتجمع بعضهم إلىٰ بعض، وتربط بعضهم ببعض؛ فشرع صلة الرحم، وحث علىٰ ذلك وتوعَّد علىٰ ترك ذلك؛ فقال النبي الكريم -عليه الصلاة والسلام- في الحديث الصحيح: «**لا يدخل الجنة قاطع**»؛ يعني: قاطع رحم، وقال جل وعلا في كتابه العظيم: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾ [سورة محمد: ٢٢ - ٢٣]، وفي الحديث أيضًا: «**من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أجله، فليصل رحمه**».

وهكذا شرع العلاقات الطيبة بين المسلمين في جميع المعاملات: فجعلهم إخوة يتحابون في الله، ويتعاونون علىٰ الخير في جميع المجالات. وهذه أعظم صلة وأعظم رابطة بين المسلمين، الرابطة الإسلامية والأخوة الإيمانية، وهي أعظم رابطة، وهي فوق رابطة القرابة والصداقات وكل رابطة بين الناس، فالرابطة الإسلامية والأخوة بين المسلمين فوقها؛ فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ جعل

المسلمين فيما بينهم إخوةً، وأوجب عليهم أن يحب بعضهم لبعض الخير، ويكره له الشر، وأن يكونوا فيما بينهم متحابين متناصحين متعاونين حتىٰ يكونوا كتلة واحدة، وجماعة واحدة، وصفًّا واحدًا، وأمة واحدة: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾﴾ [سورة الأنبياء: ٩٢].

ويقول جل وعلا: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [سورة التوبة: ٧١].

ويقول عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ﴾ [سورة آل عمران: ١٠٣]، فيأمرهم بالاجتماع والاعتصام بحبل الله وهو دينه سبحانه.

ويقول عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾﴾ [سورة المائدة: ٢]؛ فبين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن الواجب علىٰ الجميع أن يتعاونوا علىٰ البر والتقوىٰ، وأن يكونوا أولياء لا غلَّ بينهم، ولا حقدَ ولا حسدَ، ولا تباغُضَ ولا تقاطُعَ، لكن أولياء يتناصحون ويتعاونون علىٰ الخير، وهذا هو التضامن الإسلامي الذي يدعو إليه كل مسلم، وكل مخلص لدينه، وكل مؤمن، وكل محب للإسلام.

فالتضامن الإسلامي: هو التعاون علىٰ البر والتقوىٰ، والتواصي بالحق والتناصح في الله، والتكافل والتكاتف علىٰ كل ما فيه صلاح المسلمين ونجاحهم، وحفظ حقوقهم، وإقامة كيانهم، وصيانتهم من شر أعدائهم، هذا هو التضامن.

وهذا هو التعاون: أن يكون المسلمون حكومًا وشعوبًا متعاونين علىٰ البر والتقوىٰ متناصحين في الله، متحابِّين فيه، متكاتفين علىٰ كل ما يقيم دينهم، ويحفظ كيانهم، ويوحد صفوفهم، ويجمع كلمتهم، وينصفهم من عدوهم، ويورثهم العزة والكرامة.

فبهذا الاجتماع وهذا التعاون يحميهم الله من شر أعدائهم ومكائدهم، ويجعل لهم الهيبة في قلوب الأعداء لاجتماعهم علىٰ الحق وتعاونهم وتكاتفهم وتناصرهم علىٰ دين الله مخلصين لله قاصدين وجهه الكريم لا لغرض آخر، كما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ٧﴾ [سورة محمد: ٧]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ٤٠ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ٤١﴾ [سورة الحج: ٤٠، ٤١].

فهو سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ علق نصرهم وحفظهم وحمايتهم بنصرهم دينه واجتماعهم علىٰ دينه وتعاونهم واعتصامهم بحبل الله عَزَّوَجَلَّ؛ فبالتضامن الإسلامي والتعاون الإسلامي كل خير وكل عزة في الدنيا والآخرة للمسلمين إذا صدقوا في ذلك وتعاونوا عليه.

ومن محاسن هذه الشريعة أيضًا: أن جعلت المؤمن أخا المؤمن؛ ينصح له ويحب له الخير، يأمره بالمعروف وينهاه عن المنكر، ويعينه علىٰ الخير، ويمنعه من الشر، كما قال النبي الكريم عليه الصلاة والسلام: «**لا يؤمن أحدكم**

حتىٰ يحب لأخيه ما يحب لنفسه»، وقال جل وعلا: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [سورة الحجرات: ١٠].

فالمؤمن أخو المؤمن يعينه علىٰ الخير ويدعوه إليه، وينهاه عن الشر ويأخذ علىٰ يديه، كما قال النبي الكريم عليه الصلاة والسلام: «**انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا**» قالوا: يا رسول الله، نصرته مظلومًا فكيف أنصره ظالمًا؟ قال: «**تَمنَعُه من الظلم فذلك نصره**». فنصر الظالم: منعه والأخذ علىٰ يديه؛ فالمسلمون إذا قاموا بهذا وتعاونوا عليه حصل لهم الخير العظيم والعزة والكرامة، وجمع الكلمة، وهيبة الأعداء، والعافية من مكائدهم.

ومن محاسن هذه الشريعة أيضًا: أنها جعلت للمعاملات بين المسلمين نظامًا حكيمًا يتضمن العدل والإنصاف وإقامة الحق فيما بينهم؛ من دون محاباة لقريب أو صديق، بل يجب أن يكون الجميع تحت العدل وتحت شريعة الله، لا يحابي هذا لقرابته، ولا هذا لصداقته، ولا هذا لوظيفته، ولا هذا لغناه أو فقره، ولكن علىٰ الجميع أن يتحروا العدل في معاملاتهم من الإنصاف والصدق وأداء الأمانة، كما قال جل وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ﴾ [سورة المائدة: ٨].

وقال جل وعلا: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ﴾ أي: بالعدل ﴿شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ ۚ﴾ [سورة النساء: ١٣٥]، وقال جل وعلا: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ

﴿كَانَ ذَا قُرۡبَىٰۖ وَبِعَهۡدِ ٱللَّهِ أَوۡفُواْۚ﴾ [سورة الأنعام: ١٥٢].

فالله ﷻ شرع للجميع أن يتعاملوا بالعدل والإنصاف، وأن يقيموا الحق فيما بينهم علىٰ طريق العدل والقسط من دون محاباة لزيد أو عمرو أو صديق أو قريب أو كبير أو صغير.

ومن محاسن هذه الشريعة وعظمتها وصلاحها لكل أمة ولكل زمان ومكان: أن علق ﷻ معاملاتهم علىٰ جنس العقود وجنس البيع وجنس الإجارة ونحو ذلك؛ من دون أن يحدد لهذه العقود ألفاظًا معينة خاصة، حتىٰ يتعامل كلُّ قوم وكل أمة بما تقتضيه عوائدهم وعرفهم ومقاصدهم ولغتهم، وما يقتضيه النظر في العواقب؛ فجعل لمعاملاتهم عقودًا شرعها لهم ﷻ ولم يحدد ألفاظًا؛ بل جعلها مطلقة، كما شرع لهم في أنكحتهم وطلاقهم ونفقاتهم ودعاواهم وخصوماتهم نظامًا حكيمًا يتضمن الإنصاف والعدل، وأن تراعىٰ في ذلك العوائد والعرف، والاصطلاحات والبينات، والمقاصد والظروف، والأزمنة والأمكنة في حدود الشريعة كاملة حتىٰ لا يقضي علىٰ أحد بغير حق؛ فقال جل وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾ [سورة المائدة: ١] فأطلق العقود، وقال جل وعلا: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ﴾ [سورة البقرة: ٢٧٥]، وقال جل وعلا: ﴿فَإِنۡ أَرۡضَعۡنَ لَكُمۡ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّۖ﴾ [سورة الطلاق: ٦].

وجاءت الأحاديث عن رسول الله -عليه الصلاة والسلام- فيما يتعلق بالمساقاة والمزارعات والشركات والجعالات والضمانات والأوقاف

والوصايا والنكاح والطلاق والرَّضاع وغير ذلك بما يطابق ما جاء به القرآن الكريم.

وهذه الأنظمة التي جاء بها القرآن وصحت بها السنة أنظمة واضحة بينة، يستقيم عليها أمر العباد، وتصلح لهم في كل زمان ومكان، ولا تختلف عليهم، بل يكون لهؤلاء عرفهم في بيعهم وشرائهم ونكاحهم وطلاقهم وأوقافهم ووصاياهم وغير ذلك؛ حتىٰ لا يربط هؤلاء بهؤلاء ولا هؤلاء بهؤلاء، كما قال جل وعلا تنبيهًا علىٰ هذا المعنىٰ: ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [سورة البقرة: ٢٣٣]؛ يعني: بالمتعارف. وقال النبي ﷺ في حديث خطبته العظيمة في حجة الوداع: «**ولهن عليكم**» أي: للزوجات «**رزقهن**» أي: كسوتهن «**بالمعروف**».

وقال جل وعلا: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ [سورة الإسراء: ١٥] لإقامة الحجة وقطع المعذرة، وقال ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾ [سورة التوبة: ١١٥]، وقال ﷻ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [سورة النحل: ٤٤]؛ فبين ﷻ أنه لا بد من بيان، ولا بد من إقامة حجة حتىٰ لا يؤخذ أحد إلا بعد إقامة الحجة عليه.

وقد ذكر ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا المعنىٰ في كتابه «إعلام الموقعين» فصلًا عظيمًا بيَّن فيه أن الشريعة راعت عوائد الناس ومقاصِدَهم وعُرفَهم ولغتهم؛ حتىٰ تكون الأحكام والفتاوىٰ علىٰ ضوء ذلك؛ فقد يكون عرف هذه البلدة وهذا الإقليم غير عرف الإقليم الآخر والبلدة الأخرىٰ، وقد يكون لهذا

الشخص من النيات والمقاصد ما ليس لشخص آخر، ويكون لهؤلاء من العوائد ما ليس للآخرين، وقد تكون أزمان لا يليق أن يفعل فيها ما يليق أن يفعل في الزمن الآخر، كما كانت الدعوة في عهد النبي ﷺ في مكة غير حالها في المدينة؛ لاختلاف الزمان والمكان، والقوة والضعف.

وهذا من عظيم حكمة الله جل وعلا ورعايته لأحوال عباده؛ فقد يقصد بعض الناس بألفاظ البيع والهبة ما يقصد به آخرون معنىٰ آخر أو عقدًا آخر، وهكذا في الطلاق والإجارة وغير ذلك، وهكذا بعض الأزمان قد يسوغ فيها ما لا يسوغ في أزمان أخرىٰ.

ومثل لذلك بأمثلة منها: إقامة الحد في أرض العدو إذا وجد بعض الغزاة ما يوجب الحد في أرض العدو؛ فقد نهىٰ النبي ﷺ عن إقامة الحد في أرض العدو. لماذا؟ لأنه قد يغضب ويستولي عليه الشيطان فيرتد عن دين الإسلام لذلك، ولقربه من العدو.

ومن ذلك: عام المجاعة؛ فإذا كان عام مجاعة واشتدت الحال بالناس لا ينبغي القطع في هذه الحالة للسارق إذا ادعىٰ أن الذي حمله علىٰ ذلك الضيقُ والحاجة وعدم وجوده شيئًا يقيم أَودَه ويسدُّ حاجته؛ لأن هذا شبهة في جواز القطع، والحدود تدرأ بالشبهات؛ ولهذا أمر عمر -رَضِيَ اللهُ عنه وأرضاه- في عام الرمادة بعدم القطع، وحكم بذلك -رَضِيَ اللهُ عنه وأرضاه- لهذه الشبهة.

وهكذا تعتبر العواقب، كما قال الله سبحانه: ﴿فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ۝٢﴾

[سورة الحشر: ٢]، وقال تعالىٰ: ﴿فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ ٤٩﴾ [سورة هود: ٤٩]، وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖۗ﴾ [سورة الأنعام: ١٠٨]؛ فلا بد من رعاية العواقب.

ولهذا ذكر ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أن الإنسان إذا كان أمره بالمعروف في بعض الأحيان قد يفضي إلىٰ وجود ما هو أنكرُ من المنكر الذي يريد أن ينهىٰ عنه؛ فإنه لا يجوز له أن ينهىٰ عن المنكر في هذه الحالة: إذا كان إنكار المنكر يفضي إلىٰ ما هو أنكر منه وأشد، فإنك في هذه الحالة لا تنكره؛ لئلا يقع ما هو أنكر منه وهذا من باب مراعاة العواقب.

فإذا كان إنسان مثلًا يشرب الخمر ولكنك إذا نهيته عن ذلك ومنعته عن ذلك ومنعته منه اشتغل بقتل الناس؛ فحينئذ يكون ترك الإنكار عليه أولىٰ؛ لأن شرب الخمر أسهل من كونه يتعدىٰ علىٰ الناس بالقتل.

والمقصود: أن الواجب الرعاية للعواقب كما تراعىٰ عوائد الناس وظروفهم وأحوالهم ومقاصدهم ونياتهم في عقودهم وتصرفاتهم فيما بينهم، وفي إقامة الحدود، وفي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ يراعىٰ في ذلك تحصيل المصالح ودرء المفاسد، وتحصيل المصلحة الراجحة بتفويت المصلحة المرجوحة، وتعطيل المفسدة الكبرىٰ بارتكاب المفسدة الصغرىٰ عند العجز عن تفويتهما جميعًا.

هذه أمور عظيمة جاءت بها هذه الشريعة الكاملة، ولا شك أن ذلك

من محاسنها، ويجب علىٰ ولاة الأمور وعلىٰ كل مَن له تصرف في أمر الناس أن يراعوها من قاضٍ ومفتٍ وأمير وغيرهم؛ هذا كله من محاسن هذه الشريعة العظيمة.

ومن محاسنها أيضًا: أنها جعلت للناس الحرية في الكسب والأخذ والعطاء؛ فيكتسب المسلم ويأخذ ويعطي في حدود الشريعة، كما قال تعالىٰ: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [سورة البقرة: ٢٨٦] له غنم ما أخذ وعليه غرمه، كما قال النبي -عليه الصلاة والسلام- في الحديث الصحيح: «**لَأَنْ يأخذ أحدكم حبله فيأتي بحزمة حطب علىٰ ظهره فيبيعها فيكفَّ بها وجهه خير له من سؤال الناس أعطوه أو منعوه**». فحث علىٰ الكسب وبين أنه خير من سؤال الناس.

ولما سئل -عليه الصلاة والسلام-: أي الكسب أطيب؟ قال: «**عمل الرجل بيده، وكل بيع مبرور**»، وقال عليه الصلاة والسلام: «**ما أكل أحد طعامًا أفضل من أن يأكل من عمل يده، وكان نبي الله داود يأكل من عمل يده -عليه الصلاة والسلام-**».

فالشريعة الإسلامية حبَّذت الكسب والعمل، ودعت إلىٰ الكسب والعمل، وجعلت العامل أحق بكسبه وماله، وحرمت علىٰ الإنسان ذم أخيه وماله وعرضه إلا بحق.

وهذا كله من محاسن هذه الشريعة وعظمتها أنها صانت أموال الناس وأعراضهم كما صانت أبشارهم ودماءهم، وأمرتهم بالكسب وحثتهم عليه، كما

قال النبي الكريم عليه الصلاة والسلام: «**احرص علىٰ ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز؛ فإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت لكان كذا أو كذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن (لو) تفتح عمل الشيطان**».

ولو ذهبت أذكر ما يتعلق بعظمة هذه الشريعة ومحاسنها ورعايتها لمصالح العباد في أمر المعاش والمعاد لطال بنا المقام كثيرًا، ولكن هذه إشارة قليلة تكفي اللبيب في التعرف علىٰ عظمة هذه الشريعة ورعايتها لأحوال العباد ومصالحهم في الحاضر والمستقبل.

ومن ذلك أيضًا: ما جاء في هذه الشريعة من الأمر بالتوبة؛ لأن فيها إصلاحَ الماضي والعافية من شره، وقد كان من توبة بعض الماضين قتلُ النفوس؛ فرحم الله هذه الأمة وجعل توبتهم الندم والإقلاع، والعزيمة علىٰ عدم العودة إلىٰ السيئة، مع رد المظالم إلىٰ أهلها، هذا من إحسان الله ورحمته جل وعلا لهذه الأمة، وهذا من محاسن هذه الشريعة أن جعلت لك أيها الإنسان فرجًا ومخرجًا من ذنوبك وسيئاتك بالتوبة النصوح والاستغفار والرجوع إليه ﷻ والعمل الصالح.

ومن تأمل هذه الشريعة في مواردها ومصادرها ونظر ما جاءت به من الأحكام العظيمة العادلة، والإحسان إلىٰ الخلق، ورعاية الفقراء والمحاويج والصغار والكبار وغيرهم، حتىٰ البهائم اعتنت بها الشريعة وحرمت ظلمها والتعدي عليها – عرف أنها شريعة من حكيم حميد خبير بأحوال عباده عليم بما

يصلحهم، وعرف أيضًا أنها من الدلائل القاطعة علىٰ وجوده ﷻ وكمال قدرته وحكمته وعلمه، وعلىٰ صدق رسوله محمد ﷺ، وأنه رسول الله حقًّا.

وهكذا من نظر فيما جاءت به الشريعة من رعاية في أحوال العباد أغنيائهم وفقرائهم، مُلَّاكهم وعمالهم، حكامهم ومحكوميهم، أفرادهم وجماعاتهم، قد راعتهم جميعًا، وجعلت لهم أحكامًا مبنية علىٰ المصلحة، والعدالة والإنصاف، والإحسان والرحمة؛ فهذه الشريعة كلها مصالح، كلها حكم، كلها هدىٰ، كلها عدل، وكل شيء خرج من العدل إلىٰ الجور، ومن المصلحة إلىٰ العبث، ومن الرحمة إلىٰ ضدِّها فليس من الشريعة في شيء، وإن نسب إليها بالتأويل؛ كما ذكر ذلك العلامة ابن القيم رحمه الله؛ فالشريعة كلها رحمة وعدل وحكمة، وكلها رعاية لمصالح العباد بعيدة عن العبث والظلم والمشقة.

ومن تأمل ما تقدم عرف ما أردتُه في الشق الثاني من عنوان هذه الكلمة، وهو أن البشر في أشد الضرورة إلىٰ هذه الشريعة؛ لما اشتملت عليه من المصالح العظيمة، وأنها راعت مصالح العباد في المعاش والمعاد، وهيأت لهم السبل التي توصلهم إلىٰ النجاة والسعادة، وبين ﷻ في كتابه أن شريعته صراط مستقيم، صراط واضح ومنهج قويم، من استقام عليه نجا، ومن حاد عنه هلك.

ومن تأمل هذا حق التأمل عرف أن هذه الشريعة كسفينة نوح عليه السلام من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق؛ فهكذا هذه الشريعة العظيمة من تمسك بها واستقام عليها نجا، ومن حاد عنها هلك ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وبذلك يتضح لِلَّبيب أن العباد جميعًا في أشد الضرورة إلىٰ هذه الشريعة؛ لما فيها من حل مشاكلهم، ولما فيها من أحكام عادلة، ولما فيها من التوسط بين الاشتراكية الإلحادية الماركسية المنحرفة وبين الرأسمالية الغاشمة الظالمة؛ فهي وسط في كل شيء، وسط في اقتصادها بين اشتراكية الملحدين وماديتهم، وبين الرأسمالية الغاشمة التي لا حدود لها؛ فهي وسط بين طرفين، عدل بين جَورين، وكذلك وسط في جميع أمورها؛ لا تطرف في غلو، ولا تطرف في جفاء، بل هي وسط في شأنها كله، هذه الشريعة العظيمة وسط في الإنفاق والإمساك لا إسراف وتبذير، ولا إمساك وتقتير، بل هي وسط بين ذلك، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾﴾ [سورة الإسراء: ٢٩]، وكما قال سبحانه في صفات عباد الرحمن: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾ [سورة الفرقان: ٦٧].

فمن تأمل هذا الأمر وعُني به عرف أنها دين ودولة، ومصحف وسيف، عبادة وحسن معاملة، جهاد وأعمال صالحة، إنفاق وإحسان، وطاعة لله ﷻ والرسول ﷺ، توبة من الماضي وعمل للمستقبل، فيها كل خير فهي جمعت خير الدنيا والآخرة، لا يجوز أن يفصل ديننا عن دنيانا، ولا دنيانا عن ديننا، بل ديننا ودنيانا مرتبطان ارتباطًا وثيقًا في هذه الشريعة، كما قال تعالىٰ: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾﴾ [سورة النساء: ٥٨].

فهي حاكمة علىٰ الناس كلهم، علىٰ الأمراء وغير الأمراء، علىٰ الأفراد وعلىٰ الجماعات، عليهم جميعًا أن يكونوا تحت حكمها وتحت سلطانها في كل شيء، ومَن زعم فصل الدين عن الدولة وأن الدين محله المساجد والبيوت، وأن للدولة أن تفعل ما تشاء وتحكم بما تشاء؛ فقد أعظم علىٰ الله الفرية، وكذب علىٰ الله ورسوله، وغَلِطَ أقبح الغلط، بل هذا كفر وضلال بعيد، عياذًا بالله من ذلك، بل جميع العباد مأمورون بالخضوع لأحكام الشريعة وتشريعاتها في العبادات وغيرها، ويجب علىٰ الدولة أن تكون منفِّذة لحكم الشريعة، سائرة تحت سلطانها في جميع تصرفاتها، وعلىٰ هذا سار النبي الكريم -عليه الصلاة والسلام- وسار أصحابه الكرام رَضِيَ اللهُ عنهم وأرضاهم، وسار عليه أئمة الإسلام بعد ذلك في كل شيء، وقد جعل الله هذه الشريعة روحًا ونورًا وحياة للناس.

بهذا تعرف أنك في أشد الضرورة إلىٰ هذه الشريعة، وأن البشر كلهم في ضرورة إليها؛ لأنها الحياة، ولأنها النور، ولأنها الصراط المستقيم المفضي إلىٰ النجاة، وما عداها فظلمة وموت وشقاء، قال الله جل وعلا في كتابه العظيم: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [سورة الأنعام: ١٢٢]؛ فجعل من خرج عن الشريعة ميتًا، وجعل مَن هدي إليها حيًّا، وجعل من أبىٰ الشريعة في ظلمة، وجعل من وفق لها في فوز وهدىٰ.

وقال جل وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [سورة الأنفال: ٢٤]؛ فجعل الاستجابة لله ولرسوله حياة، وجعل عدم

الاستجابة موتًا؛ فعلم أن هذه الشريعة حياة للأمة، وهي سعادة للأمة، ولا حياة لهم ولا سعادة بدون ذلك.

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٢﴾ [الشورى: ٥٢]؛ فجعل سبحانه ما جاء به محمد -عليه الصلاة والسلام- روحًا للعباد تحصل به حياتهم، ونورًا تحصل به بصيرتهم ونجاتهم وسيرهم علىٰ الصراط المستقيم؛ فهذه الشريعة روح للأمة، بها حياتها وقيامها ونصرها، وهي أيضًا نور لها تدرك به أسباب نجاتها وتهتدي به إلىٰ الصراط المستقيم، والصراط المستقيم هو: الطريق الواضح الذي من سار عليه وصل إلىٰ النجاة، ومن حاد عنه هلك.

وقال سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٩٧﴾ [سورة النحل: ٩٧]؛ فبين سبحانه أن مَن عمل العمل الصالح عن إيمان أحياه الله حياة طيبة سعيدة.

وفي هذا إشارة إلىٰ أن حياة الكفار الذين حادوا عن الشريعة ليست حياة طيبة، بل حياة خبيثة، حياة مملوءة بالهموم والغموم والأحزان والمشاكل العظيمة والفتن الكثيرة؛ فهي حياة تشبه حياة البهائم ليس لأهلها هم إلا شهواتهم وحظهم العاجل؛ فهي حياة من جنس حياة البهائم، بل أسوا وأضل؛ لكونهم لم ينتفعوا بعقولهم التي ميزوا بها عن البهائم، كما قال جل وعلا: ﴿أَمۡ تَحۡسَبُ أَنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَسۡمَعُونَ أَوۡ يَعۡقِلُونَۚ إِنۡ هُمۡ إِلَّا كَٱلۡأَنۡعَٰمِۖ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ سَبِيلًا ٤٤﴾

[سورة الفرقان: ٤٤]، وقال جل وعلا: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ ١٢﴾ [سورة محمد: ١٢].

هذه حياة مَن حاد عن الشريعة، حياة في الحقيقة هي شبيهة بالموت لعدم إحساسهم بالواجب وعدم شعورهم بما خلقوا له، وهي حياة في ذاتها تشبه حياة البهائم؛ لكون البهيمة لا همَّ لها إلا شهواتها وحظها العاجل؛ فهكذا الكافر المعرض عن الشريعة ليس له همٌّ إلا شهواته وحظه العاجل.

ولهذا شبه الله أهل الإيمان والهدىٰ بالمبصرين والسامعين، وشبه مَن حاد عن الشريعة بالأعمىٰ والأصم، وشبه مَن وُفِّق بالشريعة بالحي، وشبه من خالف الشريعة بالميت.

وبهذا نعرف -أيها الإخوة-: أن هذه الشريعة حياة البشر، وسعادة البشر، ونجاة البشر في الدنيا والآخرة، وأنهم في أشد الضرورة إلىٰ اعتناقها والتزامها والتمسك بها؛ لأن بها حياتَهم ونصرتَهم ونجاتَهم وسعادتَهم في الدنيا والآخرة، ولأن فيها الحكمَ بينهم بالحق وإنصافَ مظلومهم من ظالمهم؛ ولهذا كانت هذه الشريعة العظيمة أعظم شريعة وأكمل شريعة، وكان البشر في أشد الضرورة إلىٰ أن يعتنقوها ويلتزموها، ولا حل لمشاكلهم، ولا سعادة لهم أبدًا، ولا نجاة للمسلمين مما وقعوا فيه اليوم، من التفرق والاختلاف والضعف والذل - إلا بالرجوع إليها، والتمسك بها، والسير علىٰ تعاليمها ومنهاجها.

وأسال الله عَزَّوَجَلَّ أن يوفقنا جميعًا للفقه فيها والعمل بها، وأن يهدينا جميعًا

وسائر عباده للأخذ بها والسير علىٰ ضوئها والاهتداء بنورها، إنه جواد كريم.

كما أسأله ﷻ أن يصلح ولاة المسلمين جميعًا، وأن يوفقهم للتمسك بهذه الشريعة والعمل بها والتحاكم إليها والحكم بها في كل شيء، وأن يعيذنا وإياهم من بطانة السوء ومن دعاة الضلال؛ إنه علىٰ كل شيء قدير.

وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ عبده ورسوله محمد وعلىٰ آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

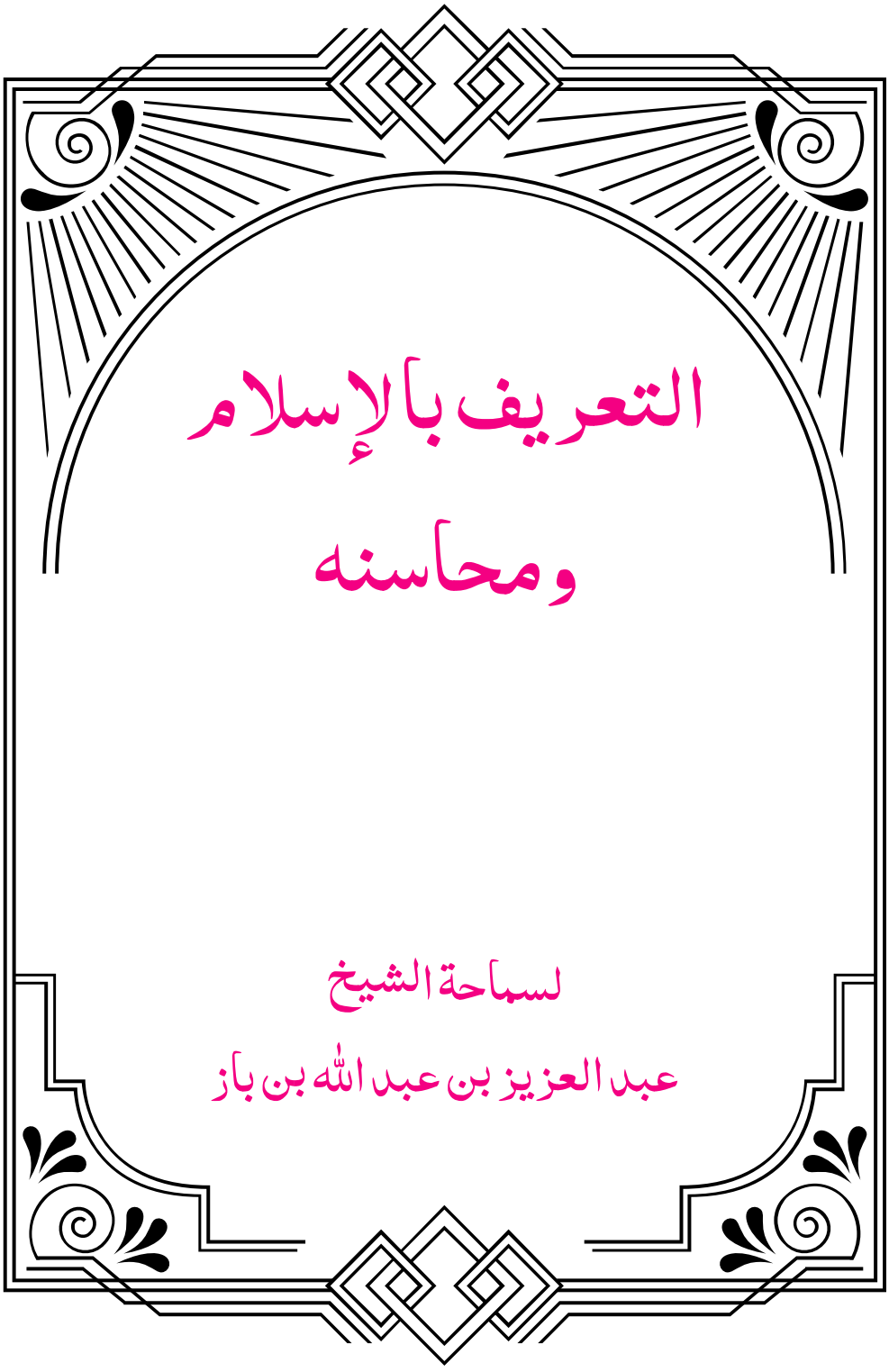

التعريف بالإسلام ومحاسنه

لسماحة الشيخ
عبد العزيز بن عبد الله بن باز

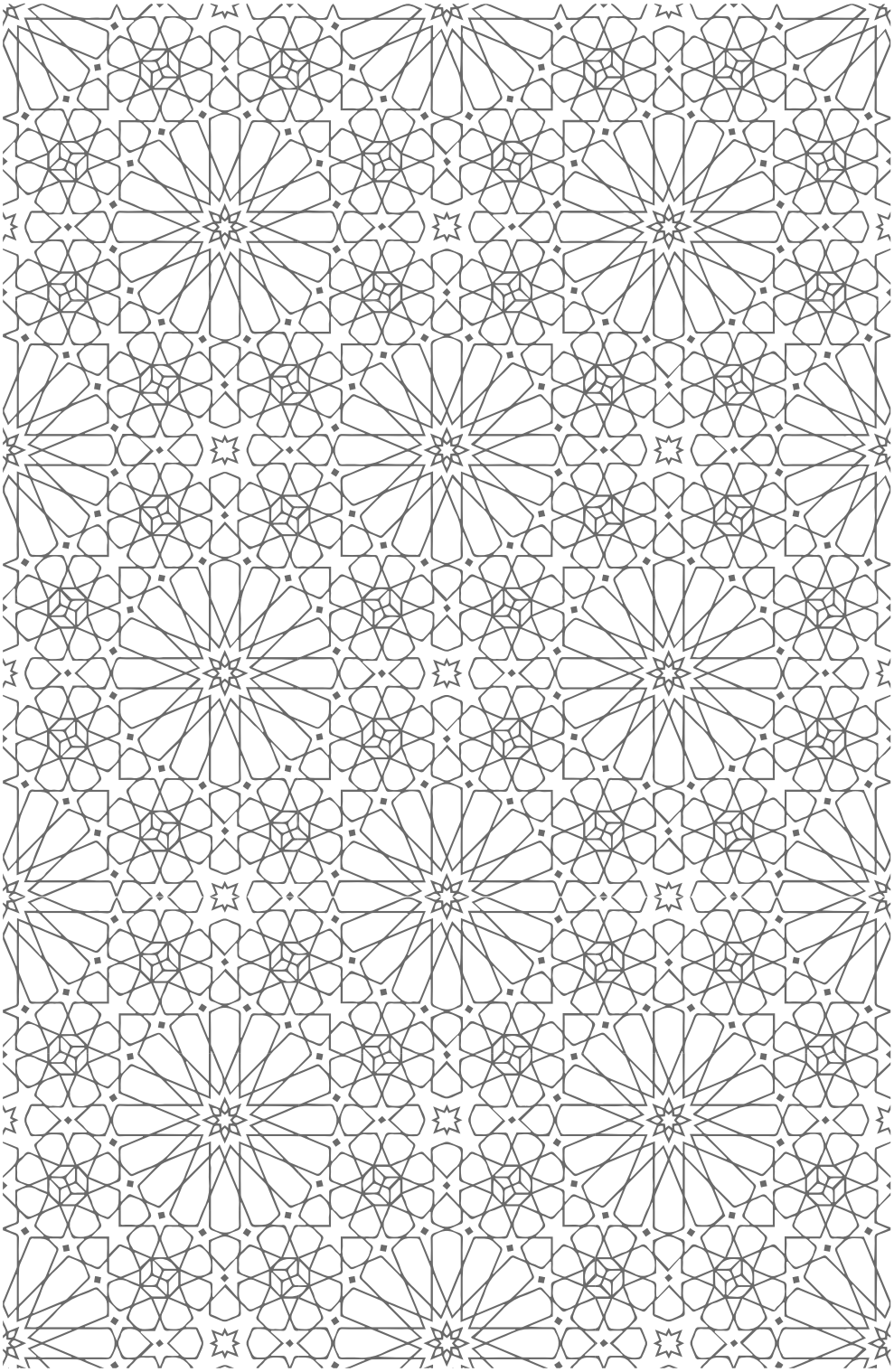

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام علىٰ من لا نبي بعده.

أما بعد:

فقد قال الله تعالىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران ١٩].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: ٨٥].

والإسلام: هو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله. ولقد كان الشرك عقيدة العرب قبل ظهور دعوة محمد ﷺ؛ روىٰ البخاري عن أبي رجاء العطاردي قال: «كنا نعبد الحجر؛ فإذا وجدنا حجرًا هو خير منه ألقيناه وأخذنا الآخر، فإذا لم نجد حجرًا جمعنا حَثْوَةً من تراب، ثم جئنا بالشاة فحلبنا عليه ثم طفنا به».

أما حال الأمم عامة قبل ظهور دعوته ﷺ: فقد بينها القرآن الكريم في آيات كثيرة، منها قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨] الآية.

وقوله سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣].

وقوله سبحانه: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾ إلىٰ قوله سبحانه: ﴿إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأعراف: ٢٧-٣٠].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُوا۟ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ ۗ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾ [الأنعام: ١٣٦].

والآيات في هذا المعنىٰ كثيرة، ودلَّت الأحاديث الصحيحة عن رسول الله ﷺ، وما ذكره كُتَّاب السيرة النبوية والمؤرخون والثقات بأحوال الأمم: أن أهل الأرض قد تنوَّع شِركُهم قبل مَبعَثِه -عليه الصلاة والسلام-، فمنهم مَن يعبد الأصنام والأوثان، ومنهم مَن يعبد أصحاب القبور، ومنهم مَن يعبد الشمس والقمر والكواكب، ومنهم مَن يعبد غيرَ ذلك، فدعاهم رسول الله ﷺ إلىٰ أن يعبدوا الله وحده، وأن يَدَعوا ما هم عليه وآباؤهم من الباطل، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وقال سبحانه: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾﴾ [إبراهيم: ١].

وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ٤٦﴾ [الأحزاب: ٤٥، ٤٦].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١﴾ [البقرة: ٢١]، وقال سبحانه: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء ٢٣] الآية، والآيات في هذا المعنىٰ كثيرة.

وقد أوضح سبحانه في آيات كثيرات أن هؤلاء المشركين كانوا -مع شركهم وكفرهم- يعترفون بأن الله خالقهم ورازقهم، وإنما عبدوا غيره علىٰ أنه واسطة بينهم وبين الله، كما سبق في قوله سبحانه: ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ [يونس: ١٨]، وما جاء في معناه من الآيات، ومن ذلك قوله سبحانه: ﴿قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٣١﴾ [يونس: ٣١]، وقوله سبحانه: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَهُمۡ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ٨٧﴾ [الزخرف: ٨٧]، وغيرها من آيات كثيرات صريحة في هذا المعنىٰ.

فجاءت بعثة سيدنا محمد ﷺ بدين الإسلام الخاتم، ليس للعرب وحدهم، بل وللناس كافةً، جاءت في وقت البشرية جمعاء بأمسِّ الحاجة إلىٰ مَن يُخرجهم من الظلمات إلىٰ النور.

وهذا الدين العظيم -وهو الإسلام- يقوم علىٰ أسسٍ وقواعدَ خمسٍ -

وهي أركانه-، كما في «الصحيحين» عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي ﷺ قال: «**بني الإسلام علىٰ خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقامِ الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت**».

فالشهادتان: أول أركان الإسلام وأهمها، وهذه الكلمة العظيمة ليست عبادة تنطق باللسان فحسب -وإن كان بهما يصبح مسلمًا ظاهرًا-، بل الواجب العمل بمدلولهما، ويتضمن ذلك إخلاصَ العبادة لله وحده، والإيمان بأنه المستحق لها، وأن عبادة ما سواه باطلة.

كما يقتضي مدلولهما محبة الله سبحانه ومحبة رسوله ﷺ، وهذه المحبة تقتضي عبادة الله وحده، وتعظيمه، واتباع سنة نبيه، كما قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١]، كما أن من مدلولِـهما طاعةَ رسول الله فيما أمر به؛ قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧]، وجاء في الحديث المتفق علىٰ صحته: «**ثلاثٌ مَن كُنَّ فيه وجد بهن حلاوةَ الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما...**» الحديث، وقوله ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتىٰ أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين**».

أما الركن الثاني: فهو إقامة الصلاة: فهي أهم الأركان بعد الشهادتين؛ إذ هي عمود الدين، وأول ما يحاسب عنه العبد يوم القيامة من عمله: صلاته، فإن صلحت فقد أفلح ونجح، وإن فسدت فقد خاب وخسر، وهي عبادة تُؤَدَّىٰ في

وقتها المحدد؛ قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا ١٠٣﴾ [النساء: ١٠٣]، وأمرنا الله ﷻ بالمحافظة عليها، فقال تعالىٰ: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ٢٣٨﴾ [البقرة: ٢٣٨].

وقد توعَّد الله ﷻ مَن يتهاون بها ويؤخرها عن وقتها، قال تعالىٰ: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيّٗا ٥٩﴾ [مريم ٥٩]، وقال سبحانه: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ ٤ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ٥﴾ [الماعون: ٤، ٥].

والصلاة: هي العلامة المميِّزة بين الإسلام والكفر والشرك، روىٰ مسلم في «صحيحه» عن جابر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن بين الرجل وبين الشرك والكفر تَرْكَ الصلاة**»، وفي حديث بُرَيدة رضي الله عنه: «**العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة؛ فمَن تركها فقد كفر**»، خرجه الإمام أحمد، وأهل السنن بإسناد صحيح.

والواجب أن تُؤَدَّىٰ الصلاة جماعة في المسجد؛ لِمَا لها من الفضل العظيم، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**الصلاة جماعة أفضل من صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة**» متفق عليه، ولقد همَّ رسول الله ﷺ بتحريق البيوت علىٰ رجال يتخلفون عن صلاة الجماعة في حديث متفق عليه، وقال النبي ﷺ: «**مَن سمع النداء فلم يأت فلا صلاة له إلا من عذر**» خرَّجه ابن ماجه والدارقطني وابن حبان والحاكم بإسناد صحيح، وذلك يدل علىٰ عِظَمِ شأن أدائها في الجماعة.

وهذه الصلاة من تمامها وشرطِ قَبولِها عند الله ﷻ: الخشوعُ والاطمئنانُ

فيها؛ قال تعالىٰ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢﴾ [المؤمنون: ١، ٢]، وأمر النبي ﷺ مَن لم يطمئنَّ في صلاته أن يعيدها.

والصلاة مظهر من مظاهر المساواة والأخوة والانتظام، وتوحيد وجهتهم إلىٰ الكعبة المشرفة قِبلَتِهم، وفي الصلاة راحةٌ للمؤمن وقرَّةُ عينٍ، كما قال -عليه الصلاة والسلام-: «**وجعلت قرة عيني في الصلاة**»، وكان ﷺ إذا حَزَبه أمر فزع إليها؛ لقوله تعالىٰ: ﴿ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ [البقرة: ١٥٣]، وكان يقول لبلال: «**يا بلال، أرحنا بها**»؛ لأن المسلم -إذا وقف للصلاة- إنما يقف أمام خالقه ﷻ، فيستريح قلبه، وتطمئن نفسه، وتخشع جوارحه، وتقر عينه بربه ومولاه ﷻ.

والركن الثالث: إيتاء الزكاة، وهي فريضة اجتماعية سامية، تُشعِر المؤمن بسموِّ أهداف الإسلام؛ من عطف ورحمة وحب وتعاون بين المسلمين، وليس لواحد مِنَّةٌ أو فضلٌ فيما يقدمه من مال، إنما هو حق واجب، ولأنه في الحقيقة مال الله الذي استخلَفَه فيه؛ قال تعالىٰ: ﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [النور: ٣٣]، وقال تعالىٰ: ﴿ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ۝٧﴾ [الحديد: ٧]، ولقد قُرِنت الزكاة بالصلاة في آيات كثيرة، ولأهميتها قاتل أبو بكر الصديق رضي الله عنه بعض قبائل العرب عندما منعوا زكاة أموالهم، وقال: «والله لَأُقاتِلَنَّ مَن فرَّق بين الصلاة والزكاة»، وتابعه الصحابة رضي الله عنهم علىٰ ذلك.

ولقد توعد الله ﷻ من بخل عن الإنفاق، فقال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٣٤﴾ [التوبة: ٣٤].

وتجب الزكاة علىٰ المسلم إذا بلغ نصابًا من أيِّ نوع من أنواع المال الزكويِّ إذا حال عليه الحول ما عدا الحبوبَ والثمارَ، فإن الزكاة تجب فيها عند نُضجِها وتمامِ استوائها وإن لم يَحُل عليها الحول.

وتُعطىٰ لمستحقِّيها كما وردت أصنافهم في القرآن الكريم في سورة التوبة، قال تعالىٰ: ﴿۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ﴾ [التوبة: ٦٠].

الركن الرابع: صوم رمضان؛ لقوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾ [البقرة: ١٨٣]، وفي الصوم يتدرب المسلم علىٰ كبح جماح نفسه عن الملذات والشهوات المباحة لمدة من الزمن، وله فوائد صحية -علاوة علىٰ الفوائد الروحية-، وفيه يشعر المسلم بحاجة أخيه المسلم الجائع، والذي قد تمر عليه الأيام دون طعام أو شراب - كما يحصل الآن لبعض إخواننا في إفريقيا-.

وشهر رمضان أفضل الشهور، وقد أنزل الله فيه القرآن الكريم؛ قال تعالىٰ: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وفيه ليلة خير من ألف شهر؛ قال تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ٢ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ٣﴾ [القدر: ١-٣]، والصائم يُغفر له ما تقدم من ذنبه إذا كان صومه إيمانًا واحتسابًا، كما صح من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له**

ما تقدم من ذنبه، ومن قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه» متفق عليه.

والواجب علىٰ الصائم أن يحفظ صيامه باجتناب الغيبة والنميمة والكذب والاستماع إلىٰ الملاهي، والحذر من سائر المحرمات، ويُسَنُّ له الإكثار من قراءة القرآن، ومن ذكر الله، والصدقة، والاجتهاد في العبادة، وخاصة في العشر الأواخر.

أما الركن الخامس: فهو حج البيت الحرام؛ قال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧]، وفَرضُ الحج مرةٌ واحدة في العمر، وكذلك العمرة، ويجبان علىٰ المسلم العاقل البالغ الحر المستطيع، ويَصِحَّانِ من الصبي، ولكن لا يسقط عنه بذلك فرضهما إذا بلغ واستطاع، والمرأة التي ليس لديها محرم يرافقها في الحج والعمرة - يسقطان عنها؛ لصحة الأحاديث عن رسول الله ﷺ بالنهي عن سفر المرأة دون محرم، والحج مؤتمرٌ إسلامي؛ يلتقي فيه المسلمون حيث يأتون إليه من كل فج عميق، ومن سائر أرجاء الدنيا من جنسيات وألوان ولغات، يلبسون لباسًا واحدًا، يقفون علىٰ صعيد واحد، والجميع يؤدون عبادة واحدة: لا فرق بين كبير وصغير، ولا غني وفقير، ولا أسود وأبيض، سواسية؛ كما قال الله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة؛ كما جاء في «الصحيحين» عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: «**العمرة إلىٰ العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس**

له جزاء إلا الجنة»، وفي الصحيح عنه ﷺ أنه قال: «**مَن حج لله فلم يَرفُث ولم يَفسُق؛ رجع كيوم ولدته أمه**».

وللإسلام ركائِزُ أخرىٰ -وإن لم تكن من الأركان- لكنها تعين علىٰ وجوده حيًّا مُطَبَّقًا في واقع المسلمين؛ منها: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولقد وصف ﷻ هذه الأمة بأنها خير أمة أخرجت للناس؛ لأنها تأمر بالمعروف وتنهىٰ عن المنكر، قال تعالىٰ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، قال بعض السلف: من أراد أن يكون من خير هذه الأمة فليؤد شرطها: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وجانب آخر مهم في الإسلام يجب أن يهتم به المسلمون، وهو: الجهاد في سبيل الله؛ لما يترتب عليه من عز المسلمين وإعلاء كلمة الله، وحماية أوطان المسلمين من عدوان الكافرين؛ ولهذا ثبت في «الصحيحين» عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**أمرت أن أقاتل الناس حتىٰ يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم علىٰ الله**»، وفي «المسند» و«جامع الترمذي» بإسناد صحيح عن معاذ رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله**»، وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه في خطبة خطبها بعدما بايعه المسلمون: «لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذُّلِّ»، ففي الجهاد إحقاقٌ للحق وإزهاقٌ للباطل، وإقامةٌ لشرع الله، وحمايةٌ للمسلمين وأوطانهم من مكايد أعدائهم.

ودين الإسلام هو دين الفطرة التي فَطَر الله الناس عليها، وهو دعوة الأنبياء والرسل من قبلُ، فكلُّ نبيٍّ يدعو قومه إليه؛ ليكونوا مسلمين، كما قال -سبحانه- في كتابه العظيم عن أبي الأنبياء وخليل الرحمن إبراهيم -عليه الصلاة والسلام-: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [البقرة ١٣٠-١٣٢].

ولقد بعث الله نبيه محمدًا ﷺ بهذا الدين العظيم، وأهلُ الكتاب -من يهودٍ ونصارىٰ- في جهل وضلال بعد أن حرَّفوا وبدَّلوا في التوراة والإنجيل ولعبت الأهواءُ بهم؛ فأصبح اليهود والنصارىٰ في صف كفار قريش في النَّيلِ من محمد ﷺ ودعوته، وخاصةً اليهود، مع أنهم يعرفونه تمام المعرفة من خلال كتبهم، وأنهم مطالَبون باتباعه والإيمان بدعوته؛ كما قال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ﴾ [البقرة: ١٤٦]، وفي «صحيح مسلم» عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به - إلا كان من أصحاب النار**».

لذلك، عندما استقر نبينا محمد ﷺ في المدينة، أرسل إلىٰ ملوك الأرض في زمانه يدعوهم إلىٰ دين الله؛ ليخرجهم من الظلمات إلىٰ النور، ولقد بَيَّنَ ربعي بن عامر رضي الله عنه بكلمات قلائِلَ عندما سأله رُستُمُ قائدُ الفرس: ما أنتم؟ فأجابه بقوله: «نحن قوم ابتعثنا الله لنخرج مَن شاء من عبادة العباد إلىٰ عبادة الله وحده، ومن ضِيقِ

الدنيا إلىٰ سعة الدنيا والآخرة، ومن جَور الأديان إلىٰ عدل الإسلام».

وهذا الدين الخاتم جاء ليضع الأمور في نِصابها ويوجه الناس الوجهة الصحيحة: من توحيد الله، والتصديق بأنبيائه ورسله والإيمان بهم، والدعوة إلىٰ ما دَعَوْا إليه من توحيد الله وإسلام الوجه له، جاء واليهود والنصارىٰ علىٰ طَرَفَي نَقيضٍ، فاليهود عُرِف عنهم التفريط في حق أنبيائهم فقَتَلوا بعضهم ووصفوا آخرين بما لا يليق مع عامة الناس؛ فكيف بخير خلق الله المعصومين؟ والنصارىٰ غلَت في عيسىٰ وزعموا أن الله تعالىٰ ثالثُ ثلاثة.

وجاء الإسلام ليُحِقَّ الحقَّ ويُبطِلَ الباطِلَ فكان وسطًا عدلًا لا إفراطَ ولا تفريطَ، كما قال تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، وقال ﷻ ناهيًا ومحذرًا أهل الكتاب عن الغلوِّ، ومحذِّرًا لهذه الأمة من سلوك مسلكهم: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ [النساء: ١٧١]، وروىٰ البخاري في «صحيحه» عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا تُطْرُوني كما أَطْرَت النصارىٰ ابن مريم؛ إنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله**»، وصح عنه ﷺ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا: «**إياكم والغلو في الدين؛ فإنما أهلك من كان قبلكم الغلوُّ في الدين**».

ومحاسن دين الإسلام كثيرة جدًّا لا تحصىٰ؛ وكيف لا وهو دين الله الذي يعلم كل شيء، وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة وهو الحكيم العليم في كل ما يقدِّره ويقضيه وفي كل ما يَشرَعُه لعباده؟ فلا خيرَ إلا دعا إليه رسولنا -عليه

الصلاة والسلام- ودل أمته عليه، ولا شرَّ إلا حذرهم منه؛ كما في «صحيح مسلم» عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي ﷺ أنه قال: «**ما بعث الله من نبيٍّ إلا كان حقًّا عليه أن يدل أمته علىٰ خير ما يعلمه لهم، وينذرهم شر ما يعلمه لهم**»، وفي «مسند أحمد» بإسناد صحيح عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه قال: «**إنما بُعثِت لأُتَمِّمَ مصالح الأخلاق**» ورواه الحافظ الخرائطي بإسناد جيد بلفظ: «**إنما بعثت لأُتمم مكارم الأخلاق**».

وفي الختام: وما نلاحظه اليوم من دخول الناس أفواجًا، من الكفرة والمشركين وأهل الكتاب من اليهود والنصارىٰ، إنَّما هو دلالة علىٰ فشل الديانات والفلسفات الأخرىٰ في إيجاد الطُّمَأنينة والراحة والسعادة للناس، والواجب علىٰ المسلمين -وخاصة الدعاة- أن يَنشَطوا بين هذه الأمم لدعوتهم إلىٰ دين الله، ولا ننسىٰ قبل القيام بذلك أن نتمثل الإسلام فينا علمًا وسلوكًا؛ فالبشرية بحاجة إلىٰ من يخرجهم من الظلمات إلىٰ النور: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت: ٣٣].

أسأل اللهَ أن يجعلنا دعاة خير، وأن يبصِّرَنا بديننا، وأن يوفِّقنا في الدعوة إليه علىٰ بصيرة، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلىٰ الله علىٰ محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم[(١)].

(١) «مجموع فتاوىٰ ومقالات متنوعة» للشيخ ابن باز (٢/ ٢٠٣).

من محاسن
الدين الإسلامي

تأليف

الفقير إلى عفو ربه

عبد العزيز بن محمَّد بن عبد الرحمن السَّلمان

المدرس في معهد إمام الدعوة العلمي بالرياض سابقًا رَحِمَهُ اللَّهُ

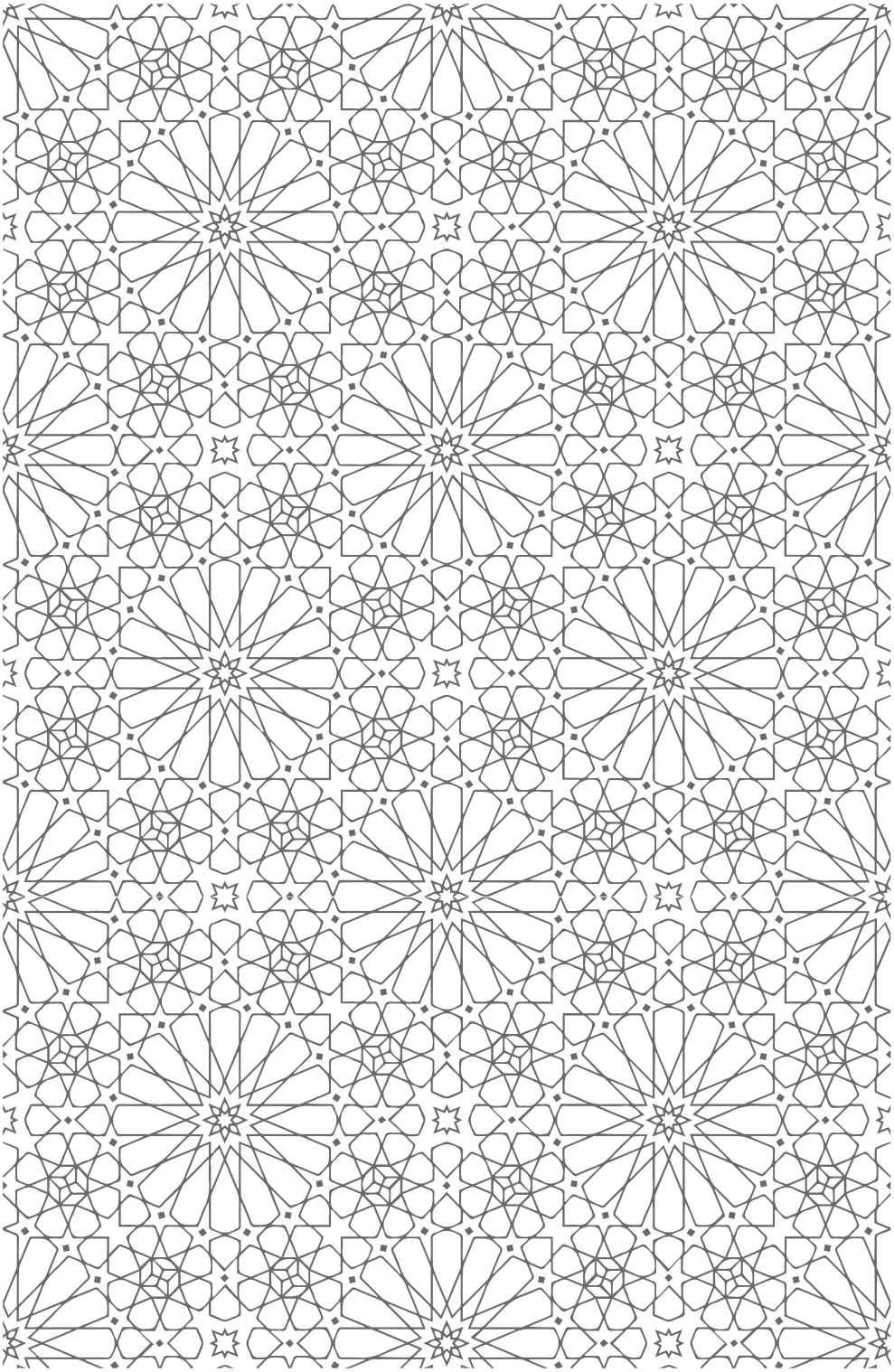

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمدُ لله الذي تَفَرَّدَ بالجَلَالِ والعَظَمَةِ والعِزِّ والكِبْرِيَاءِ والجَمالِ، وأشكُرُهُ شُكْرَ عَبدٍ مُعْتَرِفٍ بالتَّقْصِيرِ عن شُكْرِ بَعْضِ ما أولِيهِ مِن الإنعامِ والإفضالِ، وأشْهَدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لَهُ، وأشهدُ أن مُحمدًا عَبْدُه وَرَسُولُه صلىٰ الله عليه وعلىٰ آلِهِ وصحبِهِ وسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

وبَعدُ:

فقد جَمَعْتُ جملةً من مَحَاسنِ الدين الإسلامِي أودَعْتُهَا في ضِمن «مَواردِ الظمآنِ لدُرُوسِ الزمانِ» رأىٰ بعضُ المحسنينَ أن تُفْرَدَ وَحْدَهَا وتُطْبَعَ وتُوَزَّعَ علىٰ المسلمين وغيرهم، لعل الله ﷻ أن يَنْفَعَ بها ويَجْعَلَها سببًا لهدايةِ من أرَادَ اللهُ هِدَايَتَهُ وَتَوْفِيقَهُ، واللهُ المسؤولُ أن يجعلَ عَملَنا خَالصًا لِوَجهِهِ الكريم، وأن يأجُرَ مَن طَبَعَها، ومَن سَاعَدَ علىٰ نَشْرِهَا، ومَن قَرأهَا، ومن سَمِعَها، إنه سميعٌ قريب مجيبٌ، اللهم صل علىٰ محمد وآله وسلم.

«فصل»

في ذِكْرِ بَعْضِ مَحَاسِنِ الدِّينِ الإِسْلَامِي نَصَرهُ اللهُ

عباد الله: قال الله تعالىٰ -وهو أصدق القائلين-: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] أكمل الدين بالنصر، والإظهار علىٰ الأديان كلها؛ فنصر عبده ورسوله، وخذل أهل الشرك خذلانًا عظيمًا، بعدما كانوا حريصين علىٰ صد المؤمنين عن دينهم، طامعين في ذلك؛ فلما رأوا عز الإسلام وانتصاره يئسوا كل اليأس من المؤمنين، أن يرجعوا إلىٰ دينهم، وصاروا يخافون منهم ويخشون.

وأتم جل وعلا علىٰ عباده نعمته بالهداية والتوفيق، والعز والتأييد، ورضي الإسلام لنا دينًا، واختاره لنا من بين الأديان، فهو الدين عند الله لا غير، قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: ٨٥].

عباد الله: نظر أصحاب الأفكار البريئة السليمة في أحكام الإسلام؛ فاعتنقوه، وتأملوا في حكمه الجليلة؛ فأحبوه، وملكت قلوبهم مبادئه الحكيمة؛

فعظموه، وكلما كان المرء سليم العقل، نير البصيرة، مستقيم الفكر؛ اشتد تعلقه به؛ لما فيه من جميل المحاسن، وجليل الفضائل.

جاء الدين الإسلامي بعقائد التوحيد، التي يرتاح لها العقل السليم، ويقرها الطبع المستقيم، يدعو إلىٰ اعتقاد أن للعالم إلهًا واحدًا لا شريك له، أولًا لا ابتداء له، وآخرًا لا انتهاء له، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورىٰ: ١١] له القدرة التامة، والإرادة المطلقة، والعلم المحيط، يلزم الخلق الخضوع له والانقياد، والعمل علىٰ مرضاته، بامتثال أمره سبحانه، واجتناب نهيه، نصب الأدلة والبراهين، في الأنفس والآفاق، وحث العقول علىٰ النظر والاستدلال؛ لتصل بالبرهان إلىٰ معرفته وتعظيمه، والقيام بحقوقه.

فتراه تارة: يلفت نظرك إلىٰ أنه لا يمكن أن توجد نفسك، ولا أن توجد من دون موجد: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الطور: ٣٥]؛ أما كون الإنسان موجدًا لنفسه فهذا أمر ما ادعاه الخلق، وأما وجود الإنسان هكذا من غير موجد؛ فأمر ينكره منطق الفطرة ابتداءً ولا يحتاج إلىٰ جدل كثير أو قليلٍ، وإذا كان هذان الفرضان باطلَين؛ فإنه لا يبقىٰ إلا الحقيقة، التي يقولها القرآن، وهي أن الخلق خلقه الله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص: ٣، ٤].

وتارة: يلفت النظر إلىٰ السموات والأرض، فهل هم خلقوها، فإنها لم تخلق نفسها، كما أنهم لم يخلقوا أنفسهم، وتارة يفتح أمام العقل والبصر

صحيفة السماء، وما حَوَت من شمس مشرقة، وقمر منير، ونجم مضيء؛ فيقول: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾﴾ [الفرقان: ٦١]، وفي الآية الأخرىٰ يقول: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾ [يونس: ٥]، ويقول: ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾﴾ [الأنعام: ٩٦]، ويقول: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾﴾ [ق: ٦]، ويقول: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ﴾ [الأعراف: ١٨٥]، ويقول: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [الملك: ٣، ٤].

ومرة: يلفت النظر إلىٰ الأرض، وما فيها من أشجار متنوعة، ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ﴾ [الرعد: ٤]؛ فتشاهد شجر العنب بجوار شجر الحنظل، في قطعة واحدة، تسقىٰ بماء واحد، وقد جعل لكل شجرة جذورًا، تمتص بها من الأرض ما يناسبها من الغذاء الذي به قوامها وحياتها، وتنفتح كل واحدة عن ثمرة تخالف الأخرىٰ في اللون والطعم والرائحة، وكذلك باقي الأشجار المتجاورة التي أرضها واحدة وماؤها واحد، أَلَا يدل هذا علىٰ وجود صانع حكيم قادر؟ ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً﴾ [الحجر: ٧٧].

ومرة: يلفت النظر إلىٰ ما يُنزله من السماء، من الماء الذي به قوام الحياة، ولو شاء لجعله أُجاجًا، لا نفع فيه.

ومرة: يتحدث عن وحدانيته وانفراده بالملك والتدبير ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ﴾ [المؤمنون: ٩١] الآية، وفي الآية الأخرىٰ يقول في جزالة لفظ وفخامة معنىٰ: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢] إلىٰ غير ذلك من الأدلة.

وشرع لعباده من العبادات ما يهذب النفوس، ويصفيها، وينظم العلاقات ويقويها، ويجمع القلوب ويزكيها، وهذا الذي جاء به الإسلام اتفقت في الدعوة إليه كل الرسل، قال تعالىٰ: ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾ [الشورىٰ: ١٣].

اللهم نوِّرْ قلوبنا بنور الإيمان، وأَعِذْنا من شر نفوسنا والشيطان، ووفِّقْنا لطاعتك، وجنبنا العصيان، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلىٰ الله علىٰ محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

«فصل»

فقد اعترف المحققون المنصفون: أن كل علم نافع ديني أو دنيوي أو سياسي قد دل عليه القرآن دلالة لا شك فيها؛ فليس في شريعة الإسلام ما تحيله العقول، وإنما فيه ما تشهد العقول السليمة الزكية بصدقه ونفعه وصلاحه، وكذلك أوامره، كلها عدل، لا حيف فيها ولا ظلم، فما أمر بشيء إلا وهو خير خالص أو راجح، وما نهىٰ عن شيء إلا وهو شر خالص أو ما تزيد مفسدته علىٰ مصلحته، وكلما تدبر العاقل اللبيب أحكام الإسلام قوي إيمانه وإخلاصه.

وعندما يتأمل ما يدعو إليه هذا الدين القويم؛ يجده يدعو إلىٰ مكارم الأخلاق، يدعو إلىٰ الصدق والعفاف والعدل، وحفظ العهود، وأداء الأمانات، والإحسان إلىٰ اليتيم والمسكين، وحسن الجوار، وإكرام الضيف، والتحلي بمكارم الأخلاق، يدعو إلىٰ تحصيل التمتع بلذائذ الحياة في قصد واعتدال، يدعو إلىٰ البر والتقوىٰ، وينهىٰ عن الفحشاء والمنكر، والإثم والعدوان، لا يأمر إلا بما يعود علىٰ العالم بالسعادة والفلاح، ولا ينهىٰ إلا عما يجلب الشقاء والمضرة للعباد.

وتأمل محاسن شرائع الإسلام الكبار، التي هي إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت:

* فعندما تتأمل الصلاة التي هي صلة بين العبد وبين ربه؛ تجد فيها الإخلاص لله، والإقبال عليه، والأدب والاحترام، والثناء والدعاء، والخضوع له، ومظهر الإجلال من العبد لربه، يؤدي واجب الإكبار والتعظيم والتقديس لسيده ومولاه، شأن العبد بين يدي سيده.

يقف المرء بين يدي ربه، فيبتدئ بالاعتراف لله بأنه أكبر من كل شيء، وأنه مستحق لِأَنْ يُعَظَّم ويُجَلَّ ويُقَدَّرَ: (الله أكبر)، ثم يأخذ في الثناء علىٰ الله بما هو أهله، ويخصه بالعبادة، وطلب المعونة ضارعًا إليه بأن يهديه الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم بالتوفيق والهداية، وأن يجنبه عن طريق المغضوب عليهم، لانحرافهم عن سواء السبيل، بعد أن عرفوه، وأن يبعده عن طريق الضالين، المنحرفين الذين عبدوا أهواءهم وشياطينهم.

وعندئذ تمتلئ النفس من عظمة الله وهيبته وجلاله؛ فيخر المرء ساجدًا لله علىٰ أشرف أعضائه، مظهرًا للذِّلة والمسكنة إلىٰ من بيده مقاليد السموات والأرض.

فمزايا الصلاة من ناحية الدين: خضوع لرب العالمين، وخشوع واعتراف بعظمة القاهر القادر، ومتىٰ استشعر القلب ذلك، وامتلأت النفس من هيبة الله، كفَّ عن المحرمات، ولا عجب من ذلك، فإن الله يقول عن الصلاة: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، وهي أكبر عون للعبد علىٰ مصالح دينه ودنياه، قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ﴾ [البقرة: ٤٥].

أما عونها علىٰ مصالح دينه: فلأن العبد إذا داوم علىٰ الصلاة، وحافظ عليها؛ قويت رغبته في الخير، وسهلت عليه الطاعات، وبذل الإحسان، بطمأنينة نفس واحتساب، ورجاء للثواب.

وأما عونها علىٰ مصالح الدنيا: فإنها تهون المشاقَّ، وتسلي عن المصائب، والله سبحانه لا يضيع أجر من أحسن عملًا؛ فيجازيه بتيسير أموره، ويبارك في ماله وأعماله.

وفي تأديتها جماعة يحصل التعارف والتواصل، والتواد والتعاطف والتراحم، ويسود الوقار والمحبة بين الصغير والكبير، ويحصل بذلك تعليم فعلي لصفة الصلاة.

* وانظر إلىٰ ما أوجبه الله من الزكاة، ترىٰ محاسن جَمَّةً، منها إصلاح حال الفقراء، وسد حاجة المسكين، وقضاء دين المَدين.

ومنها: التخلق بأخلاق الكرام، من السخاء والجود، والبعد عن أخلاق اللئام.

ومنها: أنها تطهر القلب من حب الدنيا ببذل اليسير.

ومنها: حفظ المال من المكدِّرات والمنغِّصات الحسية والمعنوية.

ومنها: الاستعانة بها علىٰ الجهاد في سبيل الله، والمصالح الكلية، التي لا يستغني عنها المسلمون.

ومنها: دفع صولة الفقراء.

ومنها: أنها دواء للمجتمع، وطب للنفوس، بها يطهر المرء من رذيلة الشح، قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٩﴾ [الحشر: ٩].

ومنها: أنها لو أخرجها الأغنياء لانقطع دابر الاشتراكية المتطرفة، والشيوعية المسرفة.

ومنها: أنها لو أديت تمامًا لحصل بذلك راحة الحكام، وصرف مجهوداتهم إلىٰ ما يعود علىٰ الأمم بالفلاح ورغد العيش.

قصيدة

تتضمن التضرع لله جل وعلا

يـــا فـــاطر الخلـــق البـــديع وكـــافلًا ... أرزاق مـــن هـــو صـــامت أو ســـائل

أوســـعتَهم جـــودًا فيـــا مـــن عنـــده ... رزق الجميـع سـحاب جـودك هاطـل

يـا مـسبغَ البـر الجزيـل ومـسبل العفـو ... العظـــيم عظـــيم فـــضلك وابـــل

يـا صـاحب الإحـسان يـا مـرخ لنـا الـسْـ ... ـسِـتر الجميـل عمـيم طولـك طائـل

يـــا عـــالم الـــسر الخفـــي ومنجـــز الـــ ... ـــميعاد صـــدق قـــد حكـــاه الفاصـــل

يا من علىٰ العرش استوىٰ يا صادق الـ ... ـــوعد الـــوفي قـــضاء حكمـــك عـــادل

عظمـت صـفاتك يـا عظـيم فجـل أن ... يـــأتي المـــشبِّه ظالمًـــا ويـــشاكل

جلـت فـضائلك العظـام فلـم نجـد ... يحـــصي الثنـــاء عليـــك فيهـــا قائـــل

الـــذنب أنـــت لـــه بمنِّـــك غـــافر ... مـا لـم يكـن شـركًا ففـضلك حاصـل

يعـــصيك جـــمٌّ ثـــم تـــصفح عـــنهم ... ولتوبـــة العاصـــي بحلمـــك قابـــل

رب يربـــــي العـــــالمين ببـــــره ... ويزيـــدهم مـــن فـــضله ويواصـــل

يعطيهمـــو مـــا أمَّلـــوا مـــن جـــوده ... ونَوالـــه أبـــدًا إلـــيهم واصـــل

تعـصيه وهْـو يـسوق نحـوك دائمًـا ... نعمًـا وعـن شـكر لهـا أنـت غافـل

ســـتر الـــذنوب وزاد في بـــذل العطـــا ... مـــا لا تكـــون لبعـــضه تـــستاهل

متفـــضل أبـــدًا وأنـــت لجـــوده ... تنـسىٰ وتغفـل هـل تعـي يـا غافـل

يـــدنو وتبعـــد ثـــم أنـــت لفـــضله ... بقبـــائح العـــصيان منـــك تقابـــل

وإذا دجـىٰ ليـل الخطـوب وأظلمـت ... طـرق الـسلامة بـل قـلاك النـازل

وعلمـت أن لا منجـي ثـم تلاحمـت ... سـبل الخـلاص وخـاب فيهـا الآمـل

وأيـست مـن وجـه النجـاة فمـا لهـا ... طـرق وقـد عظـم الـبَلا المتنـازل

وقنطـت مـن ضـعف اليقـين ولـم يكـن ... ســبب ولا يـــدنو لهـــا متنـــاول

يأتيـك مـن ألطافـه الفـرج الـذي ... فيـه نجاتـك لـيس يـشغل شـاغل

في لحظـة يأتيـك لطـف فـارِجٌ ... لـم تحتـسبه وأنـت عنـه غافـل

يـا موجـد الأشـياء مـن ألقـىٰ إلـىٰ ... أحـد سـواك فـإن ذلـك باقـل

يـا طيـب الأسـماء مـن يقـصد إلـىٰ ... أبـواب غيـرك فهـو غـر جاهـل

ومـن اسـتراح بغيـر ذكـرك أو رجـا ... مـن غيـركم فـضلًا فـذاك المائـل

ومـن اسـتظل بغيـر ظلـك راجيًـا ... أحـدًا سـواك فـذاك ظـل زائـل

ومـن اسـتعاذ إذا عَرَتْـه مُلِمَّـة ... بجلالكـم ذا الـرأي رأي باسـل

والـرأي في عكـس الـذي حَبَّرْتُـه ... بـسوىٰ جنابـك فهـو رأي مائـل

عمـل أريـد بـه سـواك فإنـه ... عمـل يـردُّ علـىٰ الـذي هـو عامـل

لـو صـلىٰ ذاك وصـام حـج فـإن ذا ... عمـل وإن زعـم المرائـي باطـل

وإذا رضـيت فكـل شـيء هـين ... حـسبي رضـاك فكـل شـيء زائـل

أنـت المنـىٰ ورضـاك سـؤلي في الـدجىٰ ... وإذا حـصلت فكـل شـيء حاصـل

أنـا عبـد سـوء آبـق كـل علـىٰ ... معبـوده يـا بـئس مـا أنـا فاعـل
ولقـد أتـىٰ العبـد المسيء ميمِّمًـا ... مـولاه أوزار الكبـائر حامـل
قـد أثقلـت ظهـري الـذنوب وسـوَّدت ... وجهـي المعاصـي ثـم ذا أنـا سـائل
مـا لـي سـواك ولـست أرجـو غـافرًا ... صـفح العيـوب وسـتر عفـوك شـامل
هـا قـد أتيـت وحـسن ظنـي شـافعي ... إذ لـم يكـن عمـل لـدي يقابـل
ولبست ثـوب الخـوف منك مع الرجا ... ووسـائلي نـدم ودمـع سـائل
فـاغفر لعبـدك مـا مـضىٰ وارزقـه تـو ... بـة مقلـع فيهـا الـشروط كوامـل
وارزقـه علمًـا نافعًـا وارزقـه تـو ... فيقًـا لمـا ترضـىٰ ففـضلك كامـل
وافعـل بـه مـا أنـت أهـل جميلِـه ... يـا مـن لـه اسـمًا حـسان فواضـل
فـإذا فعلـت فحـسن ظنـي صـائب ... والظـن كـل الظـن أنـك فاعـل

اللهم اجعلنا لك شاكرين، واجعلنا لك من الذاكرين، واجعلنا من عبادك الصابرين المحسنين المتقين، الذين أهَّلتهم لخدمتك، ووفقتهم لمحبتك وطاعتك، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين، برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلىٰ الله علىٰ محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

«فصل»

* وتأمل الصيام وما فيه من المحاسن التي منها: أنه يبعث في الإنسان فضيلة الرحمة بالفقراء، والعطف علىٰ البائسين؛ فإن الإنسان إذا جاع تذكر الفقير الجائع.

ومنها: أنه بامتناعه عن الأكل يعرف فضل نعمة الله عليه فيشكرها.

ومنها: أن الصيام يقوي النفس علىٰ الصبر والحلم، وهما تجنُّب كل ما من شأنه إثارة الغضب؛ لأن الصوم نصف الصبر، والصبر نصف الإيمان.

ومنها: أنه ينقي الجسم من الأخلاط الرديئة، ومنها أنه مهذِّب للنفوس، ومصفٍّ للأرواح، ومطهر للأجسام؛ فله الأثر العجيب في حفظ القوىٰ الباطنة، وحمايتها مما يضرها، ثم هو عبادة وامتثال لأمر الله سبحانه، والمشقة الحاصلة من الصوم ليست بشيء في جانب رضا الله، طمعًا في الثواب والزلفىٰ والأجر العظيم... إلىٰ غير ذلك من المحاسن.

* **وتأمَّلْ ما في حج بيت الله من المحاسن، التي منها:** أنه مَجمع لسُراة المسلمين، يجتمعون فيه من مشارق الأرض ومغاربها في صعيد واحد، يعبدون إلهًا واحدًا، قلوبهم متحدة، وأرواحهم مؤتلفة في الحج، يتذكر المسلمون الرابطة الدينية، وقوة الوحدة الإسلامية.

وفي الحج: تذكر لحال الأنبياء والمرسلين ومقامات الأصفياء المخلصين، كما قال تعالىٰ: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥]، وتذكير بحال سيد المرسلين وإمامهم، ومقاماته في الحج التي هي أجل المقامات، وهذا التذكير أعلىٰ أنواع التذكيرات، فإنه تذكير بأحوال عظماء الرسل، **إبراهيم ومحمد** ﷺ، ومآثرهم الجليلة، وتعبُّداتهم الجميلة، والمتذكر بذلك مؤمن بالرسل، معظم لهم، متأثر بمقاماتهم السامية، مقتد بهم، وبآثارهم الحميدة، ذاكر لمناقبهم وفضائلهم، فيزداد به العبد إيمانًا ويقينًا.

ومن محاسن الحج: تصفية النفس، وتعويدها البذل والإنفاق، وتحمل المشاق، وترك الزينة والخيلاء.

ومنها: شعور المرء بمساواته لغيره؛ فلا ملك ولا مملوك، ولا غني ولا فقير، بل الكل هناك سواء.

ومن محاسن الحج: التنقل في البلاد لمعرفة أحوالها، وعادات سكانها، وزيارة مهبِط الوحي والرسل الكرام.

ومن محاسن الحج: تذكر المجمع العظيم في صعيد واحد، يُسمعهم الداعي، ويَنفذهم البصر، وذلك في المحشر ﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦﴾ [المطففين: ٦] حفاة عراة غرلًا.

ومن محاسنه: توطين النفس علىٰ فراق الأهل والولد؛ إذ لا بد من مفارقتهم، فلو فارقهم فجأة حصل صدمة عظيمة عند الفراق.

ومن محاسن الحج: أنه متىٰ قصده يتزود لسفره بكل ما يحتاج إليه، مدة ذهابه وإيابه؛ فيتزود للعقبىٰ، وهي السفرة الطويلة، التي لا رجوع بعدها، حتىٰ يبعث الله الأولين والآخرين.

وفي سفر الحج قد يجد ما يحتاج إليه في غير بلده، ولا يجد في العقبىٰ ما يحتاج إليه للدار الآخرة، إلا إذا تزوده في الدنيا، قال تعالىٰ: ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ١٩٧].

ومن محاسنه: أن الإنسان يعتاد التوكل علىٰ الله؛ لأنه لا يمكنه أن يحمل كل ما يحتاج إليه في سفره للحج؛ فلا بد من التوكل علىٰ الله تعالىٰ فيما حمله، وفيما لم يحمله مع نفسه، فيعتاد توكله إلىٰ كل ما يحتاج إليه.

ومن محاسنه: أنه إذا أحرم نزع المَخِيط الذي هو لباس الأحياء، ويلبس غيره مما هو أشبه بلباس الأموات؛ فيجدُّ ويجتهد في الاستعداد لما أمامه إلىٰ غير ذلك من **المحاسن** التي يصعب حصرها.

*** ثم تأمل محاسن الجهاد في سبيل الله:** إذ فيه قمع أعداء الله، ونصر أوليائه، وإعلاء كلمة الإسلام، وحمل الكافر علىٰ ترك الكفر الذي هو أقبح الأشياء، والإقبال علىٰ ما هو أحسن الأشياء، وفيه إخراج البشر عن درجة الأنعام، قال تعالىٰ -في حق الكفرة-: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ [الفرقان: ٤٤].

ومن محاسنه: اكتساب حياة الأبد، فإنه إن قَتَلَ فقد أعلىٰ دين الله، وإن قُتِلَ فقد أحيا نفسه، قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [آل عمران: ١٦٩].

ومنها: ما يحصل للمجاهد في سبيل الله من الثواب الجزيل.

ومنها: تكثير المسلمين، وتقليل الكفرة.

ومنها -وهو أعلاها-: امتثال أمر الله حيث يقول: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ [الأنفال: ٣٩]، وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ﴾ [التوبة: ١٢٣].

ومن محاسن الجهاد: أنهم في الانتصار يغنَمون ويشكرون ويقتاتون، وإن أُديل عليهم الكفار عرفوا أن ذلك بسبب معصيتهم وذنوبهم، وفشلهم وتنازعهم؛ فيلجئوا إلىٰ الله متضرعين تائبين.

ومن محاسنه: أن ترك الجهاد سبب للذل؛ لما ورد عن **ابن عمر** قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم بأذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد، سلط الله عليكم ذلًّا لا ينزعه حتىٰ ترجعوا إلىٰ دينكم**» رواه **أبو داود**.

ومن محاسن الجهاد: السلامة من النفاق؛ لحديث: «**من مات ولم يغز ولم يحدث به نفسه مات علىٰ شعبة من النفاق**» رواه **أبو داود والنسائي**، وفي الحديث الآخر: «**من لقي الله بغير أثر من جهاد، لقي الله وفيه ثلمة**» وفي الحديث الآخر: «**ما ترك قوم الجهاد إلا عمهم الله بالعذاب**».

ومن محاسنه: استخراج عبودية أولياء الله، في السراء والضراء، وفيما يحبون ويكرهون... إلىٰ غير ذلك من الأدلة الدالة علىٰ **محاسن** الجهاد في سبيل الله، لإعلاء كلمة الله.

* ثم تأمل ما جاءت به الشريعة من المعاملات.

فمن محاسن البيع والشراء: وصول الإنسان إلىٰ ما يحتاج إليه من مأكل ومشرب وملبس ومسكن.

ومن محاسنه: قطع مسافة الطلب؛ فإن من طلب الشيء من معدنه يحتاج إلىٰ الأسفار، وركوب المركوب، وتحمُّل الأخطار، ومتىٰ وجده بالبيع سلم من الأخطار، وسقط عنه مؤنة الأسفار، فانظر إلىٰ العود والمسك، والسيارات والمكائن والأقمشة، والهيل والسكر ونحو ذلك، معادنها بعيدة؛ فمن لطف الله بعباده أن سخر بعض الناس لبعض.

وجاءت الشريعة الكاملة بحل أنواع المعاملات، كالإجارات والشركات، إلا ما دل الدليل علىٰ تحريمه، مما فيه ضرر أو ظلم أو جهالة أو نحو ذلك، فمن تأمل المعاملات الشرعية رأىٰ ارتباطها بصلاح الدين والدنيا، وشهد لله بسعة رحمته، ولطفه بعباده، وحكمته؛ حيث أباح لعباده جميع الطيبات، ولم يمنع من ذلك إلا كل خبيث ضار علىٰ الدين أو العقل أو البدن أو المال.

فمن محاسن الإجارة: دفع حاجات العباد، بقليل من الإبدال، ويسير من الأموال، فلا كل أحد يملك دارًا يسكنها، ولا سيارة يركبها، ولا طائرة يركبها، ولا طاحونة يطحن فيها، ولا مخزنًا لأمواله، ونحو ذلك مما يطول تعداده، فَجُوِّزتِ الإجارة، ولا حاجة إلىٰ ذكر **محاسن** الصلح، فهو كما ذكره الله خير، قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞۗ﴾ [النساء: ١٢٨].

وأما الوكالة والكفالة: ففيهما من **الإحسان** ما لا يخفىٰ علىٰ أحد ممن اعتقد الشرع، ومن لم يعتقد، وعقل الشرائع، أو لم يعقل، احتاج إلىٰ الوكالة والكفالة؛ فإن الله تعالىٰ خلق الخلائق، وجعلهم مختلفين في القصد والهمم، فليس كل أحد يرغب أن يباشر الأعمال بنفسه، ولا كل يهتدي إلىٰ المعاملات؛ فمن لطف الله بخلقه إباحتها، فلا يليق بأصحاب المروءات، وأولياء الأمور، مباشرة البِياعات كلها بأنفسهم، فالنبي ﷺ باشر بعض الأمور بنفسه، تعليمًا لسنة التواضع، وبيانًا لجوازه، وأضاف بعض الأمور إلىٰ غيره، وباشر ذبح الأضحية بنفسه، وفوض إلىٰ علي ذبح قسم من هديه ﷺ.

وأما الحسن في الكفالة: فإن فيها إظهارَ الشفقة والرحمة ومراعاةَ الأخوة، يبذل الذمة ليضمها إلىٰ الذمة؛ فينفسح وجه المطالبة، ويسكن قلب المطالب بسبب السعة، قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾ [آل عمران: ٤٤] إلىٰ أن جعل كافلها **زكريا**، كما قال تعالىٰ: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ [آل عمران: ٣٧].

وإذا علمت **محاسن** الوكالة والكفالة، فالحوالة واضحة محاسنها، ففي الحوالة كفالة ووكالة، وزيادة فراغ ذمة الأصيل، عن الحزن الطويل، فإذا قبلت حوالته أدخلت علىٰ قلب أخيك -بفراغ ذمته- سرورًا، ولا يخفىٰ ما في إدخال السرور علىٰ المسلم من الأجر.

ومن محاسن الشفعة: أن الجار ربما يكون في حاجة إلىٰ هذه الحصة المبيعة، كأن يكون بيته ضيقًا، ويريد اتساعه، أو تكون الأرض المشتركة بجوار

مزارعه، ويحتاج إليها.

ومن محاسنها: التنبيه علىٰ عظم حق الجار والشريك؛ حيث إن له الحق في التقدم علىٰ غيره في الشراء، إلا إذا أسقط حقه بامتناعه عن الشراء، ومنها دفع ضرر الجار، وهو مادة الضرر.

وقال ﷺ: «**لا ضرر ولا ضرار**» في الإسلام، ولا شك عند أحد في **حسن** دفع ضرر التأذي بسبب المجاورة علىٰ الدوام، من إيقاد نيران، وإعلاء جدار، وإثارة غبار ودخان، وأعظم من ذلك سماع التلفزيون والمذياع، وإحداث أشياء تضر بملكه، ونحو ذلك من أنواع الضرر.

وأما الوديعة فمحاسنها ظاهرة: إذ فيها إعانة عباد الله في حفظ أموالهم، ووفاء الأمانة، وهو من أشرف الخصال عقلًا وشرعًا.

ومن محاسنها: أنها إحسان إلىٰ عباد الله، والله يحب المحسنين.

ومنها: أنها سبب للتآلف والتآخي بين المسلمين وسبب لمحبة بعضهم لبعض.

* **ومن محاسن الإسلام:** النهي عن سوء معاملة الزوج لزوجته، وأن عليه أن يقارن بين **المحاسن** والمساوئ، فإذا كان منصفًا غض بصره عن المساوئ، إذا كانت **محاسنها** تغمرها، لاضمحلالها فيها، وعن **أبي هريرة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يَفرَك مؤمن مؤمنة، إن كره منها خلقًا رضي منها آخر**». رواه **مسلم**.

* **وأما الفرائض وتوزيع المال علىٰ الورثة:** فقد وضعه الله بنفسه، بحسب ما يعلمه من قربٍ وبعدٍ ونفعٍ، وما هو أولىٰ ببر العبد، ورتَّبه ترتيبًا تشهد له العقول الصحيحة **بالحسن** وأنه لو وكل الأمر إلىٰ آراء الناس وأهوائهم وإراداتهم؛ لحصل بسبب ذلك من الخلل والاختلال، وزوال الانتظام، وسوء الاختيار فوضىٰ.

ومن جملة المحاسن: أن ألحق السبب بالنسب، فالسبب المناكحة والولاء، ولما جعل الله سبحانه عقد النكاح ذريعة المحبة والألفة، والازدواج، والاستئناس بين الناس؛ فلا **يحسن** أن يلحقها عند موت أحدهما مضاضة ألم الفراق، من غير أن يرتفق أحدهما بما فضل عنه نوع ارتفاق، ثم جعل للزوج ضعف ما للمرأة من الزوج.

ومن جملة المحاسن: أنه لم يورث عند اختلاف الدين، إذا مات المسلم فالكافر لا يورث منه؛ لأن الكافر وإن كان قريبًا نسبًا فهو بعيد دينًا؛ لأن الكافر ميت لا يرث الميت، قال الله تعالىٰ: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ﴾ [الأنعام: ١٢٢] الآية، وقال تعالىٰ: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾ [الروم: ١٩]، وأما الكافر فيرث الكافر، لاستواء حاليهما ومآليهما.

* **وأما الهبة:** فمستحبة، إذا أريد بها وجه الله، والأصل فيها قبل الإجماع، قوله تعالىٰ: ﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴿٤﴾﴾ [النساء: ٤]، وقوله: ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ [البقرة: ١٧٧] والله سبحانه كريم جواد وهاب.

ومن محاسنها: أنها سبب للتحابِّ والتَّوادِّ، كما في الحديث: «**تهادوا تحابوا**».

ومن محاسنها: أنها تسل السخيمة، وفي الحديث: «**تهادوا، فإن الهدية تسل السخيمة**»، وقد أهدىٰ ﷺ **للنجاشي** حُلة وأواقي من مسك، وكان ﷺ يقبل الهدية ويثيب عليها.

ومن محاسنها: أنها تقوي الصلة، ومتىٰ قويت الصلة سارت الأمة بقدم ثابت، **فحسن** الصلة بين أفراد الأمة سر نجاحها.

ومن محاسنها: وفرة الثقة بين المتهادين... إلىٰ غير ذلك من المحاسن.

*** وأما النكاح:** فمستحب، **ومحاسنه** كثيرة:

منها: تحصين الفرج.

ومنها: تحصين الزوجة، ومنه حفظها والقيام بها.

ومن محاسنه: أنه طريقة الرسل.

ومن محاسنه تكثير الأمة، وتكثير النسل.

ومنها: تحقيق مباهاة النبي ﷺ.

ومنها: قضاء حوائجه من طبخ ونحوه. **ومنها:** حفظ بيته وأولاده.

ومنها: سكونه وطمأنينته إليها، واستئناسه بها، ومعاشرتها، وغير ذلك من المصالح التي لا يتسع هذا المقام لعدها.

* **وأما الطلاق فمن محاسنه:** أن جعل الله ﷻ ملَّك الطلاق إلىٰ الزوج.

ومن محاسنه: أن حكم بالحرمة الغليظة بعد الطلقات الثلاث؛ لأن الظاهر، أن من طلق ثلاثًا، رأىٰ الصلاح في الفراق، وعلق الشرع حِل المطلقة ثلاثًا بالتزويج بزوج آخر، والدخول بها؛ ليصير هذا الشرط مانعًا له من العود إليها، ويثبت علىٰ رأي من الصلاح في مفارقتها.

ومن المحاسن: أنه لم يحكم بحرمتها علىٰ وجه لا رجوع فيه أصلًا، فإنه ربما لا يصبر عنها فيهلك في ذلك؛ فالشرع جعل للوصول إليه سبيلًا، لكن بعدما يذوق الآخر عُسيلتها، وتذوق عُسيلته، ولا يجوز عن طريق التحليل؛ لحديث: «**لعن الله المحلِّل، والمحلَّل له**».

ومن محاسن الطلاق: أن يكون في طهر لم يجامعها فيه، هذا هو السنة؛ فإنه إذا قضىٰ وطره منها، انتقص ميله إليها طبعًا، فيبادر إلىٰ مفارقتها بقليل داعية، ويسير أذية؛ فإن المرء إذا شبع من شيء سقط من عينه، وهان عليه، وإذا جاع قوي ذلك في قلبه فلا يحصل الطلاق عن روية، وربما يندم علىٰ ذلك؛ فيحتاج إلىٰ نقض الطلاق؛ فكان الطلاق الحسن المسنون: أن يطلقها في طهر لم يجامعها فيه؛ فإن هذه الحال حالة كمال الرغبة، وتمام الميل؛ فالظاهر أنه لا يقدم علىٰ الطلاق في هذه الحالة، إلا لحاجة داعية؛ فرخص له في الطلاق.

ومن محاسنه: أن جعل هزله جدًّا، قال ﷺ: «**ثلاث جدهن جد وهزلهن جد: الطلاق والعتاق والنكاح**» فإذا عرف الإنسان أنه بمجرد تلفظه به ولو مازحًا يقع، امتنع بإذن الله إذا كان عاقلًا.

* **ومن محاسن القصاص وفرض العقوبات:** زجر النفوس الباغية، وردع القلوب القاسية الخالية من الرحمة والشفقة.

ومن محاسنه: تأديب الجماعات الطاغية؛ فحكم بقتل القاتل، وأمر بقطع يد السارق، ليحقن الدماء، قال تعالىٰ: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ [البقرة: ١٧٩] الآية، والقطع لحفظ الأموال؛ فيعيش الناس آمنين مطمئنين، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾﴾ [المائدة: ٣٨] وحرم الزنا ومقدماته كالنظر إلىٰ الأجنبية، والخلوة بها، والقبلة واللمس، وأمر برجم الزاني، وقتل اللوطي علىٰ رؤوس الأشهاد، وحكم بجلد الزاني البكر، مائة جلدة والتغريب، كل ذلك محافظة علىٰ الأنساب والأعراض، وحماية للأخلاق، وصيانة للأمة من الفناء والفساد، وحرم الخمر، وعدها أم الخبائث، وحكم علىٰ متعاطيها بالجلد، لارتكابه النقائص والخسائس، كل ذلك ليبقىٰ العقل سليمًا، ويظل المال مصونًا، ويدوم الشرف والخلق طاهرًا نقيًّا.

شعرًا:

لقد أيقظ الإسلام للمجد والعلىٰ ... بصائر أقوام عن المجد نُوَّمِ

فأشرق نور العلم من حجراته ... علىٰ وجه عصر بالجهالة مظلم

ودك حصون الجاهلية بالهدىٰ ... وقوض أطناب الضلال المخيم

وأنشط بالعلم العزائم وابتنىٰ ... لأهليه مجدًا ليس بالمُتَهَدِّم

وأطلق أذهان الورىٰ من قيودها ... فطارت بأفكار علىٰ المجد حُوَّمِ

وفك إِسارَ القوم حتىٰ تحفَّزوا ... نهوضًا إلىٰ العلياء من كل مجثم

وعما قليل طبق الأرض حكمهم ... بأسرع من رفع اليدين إلىٰ الفم

اللهم ربَّ قلوبنا علىٰ محبتك وطاعتك، وثبتنا علىٰ قولك الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وألهمنا ذكرك وشكرك، وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار، واغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلىٰ الله علىٰ محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

«فصل»

ومن محاسن الإسلام: الحث علىٰ المشورة والأخذ بها، متىٰ كانت صائبة، متفقة مع العقل والمنطق والتجربة، قال تعالىٰ: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورىٰ: ٣٨].

ومن محاسنه: أن أفضل الناس عند الله أكثرهم صلاحًا وتقوىٰ، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

ومن محاسنه: الحث علىٰ العتق، وتحرير الأرقاء، والإحسان إلىٰ المملوك.

ومن محاسنه: الحث علىٰ الإحسان إلىٰ الجار والضيف والمسكين واليتيم.

ومن محاسن الإسلام: أنه يدعو إلىٰ تبادل الألفة والمحبة، والتصافي والتعاون، قال ﷺ: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا**».

ومن محاسنه: أنه يذم النزاع والكراهية والتفرقة، قال تعالىٰ: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران: ١٠٣] وقال الرسول ﷺ: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا**».

ومن محاسنه: النهي عن النميمة والغيبة، والحسد والتجسس، والكذب والخيانة، والآيات والأحاديث الدالة علىٰ ذلك كثيرة جدًّا، فتذكر لها تجدها.

ومن محاسنه: النهي عن الظلم، والأمر بالعدل، مع القريب والبعيد، قال

تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ٱعْدِلُواْ﴾ [المائدة: ٨]، وقال: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾ [النحل: ٩٠].

ومن محاسن الإسلام: الحث علىٰ العفو عن المعتدي، قال تعالىٰ: ﴿وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ﴾ [النور: ٢٢]، وقال: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [فصلت: ٣٤]، وقال: ﴿وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٧].

ومن محاسنه: الدعوة إلىٰ الصلح بين الأخوين، والنهي عن الهِجران، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ١٠]، وقال: ﴿وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [النساء: ١٢٨].

ومن محاسنه: النهي عن التقاطع والتدابر، والتباغض والتحاسد، قال ﷺ: «**لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا...**» الحديث.

ومن محاسنه: النهي عن الاستهزاء بالناس، وذكر عيوبهم، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ﴾ [الحجرات: ١١] الآية.

ومن محاسنه: النهي عن بيع الإنسان علىٰ بيع أخيه، والخطبة علىٰ خطبته، إلا أن يَأْذَنَ أو يُرَدَّ، لما ينشأ عن ذلك من العداوة والتقاطع.

ومن محاسنه: مشروعية السلام علىٰ المسلم، عرفه أو لم يعرفه.

ومن محاسنه: الأمر برد التحية بأحسن منها أو ردِّها، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾ [النساء: ٨٦] الآية.

ومن محاسنه: الأمر بالتثبت فيما نسمعه، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ٦﴾ [الحجرات: ٦]، وقال: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ﴾ [الإسراء: ٣٦] الآية.

ومن محاسنه: النهي عن البول في الماء الراكد، وفي ذلك العناية بالناحية الصحية، والوقاية من النجاسة والأمراض بإذن الله.

ومن محاسنه: النهي عن إيذاء المؤمنين والإضرار بهم، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحْتَمَلُواْ بُهْتَٰنٗا وَإِثْمٗا مُّبِينٗا ٥٨﴾ [الأحزاب: ٥٨]، وقال ﷺ: «**من أكل الثوم والبصل والكراث فلا يقربن مسجدنا؛ فإن الملائكة تتأذىٰ مما يتأذىٰ منه بنو آدم**».

ومن محاسنه: النهي عن الأكل بالشمال، والشرب بها، لأنها لإزالة ما يستقذر، ولأن الشيطان يأكل بشماله، كما في الحديث.

ومن محاسنه: الأمر باتباع جنازة المسلم، لما في ذلك من الدعاء والترحم عليه، والصلاة عليه، وجبر خواطر أهله المؤمنين.

ومن محاسن الإسلام: تشميت العاطس، وإبرار المقسم؛ لما في ذلك من التآلف والتآخي، والدعاء لأخيك بالرحمة، ولما في إبرار القسم من جبر خاطره، وإجابة طلبه، ما لم يكن فيه شيء من مخالفة الشرع.

ومن محاسنه: إجابة دعوة المسلم، ولا سيما إذا كان لعرس، ولم يكن فيها ما يخالف الشريعة، أو يخل بالمروءة والإنسانية، كما تراه اليوم عند بعض

الناس من الملاهي والمنكرات، لأن في حضوره والحالة هذه تشجيعًا للفسقة وأهل المجون، وإعانة علىٰ نشر المعاصي وعدم المبالاة فيها؛ فإن كان يقدر علىٰ إنكار المنكر كإزالة التليفزيون ونحوه حضر وأزاله وإلا امتنع.

ومن محاسن: الدين الإسلامي أنه حرم علىٰ المسلم ترويع أخيه المسلم، إما بإخباره بخبر يفزعه، أو يشير إليه بسلاح، أو نحو ذلك.

ومن محاسن الدين الإسلامي: أنه نهىٰ عن تشبه الرجال بالنساء، وبالعكس، بأن تتشبه النساء بالرجال؛ لما في ذلك من المفاسد، التي منها التخنث فيمن يتشبه بهن، في ملابسهن وحركاتهن وكلامهن، كما هو موجود عند بعض المنحلِّين، والمغرورين أصحاب الخنافس والتواليتات محلوقي اللحىٰ.

ومن محاسن الإسلام: اتقاء مواضع التهم والريب؛ كي يصون ألسنة الناس وقلوبهم عن سوء الظن به، وورد أن **صفية** زوج النبي ﷺ جاءت تزوره وهو معتكف، فقام معها مودعًا، حتىٰ بلغت باب المسجد، فرآه رجلان من الأنصار، فسلما عليه، فقال: «**علىٰ رسلكما، إنما هي صفية بنت حييٍّ**» فقالا: سبحان الله يا رسول الله! وكَبُر عليهما، فقال النبي ﷺ: «**إن الشيطان يبلغ من الإنسان مبلغ الدم، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئًا**». فهذا أشرف الخلق وأزكاهم، أبعد التهمة والشك عن نفسه.

وقال عمر رضي الله عنه: «من أقام نفسه مقام التهم فلا يلومن من أساء به الظن»، ومر **عمر** برجل يكلم امرأته علىٰ ظهر الطريق؛ فعلاه وضربه بالدِّرَّة، فقال

الرجل: يا أمير المؤمنين، إنها امرأتي! فقال عمر: هلَّا كلمتها حيث لا يراك أحد من الناس.

فالإسلام من محاسنه: الابتعاد عن مواضع التهم والشبهات؛ فكيف لو رأىٰ من تدخل علىٰ الخياط، يفصِّل علىٰ بدنها وحده، خاليًا بها؟! أو رأىٰ مَن تدخل علىٰ المصور وحدها؟! أو رأىٰ مَن تركب مع من ليس محرمًا لها؟! أو سافرت مسلمة إلىٰ بلاد الكفر بدون محرم؟! أو دخلت علىٰ الدكتور وحدها باسم الكشف الطبي؟! أو نحو ذلك، مما حدث في زمننا الذي كثرت فيه الفتن، وقلَّ فيه الأمر والنهي، وردع أهل الشر والفساد الذين قويت شوكتهم، وساند بعضهم بعضًا، عكس ما عليه أهل الخير والصلاح، من التفكك والتخاذل والمصانعات؛ فالله المستعان!

أيا علماء الدين ما لي أراكم ... تغاضيتم عن منكرات الأوامر
أمَا الأمر بالمعروف والنهي فرضكم ... فأعرضتمُ عن ذاك إعراض هاجر
أمَا أخذ الميثاق ربي عليكمُ ... بأن تنصحوا بالحق أهلَ المَناكر
فإن هم عصوكم فاهجروهم وهاجروا ... تنالوا بنصر الدين أجر المهاجر
إذا كان هذا حال قاض وعالم ... وحال وزير أو أمير مظاهر
ولم تنتهوا عن غيكم فترقبوا ... صواعق قهار وسطوة قاهر
فما الله عما تعملون بغافل ... ولكنه يملي لطاغ وفاجر
وقد أرسل الآيات منه مخوِّفًا ... ولكن غفلتم عن سماع الزواجر

أجيبـــوا عبـــادَ الله صـــوت مناصـــح دعـــاكم بـــصوت مـــا لـــه مـــن مناصـــر
وقومـــوا ســـراعًا نحـــو نـــصرة ديـــنكم إذا رمـــتم في الحـــشر غفـــران غـــافر
وحـــسن ختـــام الـــنظم أزكـــىٰ صـــلاتنا علـــىٰ المـــصطفىٰ والآل أهـــل المفـــاخر

اللهم بارك في أسماعنا وأبصارنا ونور قلوبنا، وأصلح ذات بيننا، وألف بين قلوبنا، واهدنا سبل السلام، ونجنا من الظلمات إلىٰ النور، وجنبنا الفواحش، ما ظهر منها وما بطن، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلىٰ الله علىٰ محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

«فصل»

ومن محاسن الإسلام: أن الإنسان إذا ابتلي بشرير من الأشرار، أو فاجر من الفجار، أو محب للإجرام، ينبغي أن يحذره ويبتعد عن شره، ويداريه ويتجنبه ما أمكن.

قال أبو الدرداء: «إنَّا لَنَبَشُّ في وجوه قوم، وإن قلوبنا لتلعنهم»، ومعنىٰ هذا مداراة الأشرار الذين لا تقدر علىٰ ردعهم، والإنكار عليهم؛ لخوفك من شرهم وأذيتهم، وإجرامهم، وتنكر بقلبك.

ومن محاسن الإسلام: الأمر بإصلاح ذات البين، والأدلة علىٰ ذلك من الكتاب والسنة كثيرة متظاهرة.

ومن محاسنه: الأمر بستر عورات المسلمين، وعيوبهم ونقائصهم، قال ﷺ: «**ومن ستر مسلمًا ستره الله**»، وقال ﷺ: «**يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه، لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم...**» الحديث، وتقدم.

ومن محاسن الإسلام: إدخال السرور علىٰ قلب المسلم، ومساعدة المحتاج، قال ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتىٰ يحب لأخيه ما يحب لنفسه**»، وقال: «**ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته**».

ومن محاسن الإسلام: توقير المسلم، ولاسيما ذي الشيبة، ورحمة الصبيان، قال ﷺ: «**ليس منا من لم يوقر كبيرنا ويرحم صغيرنا**»، وقال ﷺ: «**إن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم...**» الحديث.

ومن محاسن الإسلام: النهي عن الفُحش، وبذاءة اللسان، قال ﷺ: «**ليس المؤمن بالطعان، ولا اللعان، ولا الفاحش، ولا البذيء**».

ومن محاسن الإسلام: النهي عن التكلم سرًّا بين اثنين مع وجود ثالث، من أجل أن ذلك يحزن الثالث؛ فيظن أنهم يتناجون به؛ فهذا ينافي الأدب، وكذلك ليس من الأدب أن تتحدث بلغة أجنبية، إذا كان هناك من لا يعرفها، قال ﷺ: «**إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجىٰ اثنان دون الآخر حتىٰ تختلطوا بالناس؛ من أجل أن ذلك يحزنه**».

ومن محاسن الدين الإسلامي: ألا يتدخل الإنسان فيما لا يعنيه، وهذه من جوامع كلمه ﷺ، كما في الحديث: «**من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه**» أخذه بعضهم وصاغه بعبارة: (ابحث عن عملك الخاص)، ولو تتبع المسلمون إرشادات نبيهم، ونصائحه ﷺ، لَاستراحوا وأراحوا غيرهم، ولو تتبعت أكثر المشاكل والمنازعات والمخاصمات والمجادلات لوجدت سببها الوحيد التدخل فيما لا يعني.

ومن محاسن الدين الإسلامي: النهي والتحذير عن الجلوس في الطرقات؛ لما في ذلك من التعرض لما لا ينبغي، ولما يلزم الإنسان القيام به وربما لم يقم

به من الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ونصر المظلوم، وردع الظالم، وذلك نصره، وإعانة المسلم، وغض البصر، ورد السلام، وكف الأذىٰ.

ومن محاسن الدين الإسلامي: أن من استعاذنا بالله علينا أن نعيذه، وأن من سألنا بالله نعطيه، ونكافئ من صنع إلينا معروفًا إن استطعنا، فإن لم نستطع ندعو له أن يجزيه الله جزاءً حسنًا، علىٰ ما أسداه إلينا من المعروف، عملًا بالحديث: «**من استعاذكم بالله فأعيذوه...**» الحديث، والله أعلم، وصلىٰ الله علىٰ محمد وآله وسلم.

«فصل»

ومن محاسن الدين الإسلامي: أن تنصف من نفسك، وأن تحب للناس ما تحب لنفسك، وتضع نفسك موضع إخوانك المسلمين، وتعاملهم المعاملة التي تحب أن يعاملوك بها، وتؤدي حقوقهم، قال ﷺ: «**لا يستكمل العبد الإيمان حتىٰ يكون فيه ثلاث خصال: الإنفاق من الإقتار، والإنصاف من نفسه، وبذل السلام**»، وقال تعالىٰ: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩]. وقال ﷺ: «**طعام الاثنين يكفي الثلاثة...**» إلىٰ آخر الحديث، وفي الحديث الآخر: «**ومن كان معه فضل ظهر فَلْيَعُدْ به علىٰ مَن لا ظهر له، ومن كان معه فضل من زاد فَلْيَعُدْ به علىٰ من لا زاد له...**» فذكر من أصناف المال ما ذكر، قال **أبو سعيد**: حتىٰ رأينا أنه لا حق لأحدٍ منا في فضل. رواه **مسلم**.

ومن محاسن الإسلام وأخلاقه السامية: أن يصون الإنسان عرض أخيه المسلم ونفسه وماله من ظلم أصابه بقدر استطاعته، ويرد عنه الظلم والعدوان، ويدافع ويناضل عنه حسب قدرته، فروىٰ **أبو الدرداء** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رجلًا نال من رجل عند رسول الله ﷺ، فرد عنه رجل، فقال النبي ﷺ: «**من رد عن عرض أخيه كان له حجابًا من النار**»، وورد عنه ﷺ أنه قال: «**من رد عن عرض أخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة**». رواه الترمذي.

ومن محاسن الإسلام: الأمر بالتوسط بين البخل والإسراف، قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾﴾ [الإسراء: ٢٩]، وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾ [الفرقان: ٦٧].

ومن محاسن الإسلام: الحث علىٰ الصبر بأنواعه الثلاثة، الصبر علىٰ طاعة الله حتىٰ يؤديها، والصبر عن معصية الله حتىٰ يتركها، والصبر علىٰ أقدار الله المؤلمة.

ومن محاسن الإسلام: العطف علىٰ الضعفاء، والشفقة علىٰ الفقراء، والرأفة باليتامىٰ، والخدم والعبيد والإماء، والإحسان إليهم، ودفع الأذىٰ عنهم، وحسن معاملتهم، والتواضع معهم، وملاطفتهم وخفض الجناح لهم، ولين الجانب معهم، قال تعالىٰ لرسوله ﷺ: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾﴾ [الشعراء: ٢١٥]، وقال: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الكهف: ٢٨]، وقال: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾﴾ [الضحىٰ: ٩، ١٠]، وقال: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣﴾﴾ [الماعون: ١ - ٣]، وقال: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾﴾ [البلد: ١٢ - ١٦]، وقال: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾﴾ [عبس: ١ - ٣] الآية.

«فصل»

ومن محاسن الدين الإسلامي: الرأفة والرحمة والشفقة، لا القسوة والغلظة والتعذيب، حتىٰ في حق الحيوانات البهيمية، عن **ابن عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ قال: «**عُذِّبَت امرأة في هرة سجنتها حتىٰ ماتت فدخلت فيها النار، لا هي أطعمتها وسقتها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض!**». متفق عليه.

وروىٰ الشيخان وغيرهما مرفوعًا: «**أن رجلًا دنا من بئر فنزل وشرب منها، وعلىٰ البئر كلب يلهث من العطش، فرحمه فنزع أحد خُفَّيه فسقاه، فشكر الله له ذلك فأدخله الجنة**».

وروىٰ **مسلم** وغيره أن رسول الله ﷺ مر علىٰ حمار قد وُسم في وجهه فقال: «**لعن الله الذي وسمه**».

شعرًا:

أنـا العبـد الـذي كـسب الـذنوبا ... وصـدته الأمـاني أن يتوبـا

أنـا العبـد الـذي أضـحىٰ حزينًـا ... علـىٰ زلاتـه قلقًـا كئيبـا

أنـا العبـد الـذي سـطرت عليـه ... صـحائف لـم يخـف فيهـا الرقيبـا

أنـا العبـد المـسيء عـصيت سـرًّا ... فمـا لـي الآن لا أبـدي النحيبـا

أنـا العبـد المفـرط ضـاع عمـري ... فلـم أَرْعَ الـشبيبة والمـشيبا

أنـا العبـد الغريـق بلُـجِّ بحـر ... أصـيح لربمـا ألقـىٰ مجيبـا

أنـا العبـد الـسقيم مـن الخطايـا ... وقـد أقبلـت ألـتمس الطبيبـا

أنـا العبـد المخلَّـف عـن أنـاس ... حـووا مـن كـل معـروف نـصيبا

أنـا العبـد الـشريد ظلمـت نفـسي ... وقـد وافيـت بـابكمُ منيبـا

أنـا العبـد الفقيـر مـددت كفـي ... إلـيكم فـادفعوا عنـي الخطوبـا

أنـا الغـدار كـم عاهـدت عهـدًا ... وكنـت علـىٰ الوفـاء بـه كـذوبا

أنـا المقطـوع فـارحمني وصِـلْني ... ويـسر منـك لـي فرجًـا قريبًـا

أنـا المـضطر أرجـو منـك عفـوًا ... ومـن يرجـو رضـاك فلـن يخيبـا

فيـا أسـفىٰ علـىٰ عمـر تقـضَّىٰ ... ولـم أكـسب بـه إلا الـذنوبا

وأحـذر أن يعـاجلني ممـات ... يحيـر هـول مـصرعه اللبيبـا

ويا حزناه من حشري ونشري ... بيوم يجعل الولدان شيبا
تفطرت السماء به ومارت ... وأصبحت الجبال به كثيبا
إذا ما قمت حيرانًا ظميئًا ... حسير الطرف عريانًا سليبا
ويا خجلاه من قبح اكتسابي ... إذا ما أبدت الصحف العيوبا
وذلة موقف وحساب عدل ... أكون به علىٰ نفسي حسيبا
ويا حَذَرَاهُ من نار تلظىٰ ... إذا زفرت وأقلقت القلوبا
تكاد إذا بدت تنشقُّ غيظًا ... علىٰ من كان ظلَّامًا مريبا
فيا من مد في كسب الخطايا ... خطاه أمَا أَنَىٰ لك أن تتوبا
ألا فاقْلَعْ وتب واجهد فإنا ... رأينا كل مجتهد مصيبا
وأقبل صادقًا في العزم واقصد ... جنابًا للمنيب له رحيبا
وكن للصالحين أخًا وخلًّا ... وكن في هذه الدنيا غريبا
وكن عن كل فاحشة جبانًا ... وكن في الخير مِقدامًا نجيبا
ولاحِظْ زينة الدنيا بِبُغضٍ ... تكن عبدًا إلىٰ المولىٰ حبيبا
فمن يخبر زخارفها يجدها ... مخالبة لطالبها خلوبا
وغُضَّ عن المحارم منك طرفًا ... طموحًا يفتن الرجل الأريبا
فخائنة العيون كأُسْد غاب ... إذا ما أهملت وثبت وثوبا
ومن يَغضُضْ فضول الطرف عنها ... يجد في قلبه رَوحًا وطيبا
ولا تطلق لسانك في كلام ... يجر عليك أحقادًا وحوبا

ولا يبـــرح لـــسانك كـــلَّ وقـــت ... بـــــذكر الله ريانًـــــا رطيبـــــا

وَصَـــلِّ إذا الـــدجىٰ أرخـــىٰ ســـدولًا ... ولا تـــضجر بـــه وتكـــن هَيوبـــا

تجـــد أنـــسًا إذا أودعـــت قبـــرًا ... وفارقـــت المعاشـــر والنـــسيبا

وصـــم مـــا تـــستطيع تجـــده ريًّـــا ... إذا مـــا قمـــت ظمآنًـــا ســـغيبا

وكـــن متـــصدقًا ســـرًّا وجهـــرًا ... ولا تبخـــل وكـــن ســـمحًا وهوبـــا

تجـــد مـــا قَدَّمَتْـــه يـــداك ظـــلًّا ... إذا مـــا اشـــتد بالنـــاس الكروبـــا

وكـــن حـــسن الـــسجايا وذا حيـــاء ... طليـــق الوجـــه لا شَكِـــسًا غـــضوبا

اللهم وفقنا توفيقًا يقينا عن معاصيك، وأرشدنا برشدك إلىٰ السعي فيما يرضيك، وأجرنا يا مولانا من خزيك وعذابك، وهب لنا ما وهبته لأوليائك وأحبابك، وآتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين، برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلىٰ الله علىٰ محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

«فصل»

ومن محاسن الإسلام: مراعاة الحكمة، وذلك أن نضع كل إنسان من المؤمنين في منزلته، ونراعي كرامته وشعوره، ونجعله في المكان الذي يليق به.

عن **عائشة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن النبي ﷺ قال: «**أنزلوا الناس منازلهم**» رواه **أبو داود**، وروي: «أن **عائشة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كانت مسافرة، فنزلت منزلًا تستريح فيه، وتتناول طعامها، فجاء سائل فقير، فقالت: ناولوا هذا المسكين قرصًا، ثم مر رجل يركب فرسًا، فقالت: ادعوه إلىٰ الطعام. فقيل لها: لماذا تعطين المسكين قرصًا، وتدعين هذا الغني إلىٰ الطعام، فأجابت: إن الله تعالىٰ أنزل الناس منازل، لابد لنا أن ننزلهم تلك المنازل، هذا المسكين يرضىٰ بقرص، وقبيح بنا أن نعطي هذا الغني -وهو علىٰ هذه الهيئة- قرصًا»، فرحمها الله، ما أحسن هذا من جواب رد، دل علىٰ الحكمة وحسن الذوق، ونبل الخلق، وكرم المعاملة، والاقتداء التام بإرشادات الله ورسوله ﷺ.

وروي أن رسول الله ﷺ دخل بيتًا من بيوته؛ فدخل عليه أصحابه، حتىٰ امتلأ المجلس، فجاء جرير بن عبد الله البجلي، فلم يجد مكانًا، فقعد علىٰ الباب، فلف رسول الله ﷺ رداءه، وقدمه له ليجلس عليه، وقال له: «**اجلس علىٰ هذا**» فأخذ جرير الرداء، ووضعه علىٰ وجهه، وجعل يقبله ويبكي، متأثرًا

من إكرام النبي ﷺ له، ثم لفه ورده إلىٰ النبي ﷺ شاكرًا مقدرًا، وقال: ما كنت لأجلس علىٰ ثوبك يا رسول الله، أكرمك الله يا رسول الله كما أكرمتني، فنظر المصطفىٰ ﷺ يمينًا وشمالًا، ثم قال: «**إذا أتاكم كريم قومٍ فأكرموه**».

فانظر إلىٰ هذه المعاملة الجميلة، تجد المثل الكامل في معاملة الرسول له، حيث راعىٰ شعور جرير وأكرمه، وكيف تأثر جرير بهذه المعاملة الكريمة النبيلة اللطيفة.

ومن محاسن الإسلام: أنه أثبت للزوجات علىٰ الأزواج حقوقًا، مثل الحقوق التي للرجال بالمعروف، وحسن العشرة، وترك الإضرار، وجعل (للرجال عليهن درجة) أي: في الفضيلة، في الخلق والمنزلة، وطاعة الأمر، والإنفاق، وأداء المهر، والقيام بالمصالح، والفضل في الدنيا والآخرة.

ومن محاسن الإسلام: أن المرأة عند بعض العرب في الجاهلية تعد جزءًا من ثروة أبيها أو زوجها، وكان ابن الرجل يرث أرملة أبيه بعد وفاتها، وكان العرب قبل الإسلام يرثون النساء كَرْهًا، بأن يأتي الوارث ويلقي ثوبه علىٰ زوجة أبيه، ثم يقول: ورثتها كما ورثت مال أبي، فإذا أراد أن يتزوجها تزوجها بدون مهر، أو زوجها لأحد عنده وتسلم مهرها ممن يتزوجها، أو حرم عليها أن تتزوج كي يرثها، فمنعت الشريعة الإسلامية هذا الظلم وهذا الإرث، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗاۖ﴾ [النساء: ١٩]، وكان العرب في الجاهلية يمنعون النساء من الزواج؛ فالابن الوارث كان يمنع زوجة

أبيه من التزوج، كي تعطيه ما أخذته من ميراث أبيه، والأب يمنع ابنته من التزوج حتىٰ تترك له ما تملكه، والرجل يطلق زوجته ويمنعها من الزواج، حتىٰ يأخذ منها ما يشاء، والزوج المبغض لزوجته يسيء عشرتها، ويمللها، ولا يطلقها حتىٰ ترد إليه مهرها، فالعرب قبل الإسلام كانوا يظلمون المرأة، ويتحكمون فيها، قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا۟ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ﴾ [النساء: ١٩] وكانوا لا يعدلون بين النساء، في النفقة والكسوة والمعاشرة، فأمر الإسلام بالعدالة بينهن، قال تعالىٰ: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ١٩] الآية، وقال: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً﴾ [النساء: ٣]، وقال: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾﴾ [النساء: ٢٠]، وقال في ناحية الدين: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل: ٩٧]، وفي ناحية الأهلية والملك، قال تعالىٰ: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ﴾ [النساء: ٧]، وقال: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ۚ﴾ [النساء: ٣٢].

وحسب الإسلام ما كفل للمرأة من مساواة دينية، ومن مساواة في التملك والكسب، وما حقق لها من ضمانات في الزواج، بإذنها ورضاها دون إكراه ولا إهمال، قال ﷺ: «**لا تنكح الثيب حتىٰ تستأمر، ولا تنكح البكر حتىٰ تستأذن، وإذنها الصموت**» وفي مهرها قال: ﴿فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ [النساء: ٢٤].

ومن محاسن الإسلام: أن العرب قبل الإسلام كانوا يئدون البنات، ويدفنونهن وهن علىٰ قيد الحياة، خوفًا من العار، يُهيل الرجل علىٰ ابنته التراب حتىٰ تموت؛ فجاء الإسلام وحرم وأْدَهُنَّ وقَتْلَهن، تحريمًا قاطعًا، ومنحهن الحق في الحياة، وبهذا أنصف الإسلام المرأة كل الإنصاف، وحافظ علىٰ حياتها وحقوقها الإنسانية.

اللهم أعذنا من الهم والحزن، والعجز والكسل، والجبن والبخل، وغلبة الدين وقهر الرجال، وشماتة الأعداء، واغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلىٰ الله علىٰ محمد وآله وصحبه أجمعين.

«فصل»

ومن محاسن الإسلام: إبطال الكهانة وتحريمها، وتحريم زجر الطير، وتحريم الميسر، وهو نوع من القمار، ومنها الأزلام والبحيرة والسائبة والوصيلة والحامي.

ومنها: رمي البعرة، كانت المرأة في الجاهلية إذا مات زوجها دخلت حشفًا، ولبست شر ثيابها، ولم تمس طيبًا، حتىٰ تمضي عليها سنة، ثم تؤتىٰ بدابة، حمار أو طير أو شاة فتفتض به، فقلما تفتض بشيء إلا مات، ثم تخرج بعد ذلك، فتعطىٰ بعرة، فترمي بها، ثم تراجع ما شاءت.

ومنها: قتل الأولاد خشية الفقر؛ فكان الرجل يقتل ولده خشية أن يطعم معه إلىٰ أن نهىٰ الله عن ذلك بقوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾﴾ [الإسراء: ٣١].

ومن محاسن الدين الإسلامي: أنه حول الوثنيين والمشركين والكفار إلىٰ مؤمنين صالحين، أتقياء زهادًا ورعين، يخافون الله، ويعبدونه وحده لا شريك له، ويقفون بجانب الحق، لا تأخذهم في الله لومة لائم، ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩].

ومن محاسن الإسلام: تحريم الغدر، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾ [المائدة: ١]، ويقول تعالىٰ: ﴿وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا ٣٤﴾ [الإسراء: ٣٤]، وورد عنه ﷺ أنه قال: «**لكل غادر لواء يوم القيامة، يقال: هذه غدرة فلان**»، وقال ﷺ: «**أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا**»، وعد منها: «**وإذا عاهد غدر**» وقال ﷺ: «**يقول الله: ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة: رجل أعطىٰ بي ثم غدر...**» الحديث. رواه **البخاري**.

ومن محاسن الدين الإسلامي: الحث علىٰ العمل، وكسب الرزق، وترك الكسل، وسؤال الناس إلا عند الضرورة؛ فالإسلام دين سعي وعمل واجتهاد، لا دين كسل وعجز وتوان، دين يحافظ علىٰ العزة الإنسانية، والكرامة الشخصية، قال تعالىٰ: ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ﴾ [التوبة: ١٠٥]، وقال: ﴿وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ٣٩ وَأَنَّ سَعۡيَهُۥ سَوۡفَ يُرَىٰ ٤٠﴾ [النجم: ٣٩، ٤٠]، ويحث علىٰ الجمع بين العمل للدين والدنيا، فيقول جل وعلا: ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ [القصص: ٧٧]، ويقول: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة: ١٠].

ومن محاسن الإسلام: القصد في الطعام والشراب، قال الله جل وعلا: ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١﴾ [الأعراف: ٣١]، وعن المقداد بن مَعدِيكَرِبَ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما ملأ ابن آدم وعاء شرًّا من بطنه، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة فاعلًا فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه**». أخرجه الترمذي وابن ماجه.

ومن محاسن الإسلام: النهي عن المماطلة في الحقوق، قال ﷺ: «**مطل الغني ظلم، وإذا أتبع أحدكم علىٰ مليء فليتبع**». رواه **البخاري ومسلم**.

ومن محاسن الدين الإسلامي: الأمر بإنظار المعسر، قال تعالىٰ: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ [البقرة: ٢٨٠]، وعن **أبي هريرة** رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**كان تاجر يداين الناس؛ فإذا رأىٰ معسرًا قال لفتيانه: تجاوزوا عنه؛ لعل الله يتجاوز عنا، فتجاوز الله عنه!**». رواه **البخاري**، وقال ﷺ: «**من أنظر معسرًا فله بكل يوم مثله صدقة**».

ومن محاسن الإسلام: النهي عن الرشوة، عن **أبي هريرة** رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لعن الله الراشي والمرتشي في الحكم**». رواه **الترمذي**، وورد: «**لعن الله الراشي والمرتشي والرائش الذي يمشي بينهما**».

ومن محاسن الدين الإسلامي: الحث علىٰ إقالة النادم؛ لما في ذلك من الإحسان والمعروف وجبر خاطره؛ ففي الحديث: «**من أقال مسلمًا أقال الله عثرته**». وفي رواية: «**من أقال نادمًا، أقاله الله يوم القيامة**». وصلىٰ الله علىٰ محمد وآله وسلم.

«فصل»

ومن محاسن الدين الإسلامي: بذل النصيحة لله، ولكتابه ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم.

فالنصيحة لله: الإيمان به، ونفي الشريك عنه، وترك الإلحاد في أسمائه، وصفاته، ووصفه بأوصاف الكمال، وتنزيهه عن النقائص والعيوب، وطاعة أمره واجتناب نهيه، وموالاة من أطاعه، ومعاداة من عصاه، وغير ذلك مما يجب له.

وأما النصيحة لكتاب الله: فالإيمان به بأنه كلام الله، منزل غير مخلوق، وتحليل ما حلله، وتحريم ما حرمه، والاهتداء بهديه والتدبر لمعانيه، والقيام بحقوقه، والاتعاظ بمواعظه، والاعتبار بزواجره.

وأما النصيحة لرسول الله ﷺ: فتصديقه فيما جاء به، ومحبته، وتقديمه فيها علىٰ النفس والمال والولد، وتوقيره حيًّا وميتًا، ومعرفة سنته، ونشرها، والعمل بها، وتقديم قوله علىٰ قول كل أحدٍ كائنًا ما كان.

وأما النصيحة لأئمة المسلمين: فهي إعانتهم علىٰ الحق وطاعتهم فيه، وأمرهم به، وتذكيرهم بحوائج العباد، ونصحهم برفق ولين وعدل، واعتقاد ولايتهم، والسمع والطاعة لهم في غير معصية الله، وحث الناس علىٰ ذلك، وبذل ما تستطيعه من إرشادهم، وتنبيههم إلىٰ ما ينفعهم وينفع الناس، والقيام بواجبهم.

وأما النصيحة لعامة المسلمين: فهي إرشادهم إلىٰ مصالحهم في دنياهم وأخراهم، وكف الأذىٰ عنهم، وتعليمهم ما جهلوا من أمر دينهم، وأمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر، وأن يحب لهم ما يحب لنفسه، ويكره لهم ما يكره لنفسه، ويسعىٰ في ذلك حسب الإمكان.

ومن محاسن الدين الإسلامي: النهي عن قطيعة الرحم، قال الله تعالىٰ: ﴿فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ ٢٢﴾ [محمد: ٢٢]، وقال ﷺ: «**الرحم متعلقة بالعرش، تقول: من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعه الله**». رواه **البخاري**، وروىٰ **الطبراني** عن عبد الله ابن أبي أوفىٰ عن النبي ﷺ قال: «**إن الملائكة لا تنزل علىٰ قوم فيهم قاطع رحم**».

ومن محاسن الدين الإسلامي: النهي عن التشدد في الدين، وعن الزهد في الطيبات؛ لأن الإسلام دين اليسر والسهولة والاعتدال؛ فعن أنس رضي الله عنه، قال: جاء ثلاثة رهط إلىٰ بيوت أزواج النبي ﷺ، يسألون عن عبادته، فلما أُخبروا كأنهم تقالُّوها، فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ، وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فقال أحدهم: أما أنا فأصلي الليل أبدًا. وقال الآخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر. وقال الآخر: وأنا أعتزل النساء، فلا أتزوج أبدًا. فجاء إليهم رسول الله ﷺ، فقال: «**أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله، وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء؛ فمن رغب عن سنتي فليس مني**». رواه الشيخان.

قصيدة في غربة الإسلام

أقـــول وأولـــىٰ مـــا يـــرىٰ في الـــدفاتر ... وأحـــسن فيـــضًا مـــن عيـــون المحـــابر

هـــو الحمـــد للمعبـــود والـــشكر الثنـــاء ... تقـــدس عـــن قـــول الغـــواة الغـــوادر

وجـــل عـــن الأنـــداد لا رب غيـــره ... وعـــن شـــافع في الابتـــدا أو مـــوازر

وصـــلىٰ علـــىٰ مـــن قـــام لله داعيًـــا ... وشـــيد أعـــلام الهـــدىٰ والـــشعائر

وأوضـح ديـن الله مـن بعـد مـا سـفت ... عليـه الـسوافي في القـرىٰ والجزائـر

وعـــادىٰ ووالـــىٰ في رضـــا الله قومـــه ... ولـــم يُثنِـــه عـــن ذاك صـــولة قـــاهر

محمـــد المبعـــوث للنـــاس رحمـــة ... نِذَارَتُـــــهُ مقرونـــــة بالبـــــشائر

وبعـد فـإن تعجَـبْ لخطـب تبلبلـت ... لفادحـــه أهـــل النهـــىٰ والبـــصائر

فـلا عجبًـا يـوم مـن الـدهر مثـل مـا ... أنـاخ بنـا مـن كـل بـاد وحاضـر

ومـا ذاك إلا غربـة الـدين يـا لهـا ... مـصيبة قـوم مـن عظـام الفـواقر

تـــرىٰ أهلـــه مستـــضعفين أذلـــة ... فمـــا بـــين طعـــان علـــيهم ونـــافر

ومـــستهزئ مـــنهم فيـــنغض رأســـه ... ويرمـــونهم شـــزر العيـــون النواضـــر

وعـاداهم مـن يـدعي العلـم والحجـا ... وكـــل خليـــل أو قريـــب مـــصاهر

فمـا شـئت مـن شـتم وقـذف وغيبـة ... وتنقيـــصهم في كـــل نـــاد لفـــاجر

وأكبـــر مـــن هـــذا وأعظـــم فريـــة ... مـوالاة أهـل الـشرك مـن كـل كـافر

وأعيـــنهم في فعـــل ذاك قريـــرة ... فمِـــن صـــامتٍ في فعلـــه أو مجـــاهر

ومـــن قـــام بالإنكـــار فهـــو مـــشدد ... يكـــادون أن يبـــدوه فـــوق المنـــابر

فـإن يحكمـوا بالـسوط ضـربًا فـإن يكـن ... رجـــوع وإلا بالـــضبا والخنـــاجر

وأصـــبح ذو الإيمـــان فـــيهم كقـــابض ... علىٰ الجمر أو في الجنب صلي المجامر

وإخوانـــه النُّـــزَّاع في كـــل قريـــة ... لـــدىٰ أهلهـــا في ذلهـــم كالأصـــاغر

ومـــا زادهـــم إلا ثباتًـــا مـــع الرضـــا ... بقلـــب ســـليم للمهـــيمن شـــاكر

فـأكرم بهـم مـن عـصبة الحـق إنهـم ... لحفـظ نـصوص الـدين أهـل تناصـر

إذا مـــا بـــدا نـــص الكتـــاب وســـنة ... تنـــادوا عبـــاد الله هـــل مـــن مثـــابر

وعـــضوا عليهـــا بالنواجـــذ فاهتـــدوا ... ومـــا رغبـــوا عنهـــا لخـــرص الخـــواطر

عليـــك بهاتيـــك الـــصفات منافـــسًا ... فللـــه مـــا أســـنىٰ ســـناها لـــسائر

هـــم القـــوم لا يثنـــيهم عـــن مـــرادهم ... ملامـــة لـــوام وخـــذلان ناصـــر

بنفـــسي فتـــىٰ مـــا زال يـــدأب دائمًـــا ... إلـــىٰ ربـــه أكـــرم بـــه مـــن مهـــاجر

مكبًّـــا علـــىٰ آي الكتـــاب ودرســـه ... بقلـــب حـــزين عنـــد تلـــك الزواجـــر

فيـــا ليتنـــي ألقـــاه يومًـــا لعلـــه ... يخبـــرني عمـــا حـــوىٰ في الـــضمائر

ونرفـــع أيـــدينا إلـــىٰ الله بالـــدعا ... لينـــصر ديـــن المـــصطفىٰ ذي المفـــاخر

وينـــصر أحـــزاب الـــشريعة والهـــدىٰ ... ويقمـــع أهـــل الزيـــغ مـــن كـــل فـــاجر

فـــآهٍ علـــىٰ تفريـــق شـــمل فهـــل لمـــا ... مـــضىٰ عـــودة نحـــو الـــسنين الغـــوابر

عـــسىٰ نـــصرةٌ للـــدين تجمـــع شـــملنا ... تَقَـــرُّ بِهَـــا ممـــا تـــرىٰ عـــين نـــاظر

فيرتـــاح أهـــل الـــدين فيهـــا أعـــزة وأعـــداؤه تحـــت القنـــا والحـــوافر

وأخـــتم نظمـــي بالـــصلاة مـــسلمًا مدىٰ الـدهر مـا ناضـت بـروق المـواطر

علـىٰ أحمـد والآل والـصحب والـذي لهـــم تـــابع يـــسعىٰ بفعـــل الأوامـــر

اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا، ولا إلىٰ النار مصيرنا، ولا تسلط علينا بذنوبنا من لا يخافك فينا ولا يرحمنا، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلىٰ الله علىٰ محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

«فصل»

ومن محاسن الدين الإسلامي: الترغيب في الدعوة إلىٰ الخير، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، فعن **أبي هريرة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**من دعا إلىٰ هدىٰ كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا، ومن دعا إلىٰ ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من اتبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا**». رواه **مسلم وأبو داود والترمذي**.

ومن محاسن الدين الإسلامي: حث المرء علىٰ انتهاز فرصة الحياة لعمل ما ينفعه في الآخرة؛ فعن **أبي هريرة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقةٌ جاريةٌ، أو علمٌ ينتفع به، أو ولدٌ صالحٌ يدعو له**». رواه **مسلم**. وقال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ﴾ [الحشر: ١٨].

ومن محاسن الدين الإسلامي: الحث علىٰ وجوب الاعتماد علىٰ الله، ثم علىٰ إيمانه وعمله الصالح، لا علىٰ ما لَه من صلة بالمقربين إلىٰ الله؛ فعن **أبي هريرة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قام رسول الله ﷺ حين أنزل الله: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ٢١٤﴾ [الشعراء: ٢١٤] فقال: «**يا معشر قريش، اشتروا أنفسكم، لا أغني عنكم من الله شيئًا! يا عباس بن عبد المطلب، لا أغني عنك من الله شيئًا! ويا صفية عمة**

رسول الله، لا أغني عنك من الله شيئًا! ويا فاطمة بنت محمد، سليني من مالي، لا أغني عنك من الله شيئًا!». رواه الشيخان والترمذي.

ومن محاسن الإسلام: الأمر بتعهد النفس بالإصلاح؛ فيلزمها بأداء ما أمر الله به، واجتناب ما نهىٰ عنه، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر. والآيات في الحث علىٰ التقوىٰ كثيرة.

ومن محاسن الإسلام: أنه يجعل الإنسان علىٰ صلةٍ دائمةٍ بربه، حين تفد عليه النعمة، وحين تنزل به الشدة، قال ﷺ: «**عجبًا لأمر المؤمن، إن أمره كله خير؛ إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له**». رواه مسلم.

ومن محاسن الإسلام: أنه يحث الخلق ويوجههم إلىٰ إصلاح أنفسهم ومجتمعهم، ويرشدهم، ويبين لهم كيف يحررون عقولهم، ويَسْمُون بها عن مهاوي الضلال، إلىٰ أن يخصوا الله جل وعلا بالعبادة، ويوضح لهم كيف يَصقُلون نفوسهم، ويُغَذُّون أرواحهم بالصلاة كل يوم خمس مرات، ويوضح لهم كيف يطهرون أموالهم، بأداء حق الله، وكيف يبنون الأسرة المسلمة، التي هي نواة المجتمع، علىٰ أسس سليمة قوية، وذلك بتواصلهم، ومعرفتهم لحق قرابتهم، والآيات والأحاديث تدل علىٰ ذلك، فعن **أبي أيوب الأنصاري**، أن رجلًا قال: يا رسول الله، أخبرني بعمل يدخلني الجنة، فقال القوم: ما له؟ فقال رسول الله ﷺ: «**أَرَبٌ مَا لَهُ؟ تعبد الله، لا تشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصل الرحم...**» الحديث. رواه الشيخان.

ومن محاسن الدين الإسلامي: تحريم الخصومة بالباطل لمن يعلم، وتحريم الشفاعة التي تعطل إقامة الحدود التي شرعها الله، وتحريم القول عن المؤمن بما ليس فيه.

فمن الغايات التي حرص الإسلام علىٰ تحقيقها: أن يقيم المجتمع الإنساني علىٰ أسس قوية من العدالة والتراحم، وأن تسود أعضاءَه روحُ المودة، والتعاون المثمر، ويسلم من عوامل الضعف، فعن **ابن عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من حالت شفاعته دون حد من حدود الله فقد ضاد الله** عَزَّوَجَلَّ، **ومن خاصم في الباطل وهو يعلم لم يزل في سخط الله حتىٰ ينزع، ومن قال في مؤمن ما ليس فيه أسكنه الله ردغة الخبال حتىٰ يخرج مما قال**». أخرجه **أحمد وأبو داود**.

ومن محاسن الدين الإسلامي: تحريم شهادة الزور، وقول الزور؛ لما في ذلك من الأضرار والمفاسد، التي منها بيعه آخرته بدنيا غيره، ومنها إساءته إلىٰ من شهد له، بإعانته علىٰ ظلمه، ومنها إساءته إلىٰ من شهد عليه، بإضاعة حقه، ومنها إساءته إلىٰ القاضي، بإضلاله عن المحجة، ومنها إساءته إلىٰ الأمة، بزلزلة الحقوق فيها، وعدم الاطمئنان عليها.

ومن محاسن الدين الإسلامي: إبطال ما عليه أهل الجاهلية وتحريمه، وهما الطعن في الأنساب، والنياحة علىٰ الميت؛ لما في صحيح **مسلم**، عن **أبي هريرة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**اثنتان في الناس هما بهم كفر: الطعن في النسب، والنياحة علىٰ الميت**».

ومن محاسن الدين الإسلامي: النهي عن لطم الخدود، وشق الجيوب في المصيبات، وفي الصحيحين عن **ابن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ليس منا من ضرب الخدود، وشق الجيوب، ودعا بدعوىٰ الجاهلية**».

ومن محاسن الدين الإسلامي: النهي عن الاستيلاء علىٰ الماء الذي لا يختص بأحد، ومنعه ابن السبيل، عن **أبي هريرة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم: رجل علىٰ فضل ماء بفلاة يمنعه ابن السبيل**» متفق عليه، وفي رواية: وقال فيه: «**ورجل منع فضل ماء، فيقول الله له: اليوم أمنعك فضلي كما منعت فضل ما لم تعمل يداك!**».

اللهم نور قلوبنا بنور الإيمان، واجعلنا هداة مهتدين، وألحقنا بعبادك الصالحين، الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، واغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين، برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلىٰ الله علىٰ محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

«فصل»

ومن محاسن الدين الإسلامي: أنه يحرم الاعتداء، أو النيل من النفس أو المال أو العرض أو العقل، وكل جريمة من جرائم الاعتداء عليها عقوبة، من قصاص أو حد، والأخلاق الإسلامية -من الصدق والأمانة والوفاء والعفة وغيرها- ليست أمورًا كمالية في نظر الإسلام كما يتوهمه بعض الناس، بل هي واجبات، يحرص عليها، وَمُعَرَّضٌ كل مَن يخرج عن دائرتها،= بأنه سيقتص منه في الآخرة إن لم يتب ويتدارك، وعن **أبي هريرة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**أتدرون من المفلس؟!**» قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع. فقال: «**إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطىٰ هذا من حسناته، وهذا من حسناته؛ فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار**». رواه مسلم.

ومن محاسن الدين الإسلامي: أنه يرشد معتنقه إلىٰ أن صلاح حياته يتطلب منه أن يكون عفًّا في كلامه، فلا يغتاب، ولا يَنُمُّ، ولا يسب، ولا يقذف مسلمًا، ولا يلعنه، ولا يستهزئ به، ولا يفتري، ولا يكذب، عن **أبي هريرة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه قال: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت**»

وقال: «**إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام**».

ومن محاسن الدين الإسلامي: أنه يحث المؤمن علىٰ أداء واجبه، وألا يدخر جهدًا في توجيه أهله وإخوانه، وأقربائه وجيرانه، وكل مَن تربطهم به صلة وثيقة إلىٰ الخير، ووسيلته إلىٰ هذا التوجيه هي التواصي بالحق، والتواصي بالصبر، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ومن محاسن الدين الإسلامي: الأمر بالحياء الذي هو أصل كل فضيلة، وعصمة من كل شر، لمن وفقه الله، وفي حديث **عبد الله بن مسعود** أن النبي ﷺ قال: «**استحيوا من الله حق الحياء**». قلنا: يا رسول الله، إنا نستحي والحمد لله. قال: «**ليس ذاك، ولكن الاستحياء من الله حق الحياء: أن تحفظ الرأس وما وعىٰ، والبطن وما حوىٰ، ولتذكر الموت والبِلَىٰ، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا**». رواه **الترمذي وأحمد والحاكم** بسند صحيح.

ومن محاسن الدين الإسلامي: النهي عن اتخاذ شيء فيه روح غرضًا يرمىٰ إليه؛ لما في الصحيحين: «أن **ابن عمر** مر بفتيان من قريش، قد نصبوا طيرًا وهم يرمونه، فلما رأوا **ابن عمر** تفرقوا، فقال **ابن عمر**: من فعل هذا؟ لعن الله من فعل هذا، **إن رسول الله ﷺ لعن من اتخذ شيئًا فيه الروح غرضًا**».

ومن محاسن الدين الإسلامي: النهي عن بيع الحر، قال ﷺ: «**قال الله تعالىٰ: ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة: رجل أعطىٰ بي ثم غدر، ورجل باع حرًّا ثم أكل ثمنه، ورجل استأجر أجيرًا فاستوفىٰ منه العمل ولم يوفه أجره**».

ومن محاسن الدين الإسلامي: الوعيد الشديد علىٰ من استأجر أجيرًا، واستوفىٰ منه العمل، ولم يوفه أجره؛ للحديث المتقدم.

ومن محاسن الدين الإسلامي: تحريم السحر، وتصديق الكاهن، قال ﷺ: «**ليس منا من تَطَيَّرَ أو تُطِيِّرَ له، أو تَكَهَّنَ أو تُكِهِّنَ له، أو سَحَرَ أو سُحِرَ له، ومن أتىٰ كاهنًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل علىٰ محمد ﷺ**».

ومن محاسن الدين الإسلامي: تحريم (القِدَادَة) والعياذ بالله، وهي الجمع بين رجل وامرأة أجنبية، سواء كان الجامع رجلًا أو امرأة.

ومن محاسن الإسلام: تحريم السعاية عند السلطان بمضرة مسلم.

ومن محاسن الإسلام: تحريم غصب المال؛ لأنه نوع من الظلم والفساد، والله لا يحب الظالمين.

ومن محاسن الدين الإسلامي: الحث علىٰ الاستقامة، التي هي الاعتدال في جميع الأمور، من الأقوال والأفعال، والمحافظة علىٰ جميع الأحوال، التي تكون بها النفس علىٰ أفضل حالة وأكملها؛ فلا يظهر منها قبيح، ولا يتوجه إليها ذم ولا لوم، وذلك إنما يكون بالمحافظة علىٰ الشرع الشريف، والتمسك بالدين القويم، والوقوف عند حدوده، مع التخلق بالأخلاق الفاضلة، والصفات الكاملة، قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [فصلت: ٣٠]، وقال لنبيه ﷺ: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾ [هود: ١١٢]، وقال النبي ﷺ

لسفيان بن عبد الله: «**قل آمنت بالله ثم استقم**».

ومن محاسن الدين الإسلامي: أنه ما حرم شيئًا عليهم إلا عوضهم خيرًا منه، مما يَسُدُّ مَسَدَّه ويغني عنه، كما بين ذلك **ابن القيم** رحمه الله تعالىٰ حرم عليهم الاستقسام بالأزلام، وعوضهم منه دعاء الاستخارة، وحرم عليهم الربا، وعوضهم التجارة الرابحة.

وحرم عليهم القمار، وأعاضهم منه أكل المال بالمسابقة بالخيل والإبل والسهام.

وحرم عليهم الحرير، وأعاضهم منه أنواع الملابس الفاخرة من الصوف، والكتان، والقطن.

وحرم عليهم شرب المسكرات، وأعاضهم عنه بالأشربة اللذيذة، النافعة للروح والبدن.

وحرم عليهم الخبائث من المطعومات، وأعاضهم عنها بالمطاعم الطيبات، وهكذا إذا تتبعنا تعاليم الإسلام كلها وجدنا أنه جل وعلا لم يضيق علىٰ عباده في جانب إلا وسع عليهم في جانب آخر من جنسه، والله أعلم، وصلىٰ الله علىٰ محمد وآله وصحبه وسلم.

«فصل»

ومن محاسن الدين الإسلامي: أنه يقدر البواعث الكريمة، والقصد الشريف، والنية الطيبة، في تشريعاته وتوجيهاته كلها، قال ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوىٰ**». وبالنية الطيبة تنقلب المباحات والعادات إلىٰ طاعات وقربات إلىٰ الله؛ فمن تناول غذاءه بنية حفظ حياته وتقوية جسده، ليستطيع القيام بما أوجبه عليه ربه، من حقوق وتكاليف لأهله وأولاده، كان طعامه وشرابه مع النية الصالحة عبادة، ومن أتىٰ شهوته مع ما أحله الله له من زوجة أو مملوكة له، يقصد إعفاف نفسه وأهله، وابتغاء ذرية صالحة، كان ذلك عبادة، تستحق المثوبة والأجر من الله، وفي ذلك يقول النبي ﷺ: «**وفي بضع أحدكم صدقة**» قالوا: يا رسول الله، أيأتي أحدنا شهوته، ويكون له فيها أجر؟ قال: «**أليس إن وضعها في حرام كان عليه وزر، فكذلك إذا وضعها في حلال كان له أجر**».

ومن محاسن الدين الإسلامي: أنه حرم علىٰ المسلم شراء ما غُصِبَ أو سُرِقَ، أو أُخِذَ من صاحبه بغير حق؛ لأنه إذا فعل ذلك يكون معينًا للغاصب والسارق والآخذ، وهذا إذا علم أنها سرقة، ولو طال زمن غصبه أو سرقته في يد الغاصب أو السارق أو الناهب؛ فإن طول الزمن في الشريعة الإسلامية، لا يجعل الحرام حلالًا، ولا يسقط حق المالك الأصلي بالتقدم، وهذا أيضًا من **محاسنه**.

ومن محاسن الدين الإسلامي: تحريم الربا؛ لأن الربا يقتضي أخذ مال الإنسان من غير عوض؛ لأن مَن يبيع درهمًا بدرهمين يحصل له زيادة درهم من غير عوض، ومال الإنسان مُتَعَلَّقُ حَاجَتِهِ، وله حرمة عظيمة، كما هو معروف.

ثانيًا: استعمال الربا يفضي إلىٰ انقطاع المعروف بين الناس من القرض.

ثالثًا: يمنع من تحمل المشاق تجاه الاكتساب؛ فلا يكاد يتحمل مشقة الكسب، وذلك يفضي إلىٰ انقطاع منافع الخلق، وتكسيلهم عن الجد والاجتهاد في الطلب، وقد لعن الله آكلَ الربا ومُوكِلَهُ وكاتبه وشاهديه.

عباد الله: إن ما سمعتم من **المحاسن** نقطة من بحر **محاسن** الدين الإسلامي، الذي جمع الله به فرقة العرب وشتاتهم، ووحد به قلوبهم وصفوفهم، وهذب طباعهم وأخلاقهم، حتىٰ أوجد منهم أمة شديدة البأس، واسعة السلطان، ملكت ناصية الأرض، ونشرت عَلَمَ الإسلام في نواحيها، قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وقال: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ﴾ [الأنفال: ٢٦].

دين نشره الله في أرجاء المعمورة، كالشمس الضاحية، لا يحجب شعاعها، وكالقمر الزاهر، لا يخفىٰ ضوؤُه، ولا يخسف نوره.

دين ترىٰ أعداءه ومبغضيه يقتربون منه كل يوم، من حيث يشعرون، ومن حيث لا يشعرون، لأنهم بمخترعاتهم وعلومهم لم يزيدوا علىٰ أنهم به يشهدون، قال

تعالىٰ: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣].

دين يكيد له أعداؤه وحُسَّاده، من يوم أنزل، وهو كما ترىٰ، لم يطفأ له نور، ولم يضعف له برهان، قال تعالىٰ: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾﴾ [الصف: ٨].

أيها المسلم: حسبك أن تعلم أن الدين الإسلامي يحتوي علىٰ خيري الدنيا والآخرة، ونعيم العاجلة والآجلة، فما من فضيلة إلا حث عليها، وما من رذيلة إلا نفر منها، فإذا اعتصمت بحبله المتين، وحرصت علىٰ العمل بأحكامه، والتحلي بآدابه؛ عشت سعيدًا، ومت سعيدًا حميدًا.

وقال **ابن القيم** رحمه الله تعالىٰ:

هـذا ونـصر الـدين فـرض لازم ... لا للكفايـة بـل علـىٰ الأعيـان
بيـد وإمـا باللـسان فـإن عجـز ... ت فبالتوجـه والـدعا بجنـان
مـا بعـد ذا والله للإيمـان حبْـ ... ـبَـة خـردل يـا ناصـر الإيمـان
بحيـاة وجهـك خيـر مـسؤول بـه ... وبنـور وجهـك يـا عظـيم الـشان
وبحـق نعمتـك التـي أوليتهـا ... مـن غيـر مـا عـوض ولا أثمـان
وبحـق رحمتـك التـي وسـعت جميـع ... الخلـق محـسنهم كـذاك الجـاني
وبحـق أسـماءٍ لـك الحـسنىٰ معًـا ... فيهـا نعـوت المـدح للـرحمن
وبحـق حمـدك وهـو حمـد واسـع الـ ... ـأكوان بـل أضـعاف ذي الأكـوان
وبأنـك الله الإلـه الحـق معْـ ... ـبُـود الـورىٰ متقـدس عـن ثـان

بـــل كـــل معبـــود ســـواك فباطـــل ... مـــن دون عرشـــك للثـــرىٰ التحتـــاني

وبـــك المَعـــاذ ولا مـــلاذ ســـواك أنْـــ ... ـتَ غِيـــاث كـــل ملـــدَّد لهفـــان

مـــن ذاك للمـــضطر يـــسمعه ســـوا ... ك يجيـــب دعوتـــه مـــع العـــصيان

إنـــا توجهنـــا إليـــك لحاجـــة ... ترضـــيك طالبهـــا أحـــق مُعـــان

فاجعـل قـضاها بعـض أنعمـك التـي ... ســبغت علينـا منـك كـل زمـان

انـصر كتابـك والرسـول ودينـك الْـ ... ـعَـالي الـذي أنزلـت بالبرهـان

واخترتـه دينًـا لنفـسك واصطفيْـ ... ـتَ مقيمـه مـن أمـة الإنـسان

ورضـيته دينًـا لمـن ترضـاه مـن ... هـذا الـورىٰ هـو قـيم الأديـان

وأقـر عـين رسـولك المبعـوث بالـدْ ... ـدِين الحنيـف بنـصره المتـدان

وانـصر بـه النـصر العزيـز كمثـل مـا ... قـد كنـت تنـصره بكـل زمـان

يـا رب وانـصر خيـر حِزْبَينـا علـىٰ ... حـزب الـضلال وعـسكر الـشيطان

يـا رب واجعـل شـر حِزْبَينـا فـدًا ... لخيـارهم ولعـسكر القـرآن

يـا رب واجعـل حزبـك المنـصور أهْـ ... لَ تـراحم وتواصـل وتـدان

يـا رب واحْمِهِـمُ مـن البـدع التـي ... قـد أُحـدثت في الـدين كـل زمـان

يـا رب جنـبهم طرائقهـا التـي ... تفـضي بـسالكها إلـىٰ النيـران

يـا رب واهـدهم بنـور الـوحي كـي ... يـصلوا إليـك فيظفـروا بجنـان

يـا رب كـن لهـمُ وليًّـا ناصـرًا ... واحفظهـمُ مـن فتنـة الفتـان

وانـصرهمُ يـا رب بـالحق الـذي ... أنزلتَـه يـا منـزل القـرآن

يـــا رب إنهـــم هـــم الغربـــاء قـــد ... لجـــؤوا إليـــك وأنـــت ذو الإحـــسان

يـا رب قـد عـادوا لأجلـك كـلَّ هَـ ... ـذَا الخلـــق إلا صـــادق الإيمـــان

قـد فـارقوهم فيـك أحـوج مـا هـمُ ... دنيـــا إلـــيهم في رضـــىٰ الـــرحمن

ورضـــوا ولايتـــك التـــي مـــن نالهـــا ... نـــال الأمـــان ونـــال كـــل أمـــان

ورضُـوا بوحيك من سواه وما ارتـضَوا ... بـــسواه مـــن آراء ذي الهـــذيان

يـــا رب ثبـــتهمْ علـــىٰ الإيمـــان وأجْـــ ... ـعَلْهُـــمُ هـــداة التائـــه الحيـــران

وانـصر علـىٰ حـزب النفـاة عـساكر الـ ... ـــإثبات أهـــل الحـــق والعرفـــان

وأقـــم لأهـــل الـــسنة النبويـــة الـــ ... ـأنـــصار وانـــصرهمُ بكـــل زمـــان

واجعلهـــمُ للمتقـــين أئمـــة ... وارزقهـــمُ صـــبرًا مـــع الإيقـــان

تهـــدي بـــأمرك لا بمـــا قـــد أحـــدثوا ... ودعـــوا إليـــه النـــاس بالعـــدوان

وأعـــزهم بـــالحق وانـــصرهم بـــه ... نـــصرًا عزيـــزًا أنـــت ذو الـــسلطان

واغفـــر ذنـــوبهم وأصـــلح شـــأنهم ... فَلَأَنْـــتَ أهـــل العفـــو والغفـــران

ولـــك المحامـــد كلهـــا حمـــدًا كمـــا ... يرضـــيك لا يفنـــىٰ علـــىٰ الأزمـــان

مـــلء الـــسموات العلـــىٰ والأرض والـــ ... ـــموجود بعـــدُ ومنتهـــىٰ الإمكـــان

ممـــا تـــشاء وراء ذلـــك كلـــه ... حمـــدًا بغيـــر نهايـــة بزمـــان

وعلـىٰ رسـولك أفـضل الـصلوات والتّـ ... ـتَـسليم منـك وأكمـل الرضـوان

وعلـــىٰ صـــحابته جميعًـــا والألـــىٰ ... تبعـــوهمُ مـــن بعـــد بالإحـــسان

وختامًا فإليك كلمة موجزة قالها أحد العلماء

أرسِلْ طَرْفَكَ إلىٰ نشأة الأمة، وتبيَّنْ أسباب نهوضها الأول؛ فترىٰ أن ما جمع كلمتها، وأنهض همم آحادها، ولَحَمَ بين أفرادها، وصَعِد بها إلىٰ مكانة تشرف منها علىٰ رؤوس الأمم وتسوسهم، وهي في مقامها بدقيق حكمتها، إنما هو «دين» قويم الأصول، محكم القواعد، شامل لأنواع الحكم، باعث علىٰ الألفة، داع إلىٰ المحبة، مزكٍّ للنفوس، مطهر للقلوب من أدران الخسائس، منور للعقول بإشراق الحق من مطالع قضاياه، كافل لكل ما يحتاج إليه الإنسان من مباني الاجتماعات البشرية، وحافظ وجودها، وينادي بمعتقديه إلىٰ جميع فروع المدنية الصحيحة، انظر إلىٰ التاريخ قبل بعثة الدين، وما كانت عليه من الهمجية والشتات، وإتيان الدنايا والمنكرات، حتىٰ إذا جاءها الدين وحدها وقواها، وهذبها ونور عقولها، وقوم أخلاقها، وسدد أحكامها، فسادت علىٰ العالم، وساست من تولته بالعدل والإنصاف.

اللهم عافنا من مكرك، وزينا بذكرك، واستعملنا بأمرك، ولا تهتك علينا جميل سترك، وامنن علينا بلطفك وبرك، وأعنا علىٰ ذكرك وشكرك، اللهم سلمنا من عذابك، وآمنا من عقابك.

اللهم وفقنا للاستقامة والعدل فيما وليتنا عليه، اللهم إنا نعوذ بك من دنيا تمنع خير الآخرة، ونعوذ بك من حياة تمنع خير الممات، ونعوذ بك من أمل يمنع خير العمل، ونسألك أن تنور قلوبنا، وتثبتنا علىٰ قولك الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وأن تغفر لنا ولوالدينا، ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلىٰ الله علىٰ محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

المحتويات

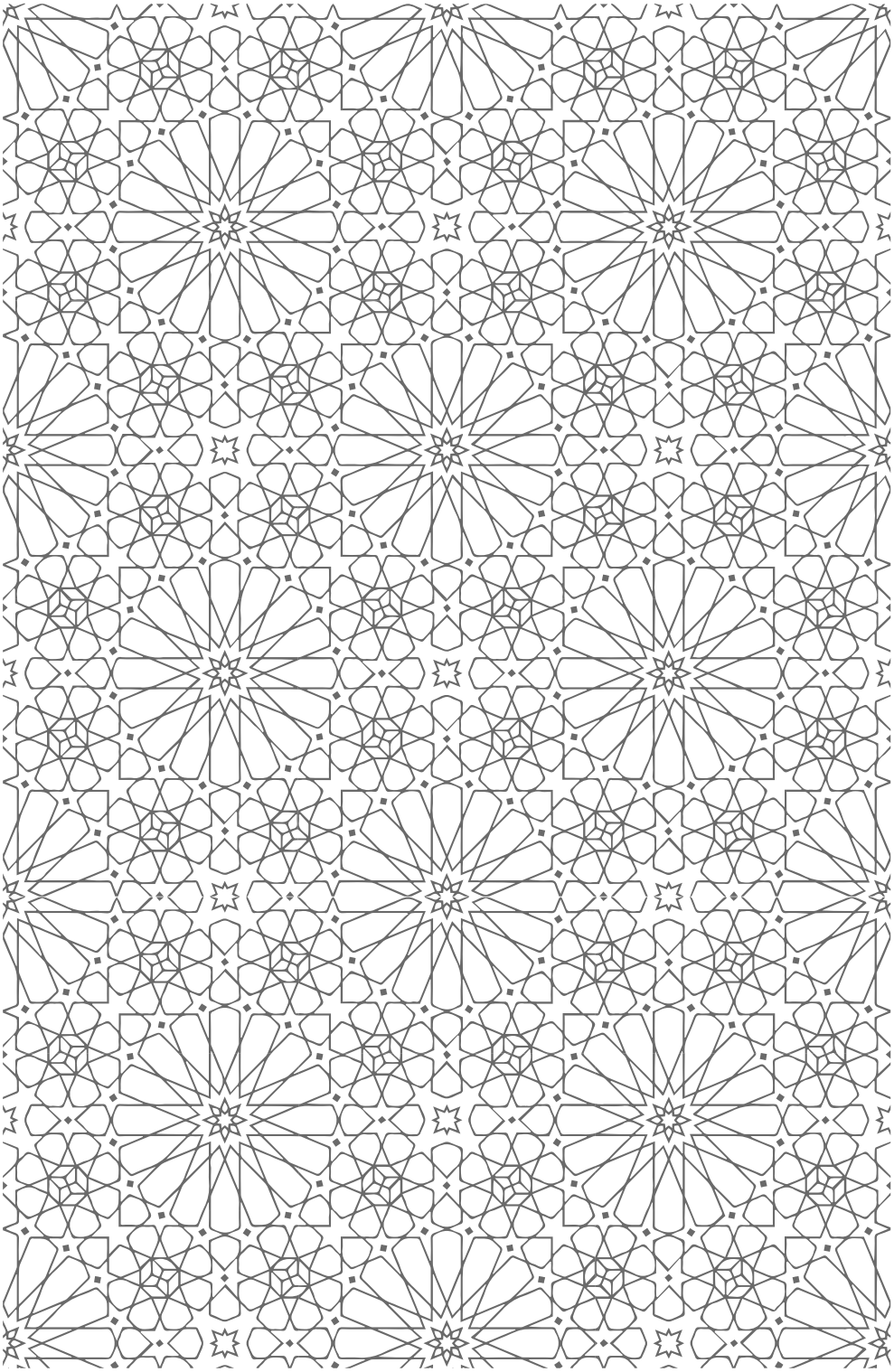

«فهرس الموضوعات»

المقدِّمة ٣

۞ الإسلام دين كامل ١٣

المقدمة ١٥

المسألة الأولىٰ: وهي التوحيد ١٧

المسألة الثانية: التي هي الوعظ ٢٠

المسألة الثالثة: التي هي: الفرق بين العمل الصالح وغيره ٢٢

المسألة الرابعة: التي هي تحكيم غير الشرع الكريم ٢٣

المسألة الخامسة: التي هي أحوال الاجتماع ٢٥

المسألة السادسة: التي هي: مسألة الاقتصاد ٢٨

المسألة السابعة: التي هي: السياسة ٢٩

المسألة الثامنة: التي هي: تسليط الكفار علىٰ المسلمين ٣١

المسألة العاشرة: التي هي: مشكلة اختلاف القلوب ٣٥

الدرة المختصرة في محاسن الدين الإسلامي ٣٧
المقدمة ٣٩
المثال الأول ٤١
المثال الثاني ٤٣
المثال الثالث ٤٤
المثال الرابع ٤٥
المثال الخامس ٤٥
المثال السادس ٤٦
المثال السابع ٤٧
المثال الثامن ٤٨
المثال التاسع ٤٩
المثال العاشر ٥٠
المثال الحادي عشر ٥٠
المثال الثاني عشر ٥١
المثال الثالث عشر ٥١

المثال الرابع عشر ٥٢
المثال الخامس عشر ٥٣
المثال السادس عشر..... ٥٤
المثال السابع عشر ٥٤
المثال الثامن عشر..... ٥٥
المثال التاسع عشر ٥٦
المثال العشرون ٥٦
المثال الحادي والعشرون الجامع لكل ما سبق..... ٥٨
۞ الدين الصحيح يحل جميع المشاكل..... ٦١
تصدير ٦٣
۞ كمال الشريعة وشمولها لكل ما يحتاجه البشر ٩١
المقدمة ٩٣
السياسة الشرعية الدينية ٩٥
السياسة الجائزة المباحة ٩٥
السياسة الشيطانية الفرعونية الإبليسية..... ٩٦

۞ مَبَاحِثُ فِي أُصُولِ الدِّينِ ١٠٧
مقدمة ١٠٩
الدِّين الإسلاميُّ ضرورةٌ اجتماعيَّةٌ ١١١
قُصُور الأديانِ والمذاهبِ الأخرىٰ عن إصلاحِ البشرِ وتحقيق سعادته ١١٤
لأنهما ديانتان خاصتان بقوم موسىٰ وعيسىٰ ١١٤
لأن فيهما تضييقًا وشدةً ١١٤
لأنه حصل فيهما التحريف والتبديل..... ١١٥
تَكامُلُ الإِسْلام وَوحْدةُ مبادِئِه في إصلاح شُعَب الحيَاة الإنسانيَّة ١١٧
الإسلام كاملٌ في العقيدة ١١٨
الإسلامُ كاملٌ في العبادة ١١٩
الإسلامُ كاملٌ في الاقتصاد..... ١٢٠
الإسلامُ كاملٌ في الاجتماع ١٢٥
الإسلامُ كاملٌ في السياسة ١٢٩
السِّياسة الداخليَّة تقوم علىٰ أُسسٍ أربعة ١٣٠
أ- فالعلاقة بين الحاكم والمحكوم لكلٍّ منهما فيها وظيفةٌ ١٣٠

ب- والقيم الأخلاقية ١٣٤
ج- وحفظ الأمن ١٣٥
د- والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ١٣٦
السياسة الخارجية مع غير المسلمين ١٣٦
القسم الأول: كفار محاربون ١٣٦
القسم الثاني: كفار معاهدون ١٣٧
القسم الثالث: أهل الذمة ١٣٨
و- اعتزاز المسلم بدينه ١٣٩
❁ الشريعة الإسلامية ومحاسنها وضرورة البشر إليها ١٤١
المقدمة ١٤٣
الشِّقُّ الأول: وهو ما يتعلق بالشريعة الإسلامية ومحاسنها ١٤٤
الشق الثاني: ضرورة البشر إليها ١٧٥
❁ التعريف بالإسلام ومحاسنه ١٨١
❁ من محاسن الدين الإسلامي ١٩٥
مقدمة ١٩٧

فصل في ذِكْرِ بَعْضِ مَحَاسِنِ الدِّينِ الإِسْلَامِي نَصَرهُ اللهُ ١٩٨
فصل ٢٠٢
قصيدة تتضمن التضرع لله جل وعلا ٢٠٦
فصل ٢٠٩
شعرًا ٢٢٠
فصل ٢٢١
فصل ٢٢٧
فصل ٢٣٠
فصل ٢٣٢
شعرًا ٢٣٣
فصل ٢٣٦
فصل ٢٤٠
فصل ٢٤٣
قصيدة في غربة الإسلام ٢٤٥
فصل ٢٤٨

فصل ٢٥٢

فصل ٢٥٦

ختامًا فإليك كلمة موجزة قالها أحد العلماء ٢٦١

فهرس الموضوعات ٢٦٥